



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

أفعال الكلام في "ديوان لزوم ما لا يلزم"
لأبي العلاء المعري - دراسة تداولية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب واللغة العربية

تخصص: اللسانيات واللغة العربية

إشراف الدكتور ة:

نعيمة سعدية

إعداد الطالب:

عبد الرحمان دحماني

السنة الجامعية: 2013-2014

مقدمة

مقدمة:

لا غرابة أن يتردد الباحث في اختيار موضوع بحثه ابتداءً. وهو لا بد منتهٍ طال تردُّده أم قصر - إلى مرحلة يحسم فيها أمره بالمضي أو العدول.

وهذا الذي كان. فقد لاح لنا الموضوع ابتداءً ، فكرة ضبابية، ثم أخذ ينمو ويستجمع معالمه بإدامة النظر والمراجعة والتمحيص إلى أن بلغ مرحلة من النضج استحق معها أن يأخذ موضعه الذي هو له في دنيا البحث العلمي.

ذلك هو موضوعنا الذي استقر عليه الرأي تحت عنوان: (أفعال الكلام في "ديوان لزوم ما لا يلزم" لأبي العلاء المعري - دراسة تداولية).

ولاح لنا أنه موضوع مٌغرٍ بالبحث فيه وردَّ ما أغرتنا به قراءتنا لآثار هذا الشاعر، وهي قراءات ما تفتُّ تقوِّي صلتنا به وبآثاره على تعاقب الأيام، ثم بـ(اللوميات) من جهة صلتها بـ(أفعال الكلام) التي هي فرع من فروع (التداولية).

وإنما وقع اختيارنا من تلك الآثار على (اللوميات) دون سواها لأسباب، سنعرض لها.

وليست القراءة هي كل شيء في تكوين الباعث وإثارة الميل إلى الموضوع، فقد يتكون الباعث من حيث ندري ومن حيث لا ندري. كثير ما يحس المرء من نفسه أن ثمَّت قوة تدفعه نحو فعل ما لا يعلم لها مصدرا على وجه التعيين، ولا يقوى على حصر العوامل التي تنشأ عنها تلك الرغبة في الإقبال على الفعل - في عبارة أو عبارات محددة إلا بشيء من التملل، وربما التعسف والإكراه. ومهما حاول فإنه يبقى مقتنعا بأن هناك شيئا ما بقي عصيا على الحصر.

ومع ذلك فلا بد مما ليس منه بد. فليس المطلوب من الباحث أن يجشم نفسه محاولة الإتيان بما ليس في الوسع، وقصارى المرجو محاولة حصر ما بدا من البواعث وتأدَّى تقييده فيما تيسر من اللفظ.

ولسنا في هذا بدعا من غيرنا، فقد بدا لنا من البواعث التي كانت وراء هذا الاختيار ما نحن موجزو القول فيه فيما يلي:

- ما من باحث يحترم نفسه إلا وله في مجتمعه أو أمته التي ينتمي إليها موقع متميز إليه تشدّ الأنظار. وبحكم انتمائنا إلى هذه الأمة الضاربة في تاريخ الإنسانية وحضاراتها المتعاقبة نجد أنفسنا مدفوعين -بحكم هذا الانتماء- إلى أن نسهم بما تتسع له الطاقة في بعث ما أمكن بعثه مما انطوت عليه هذه الحضارة من كنوز، حرصا منا على وصل القديم بالجديد، وتوثيق هذه الصلة على نحو يهيئ لبناء يشدّ أوله آخره. ذلك لاعتقادنا الجازم أن المعرفة الإنسانية تراكمية لا ينهض اللاحق منها إلا على أساس من السابق وانطلاقا منه.

ومساهمتنا المتواضعة إنما تأتت من جهة البحث في الموضوع الذي أخذنا على أنفسنا البحث فيه.

- استثمار ما أمكن استثماره مما استحدث على مستوى المناهج وأدوات البحث وأساليبه وتقنياته، لأننا نعتقد جازمين أن نصيب الأمة من الحضارة يقدر بمدى تفاعلها مع الآخر أخذا وعطاء.

- التحقق من مدى استجابة (اللزوميات) لمقتضى الدراسة التداولية من الجهة التي قيدنا بها هذه الدراسة وهي (أفعال الكلام)، باعتبارها فرعا من أهم فروع التداولية وقد عززّ في نفوسنا هذا الباعث أمران:

أولهما: كون الدراسة التداولية أثبتت -بما لا يدع مجالا للشك- جدواها وفاعليتها، لما تمتلكه من مؤهلات تفجير الطاقة الكامنة في النص موضوع الدراسة. وأول ما يبدر إلى الذهن من هذه المؤهلات الكفاءة التأويلية التي هي قوام الدراسة التداولية وعدتها.

ثانيهما: اعتقادنا أن (اللزوميات) تنطوي على رصيد فلسفي وفكري هائل، به ذاع صيت المعري في الآفاق، فكان هذا الاعتقاد باعنا قويا على الدراسة للتحقق من مدى صحته ووجاهته.

ولا يقوم في تصور عاقل وجود بحث له صبغة البحث العلمي، لا ينهض على إشكال يكون قد صيغ في عبارة أو عبارات لا تحتل التأويل. وهذا يعني أن الإشكال قرين البحث العلمي وأساسه الذي يقوم عليه، وضابطه، وجامع شتاته، وموجه المبدول الوجهة التي تصب في الإجابة عن التساؤل الذي يصاغ فيه ذلك الإشكال.

وعليه فمن الطبيعي أن نتصور لبحثنا إشكالا، وهو فيما نقدّر ذو شقين:

الأول: وهو كون المناهج الحديثة أثبتت جدواها وفاعليتها عند أصحابها أمر مسلم به، وبقي أن نتساءل عما إذا كانت هذه المناهج - لا سيما المنهج التداولي منها لأنه الذي يعنينا هنا قبل غيره - بذات الجدوى والفاعلية عندنا، وفيما نحن فيه على وجه التحديد؟ وآية جدواها وفاعليتها قدرتها على إثارة ما أمكن من مخبوء (اللزوميات) من جهة، ووقوفنا على ما اتسع له المقام من (أفعال الكلام). ومعرفة ما إن كان ذلك المثار يستحق المتابعة والبذل فـاً أو من سوانا.

الثاني: ويتمثل في التحقق من مدى إمكان تجاوز الموروث مع المستجدات والإفادة منها. والموروث الذي نعنيه هنا هو (اللزوميات) على وجه التحديد.

وكذا معرفة ما إن كان لما نحن ساعون إليه من الوقوف على فلسفة المعري ومقاصده في (اللزوميات) وفي حدود ما تسمح به (أفعال الكلام) على النحو الذي ألفناه عند التداوليين في استخدامهم لها - وجود حقيقي أم أنه مجرد وهم توهمناه؟

ويزيد في أهمية الوقوف على ما أمكن من هذه الفلسفة تباين الآراء والتخريجات في فلسفة المعري، وفي الحد الفاصل بين الجدّ والهزل فيها.

وإذنا لنستشف من الباعث والإشكال المطروح أن ما نروم تحقيقه في بحثنا إخضاع (اللزوميات) لمقتضى الدراسة التداولية من جهة أهم فرع من فروعها وهو (أفعال الكلام)، قصد الوقوف على ما تهيأ الوقوف عليه من فلسفة ومقاصد المعري في لزومياته. ونرجو أن نكون قد بلغنا من ذلك ما كنا نرجوه ونرغب فيه.

وخذُ لُق الباحث يدعوننا إلى الإقرار بما للآخر من فضل، فقد كتب في الموضوع (مسعود صحراوي) تحت عنوان: التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي.

ومن باب الاعتراف بالفضل لذويه أيضا جب الإقرار كذلك بأدنا قد أفدنا من هذا الجهد إفادة تبدو في بحثنا ظاهرة جلية، وإن كنا قد نحونا منحى غير المنحى الذي نحاه، فقد اكتفى في دراسته تلك -فضلا عن الجوانب التنظيرية- بإيراد أمثلة وشواهد لا يجمعها جامع عدا التراث، بتعبيره هو نفسه. في حين ألزمتنا لفهمدونة لم نعدّها إلى غيرها وهي (ديوان لزوم ما لا يلزم) لأبي العلاء المعري.

وإنما ذكرنا هذه الدراسة لـ(صحراوي) لصلتها الوثيقة ببحثنا وإلا ذكرنا دراسات أخرى من قبيل (إستراتيجيات الخطاب – مقارنة لغوية تداولية) لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و(التداوليات علم استعمال اللغة) من إعداد وتقديم إسماعيلي علوي، و(في اللسانيات التداولية "مقاربة بين التداولية والشعر" – دراسة تطبيقية) لخليفة بوجادي، و(في تداولية الخطاب الأدبي – المبادئ والإجراء) لنواري سعودي.

ولا شك في أننا قد أفدنا من ذلك كله إفادة يعزى الفضل فيها إلى أصحابها، إذ لولاهم لما كتب لنا أن نخطو خطوة واحدة في البحث.

وقد أدرنا موضوع البحث على مقدمة وهي هذه، وفصل نظري، ومدخل إلى اللزوميات، وفصلين تطبيقيين وخاتمة. أما الفصل التمهيدي فقد عرضنا فيه للتداولية من حيث النشأة والتطور والمصطلح والمفهوم، ومن ثم إلى (نظرية الأفعال الكلامية) والتي تناولنا بشأنها الفعل الكلامي انطلاقا من المركب الإضافي (أفعال الكلام)، وانتهاء بتصنيف سورل Searle الذي اعتمدناه في دراستنا التطبيقية. وقد اقتضى الحرص على الاتساق وإصابة الغرض أن ندخل إلى عملنا التطبيقي من باب ما أسميناه بـ"مدخل إلى (اللزوميات)"، وتناولنا فيه شيئا من حياة المعري ولزومياته.

أما الفصلان التطبيقيان فقد طوينا الأول منهما على التقارير، والإيقاعات، والبوحيات (التعبيريات). في حين طوينا الفصل الثاني على الأمرات (الطلبات)، والوعديات.

وأنهينا البحث برصد النتائج التي نكون قد توصلنا إليها. ثم أتينا على ذكر المصادر والمراجع التي اعتمدناها مرتبة ترتيباً ألفبائياً مع تقديم اسم الشهرة. وأخيراً فهرست موضوعات البحث ليسهل الرجوع إلى كل قضية من القضايا التي تناولناها متى دعت الحاجة إلى ذلك.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي في الفصلين التطبيقيين، والمنهج التاريخي في الفصل النظري وفي المدخل.

والبحث العلمي لا يخلو من مجاهدة تملئها عوامل كثيرة هي مقتضياته نذكر منها الجدية والصرامة والموضوعية وطول النفس وتعدد المسالك وتشابك المعارف وامتدادها. وإذا كانت هذه كلها من مقتضيات البحث العلمي، فإن ذكرنا للصعاب التي تكون قد عرضت لنا أثناء البحث يعدّ تحصيل حاصل لا جدوى منه. لذلك يتعين علينا ألا نرصد من هذه الصعاب إلا ما كان لافتاً بحق، واللافت فيها على ما نقدر هو:

1- سعة مجال (التداولية) وامتدادها في معارف كثيرة لسانية وغير لسانية، ومنها فلسفة اللغة والمنطق. ولا شك في أن التداخل بين اللساني والمنطقي عامل في الصعوبة البالغة التي تعترض سبيل الباحث.

2- احتقال المعري في (لزومياته) بغريب اللفظ وشحنه بالقضايا الفلسفية المتشعبة والتي صدر فيها عن مصادر دينية ومذهبية وفكرية وفلسفية، وتجربة مستوحاة من الحياة ومعاناته فيها.

3- التداخل الحاصل بين الأفعال، فقد يتعدد الفعل بتعدد الاعتبارات وأوجه التأويل المحتملة، ومن أمثلة هذا التداخل التقارير والإيقاعات. وكذلك البوحيات (التعبيريات)

بغيرها من الأفعال، فما من فعل إلا وله في (التعبيرية) نصيب، قلّ أو كثر، وقد يكون هذا أحد عوامل ارتباك الدارسين واختلافهم في المعايير المائزّة للبوحيات.

4- كون اللّزوميات تفتقر فرادى إلى السياق الخارجي الحاضن والخاص بكل قصيدة أو منظومة على حدة. ولوقدّر لهذا السياق أن يكون لكان خير معين لنا على التأويل، ولكن هذا التأويل أقرب إلى الصدّة، وإلى الغرض الذي كان يرمى إليه المعري في خطابه بيد أن ذلك لم يكن. وقصارى ما أُتيح لنا هو هذا السياق العام المتمثل في حياة الشاعر و(لزومياته) وما قيل فيها على وجه الإجمال. وقد أفدنا منه في إسناد الخطاب أو (فعل القليل) قائله بعد أن أعْيَ تَدَنّا الحيلة التي بها نهتدي إلى صاحب القول على وجه التعيين، إذ لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على أن صاحب القول هو المعري.

5- قصور التصنيف عن استيعاب جميع الأفعال، إذ كثير من الأفعال بقي خارج هذا التصنيف، ومن أمثلة هذه الأفعال بعض ما يعرف بـ(الإنشاء غير الطلبي) حال عدم إسناد الفعل إلى المتكلم في المضارع.

ولنتذكر أن (المبخوت) على سبيل المثال عرض لبعض هذه الأفعال (صيغ المدح والذم، القسم، التعجب، الرجاء، "كم" الخبرية، حرف الجر الشبيه بالزائدة ربّ") . لكنه لم يصنفها في الوقت الذي نجده صنف (صيغ العقود) على أنها إيقاعية. والأمر ذاته عند (الطبيبائي) في موقفه من هذه الأفعال.

وأيا ما كان المنجز، والنتائج التي توصلنا إليها فليس من خُلّق الباحث في شيء أن ندعي شرف سبق أو ادعاء الإتيان بما لم يأت به الأوائل، فقد اتكأنا على ما أنجزه غيرنا، ولولاه لما استطعنا أن نمضي في سبيل البحث المحفوفة بالمزالق، وإلى ذلك فإن المنجز لا يعدو أن يكون مجرد محاولة فيما بدا لنا أنه حقيق بأن تصرف إليه العناية رجاء أن يأتي من بعدنا من في وسعه أن يقتل الموضوع استقصاء وتحقيقاً، ويستنفد الجهد فيما انطوت عليه (اللزوميات) من درر يحتاج استخراجها إلى باحث اكتملت فيه ملكة الباحث المبدع الذي إليه تُشد الأنظار احتراما وتقديرا.

ليس من الذوق وحسن الأداء بَلَّهَ ما للأستاذية علينا من حقوق أن نأتي على هذه المقدمة دون أن نلتفت بكلمة شكر وعرفان إلى كل من أخذ بأيدينا بكلمة، أو رأي، أو مرجع، أو جهد... الخ، ونخص بالذكر الأستاذة الفاضلة الدكتورة نعيمة سعدية التي تشرفنا بإشرافها علينا، فكانت نعم المشرف جدا، واجتهادا، وحزما، وعزما، في أدب جم، يبعث على المزيد من العطاء والإصرار، وفي تواضع هو تواضع الكبار.

وإننا لمغتبطون بقبول اللجنة الموقرة هذا الجهد المتواضع على علاته، وبما نرجو إسداءه من النصائح والتوجيهات، بل ومغتبطون أيضا بما تأخذه علينا مما يمكن أن يكون قد شاب عملنا من نقص وما أبرئ نفسي بتزكيةٍ لست أهلا لها. وعلى الله قصد السبيل، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول

أولاً: التداوليّة:

- المصطلح

- النشأة والتطور

- المفهوم

من الجملة أو العبارة إلى الفعل

ثانياً: أفعال الكلام:

- تحليل المركب الإضافي (أفعال الكلام)

- الفعل: اللغة، المصطلح، المفهوم

الكلام باعتباره أحد ركني الإسناد.

الكلمة

الكلام

فائدة الإضافة في المركب (أفعال الكلام)

الجملة

العبارة

القضية

القول

الفعل التداولي:

- العمل القولي أو فعل التلفظ

- الفعل الإنجازي

- الفعل القضوي

- فعل التأثير بالقول

تصنيف الأفعال الإنجازية

الفصل الأول

دأب الباحثون من كل قبيل على أن يوطنوا لبحوثهم بما يحفظ الصلة بين الخالف والسالف، وهي صلة لا يمكن الغض من قيمتها أو التهوين من شأنها بحال. ذلك أن المعرفة العلمية بطبيعتها تراكمية، لا ينهض اللاحق منها إلا على أساس من السابق، وانطلاقاً منه. ولا يقوم في التصور إمكان انطلاق الباحث وإنجاز ما هو بصدد إنجازه على الوجه المنشود، من فراغ.

ومن هنا تعينت حتمية الاتكاء على الموروثات القبلية، لا سيما إذا كان ذلك الموروث مما لا بد منه. وواضح أن الحاجة إلى هذه الطة ليست سواء في جميع الحالات، ولا هي بالقدر نفسه، فقد تتباين تبعاً لطبيعة الموضوع ووجهة الباحث وخلفيته الفكرية. وأياً ما كانت تلك الصلة، فإن استغناء الباحث عنها بالمرة يبقى أمراً متعزراً.

وإذن فلا مطمع في إمكان نهوض الجديد إلا على أساس من القديم. ولسنا في هذا كله بدعا من غيرنا ممن سبقنا على درب البحث العلمي، حتى يتسق لنا القول في (أفعال الكلام) من دُونِ استنادٍ إلى (التداولية) باعتبارها الأصل الذي تحدّر منه هذا الفرع. كما لا يمكن في الوقت ذاته الوقوف على (أفعال الكلام) في (اللزوميات)، وعلى مقاصدها في الخطاب العلائقي من دُونِ إلمامٍ بموضوع (أفعال الكلام) بالقدر الذي يحول دون الزيغ والانحراف عن الجادة، أو الارتباك وضبابية الرؤية التي قد ترينا الأشياء والحقائق على غير على ما هي عليه.

ومن ثم فقد ساع لنا أن نوطئ لعملنا القاضي بتتبع مسار (التداولية) من حيث النشأة، التطور، المصطلح، والمفهوم الذي استقرت عليه لدى الدارسين حديثاً.

وصولاً إلى (أفعال الكلام)، باعتبارها فرعاً من فروعها، لنؤسس لما سنعرض له من القول في هذه الأفعال في (ديوان لزوم ما لا يلزم) لاحقاً.

وبذلك نطمئن إلى حفظ الصلة بين القديم والجديد على النحو الذي قصدنا، لينهض البحث كائننا ملتئم الأجزاء، وليفضي إلى ما كنا نود أن يفضي إليه.

أولاً: التداولية:

المصطلح:

ثمت ترجمات متعددة لهذا المصطلح الغربي المنشأ، يحضرنا منها: الاتصالية، التواصلية، التبادلية، النفعية، الذرائعية، الذريعية، الوظائفية، البراغماتية، علم التخاطب، إلى جانب المصطلح الأكثر تداولاً واستعمالاً (التداولية).¹

واللافت أن مداليل هذه المصطلحات متقاربة، يحيل بعضها على بعض وإن لم تكن واحدة، فهي مختلفة فيما بينها بعض الاختلاف أصلاً وترجمة، و هو اختلاف يُعزى إلى اختلاف الحقول الدلالية التي أفرزت هذه المصطلحات، كالفلسفة، واللسانيات، والاتصال... الخ من جهة، وتداخل هذه الحقول مع حقول مجاورة من جهة أخرى.²

ذلك أن بعض هذه المصطلحات ترجمة للمصطلح الانجليزي (pragmatics) الذي يقابله المصطلح الفرنسي (la pragmatique) بإفادته المعنى نفسه، وبعضهم جعل ذلك ترجمة للمصطلح (pragmatism).³ أما من حيث الأصل الذي ينحدر منه هذا المصطلح فيورد عبد الملك مرتاض أنه « لم يتم استعمال التداولية، من حيث هو مفهوم عام، في الثقافة اللاتينية قبل سنة 1438 للميلاد، ويعود في أصله الأجنبي إلى اللغتين الإغريقية (pragmatikos) واللاتينية بالمعنى القانوني: (pragmatika sanctio) ». ⁴ ثم يورد عقب

¹ - ينظر: ميجان الرويلي، و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي- إضاءة لأكثر من سبعين تياراً و مصطلحاً نقدياً- المركز الثقافي العربي، ط4، 2005، ص167. و فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص7 و ما بعدها.

و: إدريس مقبول، الأسس الابدستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، ط1، 2006، ص262.

و: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص15.

و: عبد الملك مرتاض: بين المقدس والمدنس، مقال في مجلة عالم الفكر، مج29، عدد1، يوليو/سبتمبر2000، ص263.

² - ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي- إضاءة لأكثر من سبعين تياراً و مصطلحاً نقدياً - المرجع السابق، ص167.

³ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص15.

⁴ - عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر 2007، ص390.

الفصل الأول

ذلك أن لهذا المفهوم في الثقافة الغربية عدة استعمالات: قانونية، وهو الاستعمال الأصل، فيما يبدو، ثم فلسفية، ومنطقية، ورياضياتية، ثم أخيراً لسانياتية وسيميائية¹.

ويستدرك عبد الملك مرتاض على من ترجم المصطلحين الغربيين: الانجليزي (pragmatics)، والفرنسي (pragmatique) بـ(التداولية). فيرى أن الدقة تقتضي أن يكون المقابل للأصليين الغربيين السابقين الانجليزي والفرنسي، هو مصطلح (التداول) بتجريد المصطلح من (الياء الصناعية) و(تاء النقل).

وهذا يعني أن المصطلح (التداولية) من دون تجريد، يقابل (pragmatism) في الانجليزية، و(pragmatisme) في الفرنسية، أي أن اللاحقة (ism) في الانجليزية، و(isme) في الفرنسية، يقابلها (ياء النسبة)، وهي ياء مشددة، و(تاء التأنيث) وبعضهم يسميها (تاء النقل)، في الترجمة العربية فيقال (التداولية).

أمّا ١ وأن يكون مصطلح (التداولية) في مقابل المصطلحين الغربيين السابقين، من دون لاحقة، فلا.²

وينتهي استدراكه بقوله: «وإنّا نلاحظ ذلك دون أن نتجانب عن استعمال المصطلح السائد في الوقت الراهن، حتى لا نزيد الطين بلاءً! و دون محاولة أحد من النقاد واللسانيين العرب المعاصرين الذين كثيراً ما يتعاملون مع صناعة المصطلح كما يتعامل الحاطب مع التماس الحطب بليل !...»³.

هذا ولئن استعمل الدارسون بعض هذه المصطلحات، لا على أنها مرادفة لمصطلح (التداولية) باعتباره مفهوماً، جرى العمل به، بل من باب الإجراء العملي الذي دعت الحاجة إليه - فإن هذا الاستعمال في حد ذاته، يكون قد التقى - مع (التداولية) في استعمالاتها المقصودة - اتفاقاً، من جهة. ومن جهة أخرى نجد أن هذا الاستعمال الذي لا ينطوي على

¹ - عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، المرجع السابق، ص390.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص397، 398.

³ - المرجع نفسه، ص398.

الفصل الأول

نية العمل بالمصطلح على أنه (تداولي)، يدل دلالة قاطعة على أن للتداولية وجودا بالقوة¹ ضاربا في القدم، وقبل أن ينظر لها المنظرون لاحقا. ويؤكد ذلك عبد الملك مرتاض فيقول: « ولقد تعامل العلماء والفلاسفة مع هذا المفهوم منذ القدم خصوصا لتأويل الأعمال النثرية والشعرية... كما استعمل لفهم كل الإبداعات الفنية، والحكايات الأسطورية، والأحلام، وأشكال الكتابات الأدبية بعامة. وكانت الدلالية أو علم الدلالة (sémantique) لدى قدماء الإغريق تنهض على مقولتهم الشهيرة: أن تقول شيئا ما عن شيء ما، فإنما يعني ذلك قول شيء آخر، أي تأويله ».²

ونفهم من هذا النص أن (التأويل) باعتباره إجراء، موغل في القدم كما أسلفنا، وأنه لا يكاد يختلف عن التداولية على ما هي عليه اليوم في الدراسات التي اعتمدتها منهجا، بل إن قوله: «أن تقول شيئا ما، فإنما يعني ذلك قول شيء آخر، أي تأويله» يعيد إلى أذهاننا ما قال به التداوليون، من أن الوقوف على مقاصد المتكلمين بالتأويل الصحيح، مرهون ب(كفاءات) في مقدمتها (الكفاءة التداولية).³

وتكون الحاجة إلى هذه الكفاءة أشد في الخطابات غير المباشرة «من منظور سورل Searle، فالمشكل الذي تطرحه اللغة غير المباشرة هو كالتالي: كيف يمكن لمتكلم أن يقول شيئا، ويريد أن يقول هذا الشيء، ويريد كذلك قول شيء آخر؟ وكيف يمكن لمستمع فهم اللغة غير المباشرة، بينما ما يقصده يدل على شيء آخر».⁴

ولا شك في أن القليل من الأعمال في هذا النص كاف لأن يجعلنا ندرك أننا في الخطابات التي تعتمد فيها اللغة غير المباشرة، لا نعوّل كثيرا على بنية الخطاب اللغوية فحسب وإن كانت لا بد منها لأننا لا يمكن أن نمرّ إلى المعنى غير المباشر إلا عن

¹ - ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ج2، ص202، 203.

² - عبد الملك مرتاض، التأويلية بين المقدس والمدنس (مقال)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- دولة الكويت، مجلة عالم الفكر، مج29، عدد1، يوليو/سبتمبر2000، ص264

³ - ينظر: إدريس سرحان، التأويل الدلالي- التداولي للمفوضات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2001، ص162، 163.

⁴ - فرانسواز أرمينكو François Recanati، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص71.

الفصل الأول

طريق المعنى الحرفي المباشر، وانطلاقاً منه، بل علينا أن نتجاوزها إلى السياق الخارجي بجميع مكوناته التي يقتضيها التأويل المشروع، بعد أن نكون قد تهيأنا لذلك بجملة من الكفاءات في مقدمتها (الكفاءة التداولية) كما أسلفنا.

وعلى المؤول أن يضع في حسابه أن بنية الخطاب، قد لا تبوح بمقصد المتكلم، فقد يقصد المتكلم في كلامه إلى شيء، ويدُفهم من البنية شيء آخر، غير ذاك الذي كان يقصده، لخرقٍ قد يكون مقصوداً لسبب ما، وقد لا يكون مقصوداً، وعلى المؤول في مثل هذه الحال أن يعدّ نفسه للتعامل مع الخطاب -زيادة على ما سبق ذكره من الكفاءة- بما يتوفر عليه من قدرة على الاستدلال.¹

يخرج في جوهره عن مضمون مقولة قدماء الإغريق التي ساقها عبد الملك مرتاض بشأن الدلالة عندهم.

وهذا يعني، من جملة ما يعنيه، أن (التداولية) بما تدل عليه بمصطلحاتها المتعددة، والمتباينة أحياناً، ولو بعض الشيء، إنما وجدت، كما أسلفنا، في تراث الأمم والشعوب بـ(القوة) قبل أن تنتهي لها أسباب الوجود بـ(الفعل) في العصر الحديث على الحال التي استقر عليها مفهومها، أو كاد، منهجاً قائماً بـ(الله)، وإن احتاجت إلى غيرها، وذلك أمر طبيعي في استعارة المعارف بعضها من بعض، وهو قانون لا يكاد يستثنى منه ضرب من ضروب المعرفة الإنسانية التي استقلت بنفسها، بعد خضوعها لقانون التطور والتشذّر والتعديل... الخ، ليبقى الأمكن والأصلح.

ومن الأمثلة التي يمكن أن تساق لذلك (النحو العربي) في تراثنا، فقبل أن يقوم النحو العربي علماً قائماً بذاته، له أسسه وقواعده ومنظروه، بل ومعلموه ومذيعوه في الأمصار والأصقاع - كان موجوداً بالقوة في كلام العرب، ثم أخرج إلى حيز الوجود بعد إعمال النظر

¹ - ينظر: إدريس سرحان، التأويل الدلالي- التداولي للمفوضات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق، ص163 وما بعدها.

الفصل الأول

في كلامهم واستقراءه، لا سيما ما كان منه شعرا. ولا يخامرنا أدنى شك في أن كلام العرب قبل القواعد التي استخلصها منه النحاة لاحقا.

ومما يدل على أن الكثير مما قال به التداوليون لا يعدم أصلا في تراثنا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْمَلُ تَوَائِيلُهُ إِلَّا لِلَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَرَكُ إِلَّا أُولُو الْأَبْصَارِ﴾. آل عمران/7.

فواضح من هذا النص القرآني أن التأويل يتعلق بالمتشابه وهو «أن يكون أحد الشيين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز».¹

ونقيض المتشابه أو المجلد المحكم الذي هو قدر مشترك بين النص الذي هو دلالة اللفظ على ما هو له في أصل الوضع من غير احتمال دلالاته على معنى آخر، والظاهر وهو أن يدل اللفظ على معنى محتمل راجح غير مانع من غيره.²

فإذا كان اللفظ دالا على معنى محتمل مرجوح يعضده دليل فذلك هو المؤول³، و«هو معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك».⁴

وحمل النص على المرجوح أو تأويله تأويلا صحيحا يحتاج إلى مؤهلات تؤهل المؤول خوض غمار التأويل بنجاح.⁵

و م وَدَى هذا الذي أمضينا القول فيكون مصطلح (التأويل) أو (التأويلية) يلتقي مع المصطلحات الصلة دلاليا من أكثر من وجه، وفي مقدّماتها مصطلح (التداولية) الذي ألمعنا إلى أنه الأفضى والأكثر تداولاً في الدراسات الحديثة.

1 - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج7، ص 167.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 168.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص 168.

4 - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب- بيروت، ج1، ص 267.

و: الجرجاني علي بن محمد بن علي الحسيني، التعريفات، تحقيق وتعليق نصر الدين تونسي، ط1، 2007، ص 90.

5 - ينظر: إدريس سرحان، التأويل الدلالي - التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول (مقال)، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق، 2011، ص 124 وما بعدها.

الفصل الأول

والإقرار بتميز مصطلح (التداولية) عما عداه من المصطلحات المرادفة له، يحتّم علينا أن نفرده بكلمة تقال فيه:

أجمع الباحثون المعنيون بالتأريخ لمصطلح (التداولية) على أن المصطلح (pragmatics) باعتباره مفهوماً، نشأ في أمريكا الشمالية أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في حضان الفلسفة (النرائعية) التي أسسها الفيلسوف الأمريكي (تشارلس ساندز بيرس Charles Sanders Peirce).¹

وبمقتضى التطور أفضت الفلسفة (النرائعية) إلى (التداولية) منهجا في دراسة اللغة.² أما فيما يتعلق بـ(التداولية) مصطلحا عربيا مقابلا للمصطلحين: الانجليزي (pragmatics)، والفرنسي (pragmatique)، فقد بدا لنا أن نستشير (لسان العرب) لابن منظور: « دول: الدّولة و الدّولة: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدّولة، بالضم، في المال، والدولة، بالفتح في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما... الجوهرى: الدّولة بالفتح، في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدّولة، والجمع الدول، والدّولة، بالضم، في المال، يقال، صار الفيء دُولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا... والدّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال فمن قرأ « كي لا يكون دولة » فعلى أن يكون على مذهب المال، كأنه كي لا يكون الفيء دُولة أي متداولاً... وفي حديث الدعاء: حدثني بحديث سمعته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لم يتداوله بينك وبينه الرجال أي لم يتناقله الرجال وترويه واحدا عن واحد إنما ترويه أنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم... وتداولنا الأمر أخذناه بالدول... ».³

¹ - ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، المرجع السابق، ص167.

و: مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص15.

و: جون ديوي، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، ومراجعة محمد ناصر، تصدير محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ص13.

² - ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، المرجع السابق، ص390، 391.

و: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي التداولية، المرجع السابق، ص15، 16.

³ - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، مج11، مادة (دول) ص301، 302.

الفصل الأول

وبتأملنا هذا الذي أورده (صاحب اللسان) بشأن المادة (د و ل) وما اشتق منها، وتفرع عنها، مما له صلة بما نحن فيه - نستنتج أن المعنى لا يكاد يخرج عن: التناوب، التعاور، التداول، في الفعل، سواء تعلق الأمر بالمال، أو الحرب، أو الحديث.

ويؤيد هذا المعنى ما قال به علماء الصرف من أن الصيغة (تفاعل) التي هي هنا (تداول)، والمصدر (تداول) بزيادة (التاء) و(الألف) - تدل على الاشتراك في انجاز الفعل، الذي هو أشهر معانيها، ك: تضارب زيد وعمرو، وعلى المطاوعة ك: أَلَيْتُ الصوم فتوالى أي تابعته فتتابع.¹

وحمل «تفاعل» التي هي عندنا هنا «تداول» على المطاوعة مستبعد، والحمل على الاشتراك أظهر وأوجه.

ولا نعدم لدلالة (تفاعل) على الاشتراك شاهدا من الشعر العربي، قال عنتره:²

إِذَا أزالَ على رِجَالِ سَابِحٍ نَهْدِغُورَهُ الْهَامَةُ كَلَمٌ

ونلفت النظر ابتداء إلى أن الظرف (إِذ) في صدر البيت متعلق بما قبله. والشاهد في البيت هو الفعل المضارع غُورَ (غَوَّرَ)، والمصدر (الغَوْرُ)، الذي يفيد الاشتراك في الفعل بين هذا وذاك.

أما الانتقال من المصدر الصريح (التداول) إلى المصدر الصناعي (التداولية) فقد تم باعتماد الحرفين (ياء النسبة) وهي ياء مشددة، و(تاء التانيث المربوطة) والتي يسميها بعضهم (تاء النقل) - ليدل المصدر بعد هذه الزيادة على مجموعة الصفات الخاصة بذلك المصدر.³

¹ - ينظر: عمر بن أبي حفص الزموري، في فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1991، ص247.

² - الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة - بيروت، ط1969، ص291.

³ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط5، ج3، ص186، 187.

الفصل الأول

وهذا الاشتراك المستفاد من صيغة المصدر الصريح (التداول) من جهة، ومجموعة الصفات المستفادة من المصدر الصناعي (التداولية) من جهة ثانية، يعد الأساس الذي تنهض عليه (التداولية) منهجا معتمدا في الدراسات اللسانية الحديثة. واذن فإنجاز (الفعل التداولي) يقوم على الاشتراك بين المتكلم والمخاطب في إطار من السياق وملابسات القول أو الكلام.

ولا شك في أن واضع المصطلح العربي (التداولية) في مقابل المصطلح الغربي، قد استحضّر في ذهنه - وهو يفكر في وضع هذا المصطلح - هذه الشبكة من العناصر المتداخلة، المكونة لـ (الفعل التداولي)، والتي يفترض فيها أن تكون متناغمة لتؤدي (الفعل) على الوجه الأكمل.

النشأة والتطور:

بدر إلى الذهن، ونحن نهم بالحديث عن نشأة التداولية، قول أحمد أمين- وهو يؤرخ للعقل الإسلامي وتطوره- : « ذلك أن مدار البحث في المسائل المادية وما يشبهها واضح محدود، وما يطرأ عليها من تغير ظاهر جلي. أما الفكرة، فإذا حاولت أن تعرف كيف نبتت، وكيف نمت، وما العوامل في إيجادها وما العناصر التي غذتها، وما الطوارئ التي طرأت عليها فغذتها أو صقلتها أعياءك ذلك، وبلغ منك في استخراجها الجهد، لأن الفكرة أول أمرها لا مظهر لها، نستدل به عليها، وقد تتكون من عناصر قد لا تخطر ببال»¹.

واين الأمر لكما قال أحمد أمين. ذلك أن المعرفة تراكمية بطبيعتها، يعمل سابقها في لاحقها، من حيث ندري ومن حيث لا ندري، وتتداخل الحقول المعرفية تداخلا، يصعب معه معرفة من أين يبدأ كل منها، وإلى أين ينتهي، ولا شك في أن أخذ هذا كله في الاعتبار، مما لا بد منه لكل باحث، يروم معرفة البدايات الأولى التي أفضت إلى (التداولية) لاحقا، بعدما عمل الزمن في تلك البدايات عمله- من أن يستحضره ليروض نفسه، ويوطنها على احتمال تبعات البحث في دروب المعرفة الملتوية والمتداخلة.

¹ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط 10، ج 1، ص (أ).

الفصل الأول

وفي السياق نفسه يقول (جبلالي دلاش) كلاما ليس ببعيد عما قاله أحمد أمين:-
« إن استعراض منشأ اللسانيات التداولية، ليس بالأمر الهين، ولا سيما وأنها مدينة لعدد من التيارات الفلسفية، وهذا لعمري ميدان يستلزم طرقه تكويننا متينا، غير أن ثمة معالم تيسر لنا- فيما نعتقد - ولوجه ¹».

والمهم في كلام دلاش، إقراره بصعوبة البحث في منشأ التداولية، ويهيب بالماضي في تلك السبيل أن يعد العدة لخوض الغمار بنجاح، ولكنها مع ذلك ليست -في نظره- الصعوبة الصادمة المحبطة إذا ما استبان الباحث معالم، من شأنها أن تشده إلى مركز جانبية الموضوع المراد بحثه، وتمنعه من أن يزيغ أو يضل.

وهذا الذي ذكرنا آنفا، من أن لكل جديد ~~هول~~ ضاربة في عمق القديم، خير م^عين لنا على القول بكون (التداولية)- ولو من بعض الوجوه - ولدت من رحم الفلسفة «إن التداوليات مقارنة وجدت لبدائياتها منشأ في حضن فلسفة اللغة العادية، هذا التيار الفلسفي الذي نشأ مع رواد الفلسفة والمنطق، أمثال (فريج Frege)، (وراسل Russel)، و(فكتجنشتين Wittgenstein)، و(ستراوسن Strawson). هؤلاء وغيرهم (كارناب Carnap) و(بارهيلل Barhillel). الذين حاولوا التمهيد لتداوليات نظرية انطلاقا من فكرة المعارف والعلاقات...»².
ولئن كان اقتران اللغة بالفكر والفلسفة والمنطق قديما، يرتد إلى عهد الإغريق « إن مشكلة الصلة بين الفكر واللغة ذات جذور تاريخية قديمة... فبدأت المشكلة تظهر عند اليونان، وبالتحديد عند السوفسطائيين.. أي أن السوفسطائية قد بحثت في اللغة فأداها هذا البحث إلى المنطق... ومن بعدهم جاء سقراط Socrate الذي حاول أن يخضع الفكر للغة... أما أرسطو فقد اهتم بموضوع العلاقة اهتماما كبيرا حين فطن إليها، وهو يضع أسس

¹ - الجبلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية (طلبة معاهد اللغة العربية وآدابها)، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، ص4.

² - عبد السلام إسماعيلي علوي، ما التداوليات، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق، ص17.

الفصل الأول

منطقه الصوري...»¹ - فإن الفلاسفة في العصر الحديث قد استحدثوا - انطلاقاً من منطق

أرسطو الصوري - لونا جديداً من المنطق سموه بـ (المنطق الرمزي (logique symbolique)،

«وهو يعبر عن قوانين المنطق بالرموز والإشارات، لا بالألفاظ والعبارات، ويسمى هذا

المنطق الرمزي بـ (المنطق الرياضي (logistique)».²

واعتمد المنطق الرمزي اللغة الاصطناعية التي ظلت حبيسة المركبات الإخبارية، لأنها

في اعتقاد هذا التيار من المناطق هي وحدها القادرة على أن تعبر عن تصور ذهن للواقع.

ثم ما لبث هؤلاء الفلاسفة أو بعضهم - على الأقل - أن صرفوا اهتمامهم إلى اللغة

الطبيعية العادية، لأسباب موضوعية أفصح عنها بعضهم حيث قال: «غير أن تياراً آخر من

الفلاسفة المهتمين باللغة برز في وقت لاحق، تبنى دراسة اللغة الطبيعية منفصلة عن

اللغات الاصطناعية الصارمة، مؤكداً على أن الغموض الذي تتصف به اللغة الطبيعية

جوهرية لها، فلا يمكن تمثيله في اللغات الاصطناعية، وإلا تغير موضوع البحث، وهو اللغة

الطبيعية، ولم تعد النتائج الحاصلة معبرة عنه».³

والشاهد في النص ماثل في أن العدول عن اللغة الاصطناعية إلى اللغة الطبيعية،

عدول يجد مسوغه ووجاهته في عدم قدرة اللغة الاصطناعية على أن تمثل الغموض الذي

يكتنف اللغة الطبيعية، وهو غموض جوهرية فيها، لا ينفك عنها.

وإنما تأتتْ تسويغ هذا العدول - فضلاً عما ذكر - من جهة أن وظيفة اللغة تمثيل العالم

«وبما أن اللغة تصوير للوقائع، أي تصوير للأشياء والعلاقات القائمة بينهما في الواقع، فهذا

بحد ذاته يبين علاقة اللغة بالعالم».⁴

¹ - حسن بشير صالح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية - ط1، 2003، ص153، 152.

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص429.

³ - طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، ص1.

⁴ - عبد الله الجسمي، المنطق وتصور فتجنشتين للفلسفة (مقال)، مجلة عالم الفكر، المرجع السابق، ص141.

وقد عجزت اللغة الاصطناعية عن هذا التمثيل، ومن ثمة تعين أن يصبح موضوع الدراسة هو اللغة الطبيعية، لأنها تمثل العالم مباشرة، لا بواسطة، كما هي الحال في اللغة الاصطناعية القائمة على الصرامة والتعسف بدعوى العلمية.

في ضوء ما تقدم من العوامل والبواعث التي أتينا على ذكرها، والتي أفضت إلى أن تصبح اللغة الطبيعية العادية موضع اهتمام الفلاسفة، وأن هذا الاهتمام انتهى إلى (التداولية) لاحقاً، منهجاً قائماً بذاته- في ضوء ذلك، وإن ندرك في وضوح، أن سذنة التطور الكامنة في طبيعة المعرفة، تعد العامل الأول في ظهور أي فرع من فروعها «ذهب بعض مؤرخي العلم وفلاسفته إلى أن المعرفة العلمية تنمو وتتطور بفضل إضافات منتظمة متوالية لحقائق جديدة إلى حقائق سابقة، كأنما هذه الإضافات طبقات يركب بعضها فوق بعض مرتقية تدريجياً نحو تحقيق الكمال في المعرفة... فمن هذه الجهة لا تقدم إلا مع الزيادة في الحقائق، ولا زيادة فيها إلا مع صيانة ما حصل منها...»¹.

أول ما يتبادر إلى ذهن من يتأمل هذا النص، التأكيد على أن المعرفة تنمو بالإضافة، وأن هذه الإضافة تقتضي أن تكون هناك مكتسبات قبلية محفوظة، أضافها من كان من قبل إلى رصيد من سبقه في سلسلة الإضافات، تنهض عليها إضافة اللاحق. والإضافة إنما هي وليدة الحاجة، والثابت في حاجات الناس -على ما بينهم من التفاوت- أنها لا تقتضي، وكلما ازدادت هذه الحاجات ازدادت على قدر ذلك الرغبة في تلبيتها، ومن ثم تحصل الإضافة. والشرط في أية إضافة -حتى تكون سائغة وبناءة- أن تتناغم مع ما قبلها، أي أن تفيد منه لا أن تلغيه بالمرة، وتتهياً للتفاعل الإيجابي مع ما سيأتي بعدها.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن التعبير المنشود الذي نتمناه، لا يحصل فجأة أو وفق ما نقدر ونريد دائماً، وكيفما كانت تقديراتنا، وإنما يحتاج إلى وقت يتدرج خلاله من حال إلى حال وفق سذنة التطور التي تحكم الحياة. وأخذ هذه السنة في الاعتبار مفيد للعاملين وناشدي

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2006، ص25.

الفصل الأول

التغيير في الأمة لئلا يستعجلوا جني ثمار ما يبذلون، ناسين أو متناسين أن لكل شيء في الحياة إِبَّاً أنا لا يعدوه.

ولا يفوتنا أن نلفت مرة أخرى -رفعا للبس- إلى أن هذا الذي أتينا على ذكره، من أن المعرفة بطبيعتها تراكمية، وأنها -بتعبير الدكتور طه عبد الرحمان- تتكوثر بالإضافة الجادة والفاعلة، لا يعدو -في مجمله- أن يكون عاملا مبدئيا، حاضرا باستمرار وراء كل تطور معرفي.

ويمكن أن نضيف إلى هذا العامل المبدئي عوامل أخرى، هي أقرب إلى أن تكون مباشرة، تنضوي تحته وتتفرع عنه، تتصل بظهور (التداولية) منها معتمدا في الدراسات الحديثة، وخاصة في الحقل اللساني.

وقد حضرنا من تلك العوامل- ولعله الأهم والأبلغ أثرا - ما يلي:

1- نشأة الفلسفة التحليلية في العقد الثاني من القرن العشرين على يد الفيلسوف الانجليزي (فريجة G.frege. 1848-1925) في كتابه (أسس علم الحساب). و إن خالف البعض في ذلك، فرأى أن مرد ظهور الفلسفة التحليلية إلى فلاسفة المدرسة الانجليزية الحديثة، أمثال: (جورج مور)، (برتراند رسل Bertrand Russel)، (فتغنشتاين wettgenstein)، ثم (كارناب Carnap)، و(آير)... في أواسط القرن العشرين.¹

ومع ذلك فإن صلة المتأخر بالمتقدم من هؤلاء الفلاسفة و المناطق، تظل قائمة ومرعية، بشهادة المتأخر منهم وبصرف النظر عما يعود إليه فضل التأسيس، أو فاته شرف ادعائه « فقد أصدرت الحلقة بيانا عام 1929، أبرزت فيه مرتكزاتها المعرفية، ومتصوراتها الفلسفية. كما أنها اعترفت بدينها لفلاسفة وعلماء سابقين نذكر على سبيل المثال منهم: (كونت) و(هيوم) و... و(فريجة) و(رسل) و(فتغنشتاين)... ».²

¹ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص18.

² - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة- مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، ص167.

وأياً من كان المتقدم، فإن الذي يعنينا هنا، مما له صلة تكاد تكون مباشرة بنشأة (التداولية) - ما أنجزه (فريجة) في هذا الاتجاه، حيث ميز بين (اسم العلم)، و(الاسم المحمول)، في سياق إثارة مشكل الإحالة، وهو مشكل مركزي في فلسفة اللغة.¹

وميز بين اللغة العلمية، واللغة العادية، وأوضح أن اللغة العادية « يجب أن تكون متعددة المعاني، كي تتمتع بثراء الممكنات التي تهيب لها تأدية وظائفها التواصلية، بالشكل الملائم ». ²

وقد حدا حذوه في ذلك (فتغنشتاين)، من حيث إنه اهتم هو كذلك باللغة العادية، معرضاً عن تحليل البنية المنطقية للغة العلمية، مؤكداً أن الأقوال المنطقية « فارغة من المعنى، بما أنها لا تحيل على الواقع، بل تشكل إطاراً سوريا ما قبلها للمعرفة العلمية ». ³

ويقصد بـ(الأقوال المنطقية) التي وصفها بأنها (فارغة من المعنى)، القضايا الميتافيزيقية، لأنها « لا تعبر عن أشياء واقعية أو ملموسة، فهي تتناول أموراً لا ترى بالعين المجردة، والتي تعتبر أساساً ينطلق منه العديد من الفلاسفة في تفسيرهم للعالم و الحياة والظواهر والمشكلات التي يعيشها الإنسان... ». ⁴

لذلك فهو يرى أن المشكلات الفلسفية التي تعامل معها في كتابه (الرسالة المنطقية) « مشكلات ناتجة عن سوء فهم منطق اللغة ». ⁵

2- قصور (المنطق الصوري) في صورتية: القديمة الموروثة منذ (أرسطو)، والحديثة كما هي بادية في (المنطق الرمزي)، عن تمثيل العالم بإخضاع اللغة العادية للوصف، وبالاقتصار منها على (المركبات الإخبارية) دون سواها.

¹ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص18.

² - فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للطباعة و النشر والتوزيع- سوريا، ط1، 2007، ص30.

³ - فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص30.

⁴ - عبد الله الجسمي، المنطق وتصور فتغنشتاين للفلسفة (مقال)، مجلة عالم الفكر، المرجع السابق، ص147.

⁵ - المرجع نفسه، ص146.

الفصل الأول

فقد ظل تمثيل العالم مطلباً بعيد المنال، لاعتماد اللغة الاصطناعية الصارمة، واستعصاء اللغة الطبيعية عن أن تستنفد وصفها اللغة الاصطناعية «غير أن تياراً آخر من الفلاسفة المهتمين باللغة برز في وقت لاحق، تبنى دراسة اللغة الطبيعية منفصلة عن اللغة الاصطناعية الصارمة، مؤكداً على أن الغموض الذي تتصف به اللغة الطبيعية جوهري لها، فلا يمكن تمثيله في اللغات الاصطناعية، وإلا تغير موضوع البحث، وهو اللغة الطبيعية، ولم تعد النتائج الحاصلة معبرة عنه».¹

ولنا أن نفهم من هذالنص، أن المهمة التي يُنتظر من اللغة الاصطناعية أن تضطلع بها، هي وصف اللغة الطبيعية، وقد أخفقت في أداء هذه المهمة، لاستعصاء اللغة الطبيعية عن الوصف، لما يكتنفها من غموض، هو فيها جوهري.

وإذا ما علمنا أن وظيفة اللغة التي انصب عليها اهتمام الفلاسفة وعلماء المنطق، هي تمثيل العالم، وقد أخفقت اللغة الاصطناعية في أداء هذه الوظيفة- تحتّم، إذن، على المنطقة الأخذ باللغة الطبيعية، لأنها، دون سواها، المؤهلة لأداء هذه الوظيفة.

وبذلك يكون (المنطق الصوري الرمزي) في صورته العلمية الصارمة، قد أخفق إذ رام تمثيل العالم من جهة وصف اللغة الطبيعية أي باتخاذها إياها واسطة بينه وبين مطلبه المنشود الذي هو تمثيل العالم.

وقد تتبّه المنطقة، أو بعضهم على الأقل، فعدّلوا عن التماس التمثيل من جهة اللغة الاصطناعية إلى التماسه من جهة اللغة الطبيعية «وقد أحست حلقة فيينا بضرورة التمييز بين اللغة التي يتكلمها البشر، واللغة التي تتحدث عن لغتهم، حيث أطلق عليها اللغة الواسفة».²

وإذن، فهناك لغة طبيعية، وهي تلك التي يتكلمها البشر، ولغة يصطنعها الفلاسفة وعلماء المنطق «فعلى خلاف اللغات الطبيعية، فإن اللغات الصورية الاصطناعية، يبينها

¹ - طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص01.

² - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة- مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، المرجع السابق، ص167، 168.

الفصل الأول

ويصيغها المناطق وعلماء الرياضيات¹ تتخذ من اللغة الطبيعية موضوعا لها بأن تصفها، وبذلك تكون اللغة الاصطناعية قد اتخذت بينها وبين وظيفة تمثيل العالم واسطة، وهي اللغة الطبيعية المستهدف وصفها.

هذا على اعتبار أن هؤلاء الفلاسفة ينظرون إلى اللغة على أنها أداة لتمثيل العالم «وبما أن اللغة تصوير للوقائع، أي تصوير للأشياء والعلاقات القائمة بينهما في الواقع، فهذا في حد ذاته يبين علاقة اللغة بالعالم»².

وإذا لم تكن هذه المهمة هي كل ما يُنتظر من اللغة أن تؤديه، فإن تمثيلها للعالم يعد بعض وظائفها الأساسية، إن تعذر الإجماع. «من هنا يقترح بوهلر ثلاث وظائف أساسية للغة: وظيفة التمثيل، ووظيفة التعبير، ووظيفة الاستدعاء»³.

3- استقلال اللسانيات البنوية على يد العلامة (فردناند دوسوسير Ferdinand de Saussure 1857-1913). الذي أكبَّ على دراسة اللغة دراسة علمية، بمقتضاها انكفأت اللغة على نفسها انكفاء، تجسده الجملة الماثورة التي تُعزى إليه «ومفادها أن اللغة يجب أن تدرس بذاتها ولذاتها»⁴ دراسة لا سلطان للمحيط الخارجي عليها «ومنذ ذلك الحين تحول مركز الاهتمام من دراسة ما يحيط باللغة إلى دراسة بنيتها»⁵ وهو ما يؤكد استقلاليته عن السياق الخارجي بجميع مكوناته، والحقول المعرفية ذات الصلة، والتي كان في الإمكان أن تفيد منها. وبدل الاستمداد من المحيط الخارجي، والتفاعل معه، انصب اهتمام الدارسين على السياق الداخلي، واعتنوا بالعلاقة التي تحكم العناصر المكونة للبنية، بعضها ببعض، وقرَّ في النفوس أن قيمة العنصر يكسبه إياها موقعه من العناصر الأخرى في التركيب، والتي

¹ - فان دايك Van Dijk، النص والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، ص37.

² - عبد الله الجسمي، المنطق وتصور فتجنشتين للفلسفة (مقال)، المرجع السابق، ص141.

³ - كارل أوتو أبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة وتقديم عمر مهيب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، ص64.

⁴ - زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، ص110.

⁵ - نعوم تشومسكي، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة وتقديم محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص9.

الفصل الأول

يفترض أن تكون متناغمة فيما بينها، ولا ضير بعد ذلك أن يُعزل التركيب أو البناء عن سياقه الخارجي.

فهذه النزعة الانكفائية التي استندت بـ(دوسوسير) وأتباعه، أخرجت اللغة عن كونها كائناً نابضاً بالحياة، يختلط فيه الفطري بالمكتسب، والعاطفة بالعقل، والذاتي بالموضوعي، والشعور باللاشعور.

وصنّعُ كهذا الذي أسس له (دوسوسير) وأسلمه إلى أتباعه من بعده، فيه إقصاء للغة عن الحياة، ما بعده إقصاء.

ولا عجب بعد ذلك أن نسمع أصواتاً تتادي بجسر الهوة بين اللغة والحياة وهو جوهر مطلب التداولية التي تنظر «إلى اللغة بوصفها نشاطاً إنسانياً، وليس مجرد نسق مغلق قائم بذاته».¹

ربما عزز الموقعَ الملاحظيت به التداولية في الدراسات الحديثة، ظهورُ التوليدية في أواسط الخمسينيات، وقدرتها على استقطاب المشتغلين بالدرس اللساني، شأن كل بادرة أو فرع من فروع المعرفة يظهر لأول مرة، ومع ذلك فإنها لم تقوَ على الانفلات من الانكفائية، فمثلاً في ذلك مثل اللسانيات البنيوية تماماً، ولقد انتقد كل من اللساني البريطاني (هالدي) والأمريكي (هايمز)، (تشومسكي Chaumskie) في قوله بالملكة وثنائية اللغة والأداء لأنه تعامل مع اللغة بكيفية تجريدية و بمعزل عن المحيط الاجتماعي وحاجات الناس.²

ولِى هذا القصور في تعامل تشومسكي Chaumskie مع اللغة، يرد ليفنسون نشوء المنهج التداولي «يرى ليفنسون أن الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي، كان بمثابة ردة

¹ - كارل آتو آبل: التفكير مع هابرماز ضد هابرماز، المرجع السابق، ص64.

² - ينظر: مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق، ص28.

و: مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002، ص21، و26 و ما بعدها.

الفصل الأول

فعل على معالجة تشومسكي Chaumskie للغة بوصفها شيئاً تجريبياً، أو قسرها على كونها قدرة ذهنية بحتة غفلا من اعتبار استعمالها و مستعملها، ووظائفها¹.

وواضح أن ليفنسون يقصد التداولية باعتبارها منهجاً قائماً في الدراسات، بعد أن تجاوز مرحلة النشوء الأولى وما صاحبها من تعثر. نرجح هذا الفهم، لأن التداولية كانت قد ظهرت - على ما علمنا - قبل مجيء تشومسكي Chaumskie بتوليديته أو تزامنت معه على أقصى تقدير. ومعنى ذلك أن تشومسكي Chaumskie كان سبباً من الأسباب التي عجلت باكتمال نضج التداولية، فإذا هي منهج قائم في الدراسات الحديثة كما أسلفنا، وليس بالذي كان سبباً في إنشائها ابتداءً.

المفهوم:

لا عجب أن يختلف الناس بشأن كل بادرة أو فكرة تلوح في أفق دنياهم، لم يكن لهم بها عهد من قبل.

ويشتد هذا الخلاف ويضعف على قدر حال المولود الجديد وأهميته، ومدى مباينته لما ألف الناس.

ومسألة الاختلاف بين القديم والجديد ليست بالأمر العارض في الزمان والمكان المحددين، لا تعدوهما «لم يخل عصر أدبي في حياة الأمم التي كان لها نصيب من الأدب، وحظ في إتقان القول وإيجادته، من هذه المسألة "مسألة القدماء والمحدثين" ولم تظهر هذه المسألة في عصر من العصور، أو أمة من الأمم، إلا أحدثت خلافاً عظيماً، وقسمت الأدباء...»².

وأن هذا الاختلاف ليس مقصوراً على الحياة الأدبية، ولا هو بالعارض المؤقت، بل يشمل الحياة كلها، وهو سنة ماضية فيها، لا يحدّها زمان ولا مكان «وكذلك كانت الحال قديماً، وكذلك كانت الحال في هذا العصر الذي نعيش فيه. وفي الحق أن الاختلاف بين

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004، ص21.

² - طه حسين: حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، ط9، ج2، ص3.

الفصل الأول

القديم والمحدث ليس مقصورا على الأدب وحده، وإنما يتناول كل شيء، يتناول الفن والعلم، ويتناول الفلسفة، ويتناول الحياة نفسها في فروعها المختلفة، المادية والسياسية والاجتماعية، وذلك معقول...»¹

وإِذا، فطبيعي أن تتباين المواقف من (التداولية)، بل وأن يشتد هذا التباين حتى ليصل الأمر بالبعض أن يعتبرها « نفاية تداولية، من أجل تعيين مزبلة نظرية *dépotoir théorique*، في حيث يمكن إلقاء كل المشكلات المعتاصة على الحل في النظم، والدلالة. إن تداولية اللغة المعاصرة، لا تجمع في ثناياها إلا طائفة من البحوث المنطقية/اللسانياتية ذات الحدود الغامضة»² فيما وصفها به (بار-هيلل Barr-Hillel) وهو أحد مؤسسيها، أو «غرفة مهملات نودع فيها المشاكل التي لم يكن في مكنتها المعالجة في النحو والدلالة، وخاصة المشاكل ذات الاستعمال اللساني».³

أو أنها «قمامة اللسانيات *poubelle de linguistique* على حد ما وصفها به أحد الإيطاليين».⁴

وإن كانت (كاترين كيربرت أورشيوني Catherine Kerbrat-Orechioni) قد لطفت من حدة هذا القدح، فارتأت «أن الوصف الأقرب والأقل تجريحا هو اعتبار التداولية بمثابة "مأوى إسباني *auberge espagnole*" للسانيات، قابل لأن يستقبل في فضائه مختلف الإشكالات الأكثر أو الأقل اختلاطا».⁵

وفي تلطيفها هذا خطوة، تكون قد أسهمت بها في التأسيس للاعتدال في الموقف من (التداولية)، والذي سيغدو فيما بعد مدحا وثناء، أو رضا على الأقل. ذلك أن (التداولية) استطاعت مع مرور الأيام أن تنتزع رضا وتقدير الدارسين، بعد أن اجتازت مرحلة التعثر والتملل.

1 - طه حسين: حديث الأربعاء، المرجع السابق، ص3.

2 - عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، المرجع السابق، ص400.

3 - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص12، 14.

4 - ينظر: إدريس مقبول، الأسس الاستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه، المرجع السابق، ص 265، 266.

5 - المرجع نفسه، ص266.

الفصل الأول

وفي سياق هذا الرضا يورد مسعود صحراوي « وبالنظر إلا ما شاع من تصورات خاطئة عن هذا المنهج الجديد، فإننا نوضح أن التداولية ليست أي شيء مما يلي: ليست سلة لمهمات اللسانيات، بحيث تعتبر كل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها مجالا للبحث التداولي، وهذا يقتضي أن الظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهمة ولا متروكة بالضرورة ومن ثم فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي...»¹.

وواضح أن صاحب النص ينتصر للمنهج التداولي ويغدو القدر عند حسن من حسنات التداولية ومزاياها.

ومن شواهد هذا الرضا، وربما الإعجاب، أن أقبل الدارسون في كثرة كثرة، على هذا المنهج في دراساتهم.

وما اعتمادنا إياه في موضوعنا الذي نحن بصدده إلا شاهد آخر يقوم، يضاف إلى الشواهد الكثيرة التي لا يتسع المقام لبسط القول فيها. ولتعدد تعريفات التداولية وكثرتها واختلافها فيما بينها، ارتأينا أن ننتقي بعضها انتقاء نراعي فيه المزية:

وأول ما شد انتباهنا منها تعريف الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس Charles Morris). ومزيته أنه « هو من جعل للتداولية معناها المعروف »².

ففي سنة 1938 كتب مقالا في موسوعة علمية بين فيه « مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي: علم التركيب ...، وعلم الدلالة، وأخيرا التداولية التي تعني، في رأي موريس Morris، بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها »³.

ففي قوله هذا ما يمكن اعتباره تعريفا للتداولية جديرا بالتأمل والتدبر.

¹ - مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر (مقال) ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق ص 40.

² - محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية- دراسة في التحليل التداولي للخطاب (مقال)، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق، ص 311.

³ - آن روبول وباك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص 29.

ولئن جاز لنا أن نأخذ موريس Morris بشيوع هذا التعريف، لاتساع (العلامة) إلى أن تكون لغوية وغير لغوية، فإننا نرى فيه بادرة فتحت لمن جاء بعده، وربما في زمانه، كوة أطل من خلالها على التداولية بما تضمنه من عناصر، لا بد منها في الدرس التداولي. أما العنصر الأول، فيتمثل في (العلامة) ومع أن مصطلح (العلامة) يتسع إلى العلامة اللغوية وغير اللغوية¹ فإن الذي يهمننا منها (العلامة اللغوية) فحسب. وتكتسب العلامة اللغوية التي نعني بها العنصر اللغوي الدال على معناه المعجمي، معناها التداولي في سلسلة النظم المتضامنة عناصرها فيما بينها، لتفضي في النهاية إلى الدلالة الإجمالية للتركيب.

وأما العنصر الآخر فهو (المستخدم للعلامة)، والمستخدم للعلامة هو المتكلم باعتباره ساعيا لتحقيق غرض ما، كأن يستهدف التأثير في المتلقي أو إقناعه أو هما معا، والمخاطب باعتباره معنيا بالتأويل الذي لا يخلو هو كذلك من غرض يلتزمه في تأويل الخطاب. وإن فهمنا متلازمان لا يمكن أن نتصور وجود أحدهما دون الآخر. وحتى يؤدي كل منهما وظيفته في الخطاب، لا بد من وجود علاقة بينهما، تقوم على (مبدأ التعاون) والخلفية المشتركة.

وجمعُ موريس Morris بين هذه المستويات الثلاثة في مقالة واحدة، يجد مبرره في التداخل الحاصل بينها.

ذلك أن الكلمات، بمعزل عن التركيب، لا تتجاوز دلالتها المعجمية التي هي لها بالتواضع « فليس بين كلمات المعجم أي علاقة عضوية، وقد يكون بين كل طائفة من هذه الكلمات علاقة اشتقاقية معينة هي اشتراكها في أصول المادة ».²

¹ ينظر: عبدة صبطي ونجيب بخوش، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص22 وما بعدها
² - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979، ص312، 313.

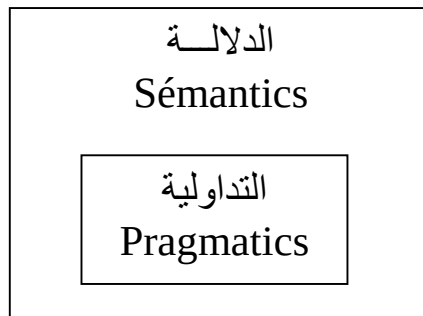
الفصل الأول

وأما النظام النحوي فيقوم على الألفاظ المعجمية التي هي مادة التركيب، على أن يراعى فيها العلائق النحوية التي تنتظمها في كل متكامل، تأخذ عناصره بعضها بأعناق بعض في سلسلة التركيب أو النظم.

فيكون الحاصل من المستويين المعجمي والنحوي، مضافا إليهما الظواهر السياقية التي تتجلى في الكلام (الأداء)- هو البنية التركيبية الجاهزة على أنها خطاب، أو وحدة في سلسلة الخطاب، إذا ما وضعت في سياقها الخارجي الذي به تكون قد خرجت من المستوى النحوي إلى المستوى التداولي، الذي هو أشد تعقيدا، لأنه يقوم على شبكة من العلاقات بين مكونات السياق الداخلي والسياق الخارجي المتداخلة في الخطاب.

واللافت أن الدلالة لا تنفك عن المستوى النحوي وما يتضمنه من دلالات معجمية «أما مسألة تمييز العلاقة بين الدلالة المعجمية ودلالة الجملة، ومسألة نطاق تعالق التركيب الإسنادي والسيمانطقي فهما مترابطان ترابطا قويا بحيث إنهما مسألتان تكاد تكون كل واحدة منهما على وجه التحقيق مسألة واحدة....»¹ فضلا عن المستوى التداولي.

ولعل هذا الحضور للدلالة في المستوى التركيبي، وما ينضوي تحته من دلالات معجمية، والمستوى التداولي، هو الذي حمل من أخذ بالاتجاه التداولي، على أن يعتبر (التداولية) جزءا من الدلالة وليس العكس، وتمثيل هذه العلاقة باد في الشكل الآتي:²



¹ - راث كيمبسون، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار الأمان- الرباط، ط1، 2009، ص153

² - إدريس مقبول، الأسس الابدستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، المرجع السابق، ص267.

الفصل الأول

ونشد على تعريف (تشارلز موريس Charles Morris) بتعريف آخر من تعريفات عدة أوردها (ليفنسون levinson.s.c) وهو قوله: «التداولية دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمى بأفعال اللغة speech acts».¹

ويحيلنا هذا التعريف على جملة من العناصر المكونة له، والتي هي من صميم الفعل التداولي، وهذه العناصر هي:

1- الخطاب: وقد تعددت تعريفاته بتعدد المناهج و الخلفيات الفكرية والفلسفية، التي يصدر عنها كل دارس. ذلك أن بعضهم يرى أن الخطاب لا يعد خطابا إلا إذا تجاوز الجملة الواحدة إلى سلسلة متتابعة من الجمل.

ويبدو أن من أخذ بهذا الاتجاه اشترط ذلك ليتسنى له القول في انسجام عناصر الخطاب، واتساق وحداته اللغوية فيما بينها، وما إلى ذلك من العلائق التي لا بد من مراعاتها في الخطاب من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه.²

في حين أن ثمة اتجاها آخر اعتبر الجملة الواحدة خطابا، وبعضهم يسميها الوحدة الصغرى³ على أن تكون مفيدة» والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه».⁴

والجملة بهذا المعنى محمولة على (الكلام)، لأنه هو الذي تشترط فيه الفائدة، قال ابن مالك في ألفيته:⁵

لَا مَ نَا لَفَظٌ فَيَدُ كَسَتَقَمَّ وَاسْمٌ وَغِلُّ ثُمَّ وَفَ الْكَلَمِ

ولذلك فالجملة لا تكون كلاما إلا إذا كانت مفيدة، ما دام الشرط في الكلام هو الإفادة.

¹ - إدريس مقبول، الأسس الابدستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، المرجع السابق، ص264.

² - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية، المرجع السابق، ص37،38.

³ - ينظر: دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص7.

و: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- دراسة تطبيقية على الصور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبد غريب)- القاهرة، ط1، 2000، ج1، ص31.

⁴ - ابن هشام جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ج1، ص11.

⁵ - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط6، ج1، ص17.

الفصل الأول

2- الفعل اللغوي وهو «الذي يدعى أحيانا بـ(الفعل الكلامي Acte de parole) أو (فعل الخطاب Acte de discours) ... والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه... غايته تغيير حال المتخاطبين».¹

3- الاقتضاء: ويقترن بالدلالة، و(دلالة الاقتضاء) من الدلالات غير العبارية التي تتولد عن المعنى العباري، أي أن دلالة الاقتضاء متولدة من دلالة العبارة.²

وعليه، فـ«دلالة الاقتضاء هي استلزام القول بمعنى تابع للمعنى العباري من غير توسط دليل ومع توقف فائدة القول عليه».³ وقد أوضح ذلك بعضهم أكثر فقال: «المقتضى هو عبارة عن زيادة على المنصوص عليه يشترط تقديمه ليصير المنظوم مفيدا أو موجبا للحكم، وبدونه لا يمكن إعمال المنظوم».⁴ وقد عزى طه عبد الرحمان هذا التعريف إلى غيره.

4- التضمينات: وهي المعاني المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب، والتي يمكن استخلاصها بالإعمال والتدبر والتأويل المؤسّس والمشروع «يكون التضمين تداوليا إذا كانت هناك حاجة في وضع معين إلى تدقيق إضافي».⁵

فالنص يدل على أن التأويل المشروع هو الذي يبحث في ثانيا الخطاب وملايساته عن معنى إضافي تحصل به زيادة فائدة أو مزية، بعد أن يكون المؤول قد اكتملت لديه أدوات التأويل وعدته.

¹ - دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص7.

² - ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المرجع السابق، ص104، وما بعدها.

³ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المرجع السابق، ص108.

⁴ - المرجع نفسه، ص109، 108.

⁵ - روبير مارتان، في سبيل منطق اللغة، ترجمة وتقديم: الطيب البكوش، وصالح الماجري، المنظمة العربية للترجمة، مركز توزيع دراسات الوحدة العربية-بيروت، ط1، 2006، ص216.

من الجملة أو العبارة إلى الفعل:

واضح أن الاشتغال باللغة الصورية أولاً ومنها إلى اللغة العادية أو الطبيعية كان البداية التي انتهت لاحقاً إلى نظرية أفعال الكلام عند أوستن Austin. فقد اشتغل المناطق على اللغة الاصطناعية التي اتخذت من المركبات الخبرية موضوعاً لها، إلا أن هناك تياراً من فلاسفة اللغة لم يلبث أن عدّل عن الاهتمام باللغة الاصطناعية موضوعاً للدراسة إلى اللغة الطبيعية لأنها الأقدر على تمثيل العالم في تقديره. نرى ذلك ماثلاً في أعمال (فتغنشتين) في مرحلته المتأخرة، وحذا حذوه (أوستن Austin) الذي انطلق من الجملة الخبرية التي تصف الكون كما هو أو كما يتمناه المتكلم، ثم تجاوزها إلى الجملة الإنشائية ثم ما لبث أن انتهى به حديثه عن الجملة إلى الاهتمام بالفعل وذلك حين قاده تفكيره إلى اعتبار « كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل ».¹

وميز « بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية: العمل الأول هو العمل القولي، وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما؛ أما الثاني فهو العمل المتضمن في القول، وهو العمل الذي يتحقق بقول شيء ما، وأما الثالث فهو عمل التأثير بالقول، وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئاً ما ».²

وإذن فقد انتهت (التداولية) في فرع من فروعها إلى (نظرية أفعال الكلام العامة) على يد (أوستن Austin)، ثم تلميذه (سورل Searle) انكأ على جهود فلاسفة اللغة لا سيما (فريجة) و (فتغنشتين).

¹ - آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، المرجع السابق، ص 31-32.

² - المرجع نفسه، ص 31-32.

ثانيا: أفعال الكلام.

تحليل المركب الإضافي (أفعال الكلام):

"أفعال الكلام" مركب إضافي، يتكون من عنصرين، أضيف أحدهما إلى الآخر. والإضافة ضرب من الإسناد أو النسبة، وهنا ينبغي التمييز بين نوعين من الإسناد: أولهما: الإسناد الذي بمقتضاه تتكون الجملة الأصلية التي تقوم على إسناد الخبر إلى المبتدأ والحكم به له أو عليه في الجملة الاسمية، والفعل إلى الفاعل في الجملة الفعلية. وثانيهما: الإسناد الإضافي الذي نحن بصدده.

ويعرف النحاة الإضافة بأنها « نسبة تقييده بين اسمين، تقتضي أن يكون ثانيهما مجرورا دائما».¹

مع الإشارة إلى أن النسبة التقييدية ليست قصرا على الإضافة بل تشمل جميع المكملات، وأن التكملة في الإضافة تسمى (المضاف إليه) الذي يلي المضاف، ويعاملان معا على أنهما اسم واحد.²

وفي هذا المركب الإضافي يقول بعضهم: « الإضافة علاقة نسبة اسمين مختلفين أصلا من حيث معنهما ودرجة تعريفهما وتكثيرهما. ودلالة الإضافة إسناد شيء لشيء. غير أن كل إسناد ليس إضافة حيث يعبر الإسناد العادي عن تحقق الخبر أو الصفة أو ما شابه ذلك...».³

وقد سعى صاحب النص إلى تمييز الإضافة بأنّها علاقة (نسبة) تشدّ المضاف إلى المضاف إليه، وأنهما مختلفان من حيث معنى كل منهما على انفراد، ومن حيث التعريف والتكثير، وإلا انتفت الحكمة من الإضافة ويحترز صاحب النص عن الخلط بين المركبين (الإضافي)، و(الإسنادي العادي) بتحقيق الخبر، أو الصفة، أو ما شابه ذلك في (العادي).

¹ - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط6، ج1، ص 02.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 2-3.

³ - مصطفى غلفان بمشاركة محمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط1، 2010، ص 187.

وذلك يعني أن الخبر يتضمن معنى أو حكماً يسند إلى المبتدأ أو يحكم به له أو عليه، وبذلك تتحقق الفائدة التي يحسن السكوت عليها، كما يقول النحاة وإذا انتفت هذه الفائدة في حالات معينة، فإن المعنى الأصلي لهذا المركب لا يتأثر بالاستغناء عن المكمّلات، بل يظل قائماً حتى ولو لم تتحقق تلك الفائدة التي يحسن السكوت عليها.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن النحاة يميزون بين الجملة والكلام. فالجملة التي قوامها المسند والمسند إليه لا تعد كلاماً إلا إذا كانت مفيدة، فإذا كانت مفيدة فهي جملة وكلام في الوقت ذاته طالما كان الشرط في الكلام الفائدة أو الإفادة.

ويوضح عبد القادر الفاسي طبيعة العلاقة التي تشدّ المضاف إلى المضاف إليه، فيرى أن اللفظ (لّة) التي هي المضاف إليه تشغل وظيفة (المالك)، أي أن المضاف ملك للمضاف إليه.

ولئن كان النحاة قد نظروا إلى الإضافة على أنها معان متعددة، واعتمدوا في الاهتداء إلى هذه المعاني بحرف الجر الذي تخيّلوه قبل المضاف إليه، وأن هذا الحرف لا يعدو أن يكون أحد ثلاثة أحرف: (من: التي هي للبيان، اللام: التي هي للملكية أو الاختصاص، في: التي هي للظرفية أو المحلية)¹ - فإن عبد القادر الفاسي الفهري اختزل هذه المعاني في وظيفة (الملكية) فحسب، واعتبر ما تفرع عنها أدواراً دلالية.

وهذه الأدوار الدلالية هي: الملكية أو الانتماء، الاحتواء، المكان أو المحلية، الشكل والمادة، المنفذ والضحية.²

وقد أخذَ على الفاسي اختزاله وظيفة الإضافة في الملكية، بأن ذلك قد لا يطرد ولا يتسق في جميع الحالات «على أن اختصار وظيفة الإضافة في الملكية يجب أن يتحقق منه بشكل أعمق وأدق، لكي يتم التأكد من هذا الافتراض حتى يشمل جميع التراكيب، إذ لا نجد

¹ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ص 16 وما بعدها.

² - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية - دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 158.

الفصل الأول

في بعض ما اعتبر بنيات إضافية، مثل التراكيب العددية (ثلاثة رجال)، ما يدل على وجود وظيفة الملكية».¹

غير أن قول الفاسي بالأدوار الدلالية المنبثقة عن الوظيفة (الملكية)، واعتبار هذه الأدوار منضوية بوجه من الوجوه -ولو بشيء من التأمل والكد، تحت هذه الوظيفة- كفيلا بنلطيف ما أخذ عليه.

ذلك أن المتأمل الذي يروم الإمعان في التأويل لا يعدم أن يجد للفاسي مسوغا لما قال به. ولإثبات ذلك نعود إلى المثال المعتمد في نص المعترض، وهو قوله: ثلاثة رجال. وهو من باب إضافة العدد إلى المعدود، وأن الإضافة هنا بمغنى (من) التي هي للبيان، ومعنى ذلك أن العدد (ثلاثة) صار ملكا للمضاف إليه (رجال) من جهة أن ما زاد على هذا العدد هو مما لا يدخل تحت طائلة ملكية المضاف إليه.

ومن غير المستبعد أن يكون شيء كهذا قد خطر ببال الفاسي فسوّغ له حصر وظيفة المضاف إليه في (الملكية).

الفعل: اللغة، المصطلح، الدلالة:

الفعل في اللغة:

جاء في متن اللغة: **فَعَلَّعَ: مَلَأَ وَفَعَلَ مَلَأَ الشَّيْءَ وَ-بِه: عمله، والكسر للاسم والفتح للمصدر ويكسر... الفِعل: حركة الإنسان: إحداث شيء من عمل أو غيره: التأثير من جهة مؤثر، ج فِعال وأفعال ...**».²

ومنه نفهم أن الفعل هو الحدث ولا بد للحدث من محدثٍ بنية أو بغير نية.

¹ - مصطفى غلفان وآخرون، اللسانيات التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، المرجع السابق، ص 188.

² - أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960، ج4، مادة (ف ع ل)، ص 429.

الفعل في الاصطلاح:

- عند النخّاة:

يقول سيبويه: «أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن ولم ينقطع ... والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل».¹

والأهم في قول سيبويه هو أن الفعل يدل على الحدث، وعلى الزمان الماضي، أو الحال، أو المستقبل، وأنه مشتق من المصدر، وهو بذلك ينتصر للمدرسة البصرية التي ترى أن الفعل مشتق من المصدر «قال سيبويه وجميع البصريين: الفعل مأخوذ من المصدر والمصدر سابق له فهو اسم الفعل. وهذا معنى قول سيبويه "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء" وأحداث الأسماء المصادر».²

وأما الزجاجي فقد قال في حد الفعل «الفعل على أوضاع النحويين، ما دل على حدث، وزمان ماض أو مستقبل نحو قام يقوم، وقعد يقعد، وما أشبه ذلك. والحدث المصدر، فكل شيء يدل على ما ذكرناه معا فهو فعل، فإن دل على حدث وحده فهو مصدر نحو الضرب والحمد والقتل، وإن دل على زمان فقط فهو ظرف من زمان».³

وهو بهذا لم يختلف عما قال به سيبويه في حد الفعل إلا في أمرين:

أولهما: اقتصاره على الماضي والمستقبل دون الحال.

وثانيهما: عدم تعرضه لمسألة الاشتقاق، وأيهما اشتق من الآخر، الفعل من المصدر أم المصدر من الفعل. في حين أن سيبويه كان واضحا في ذلك.

والحق أن الزجاجي لم يغفل (الحال) وإنما أخذ في ذلك بمذهب الكوفيين الذين يلحقون (الحال) بما يعرف عندهم بـ(الفعل الدائم)، قال السيرافي: «وقسم الكوفيون الأفعال

¹ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار القلم، 1966، ج1، ص 12.

² - الزجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط5، 1986، ص 56.

³ - المرجع نفسه، ص 52-53.

الفصل الأول

ثلاثة أقسام: ماض، ومستقبل، وهو ما في أوله الزوائد الأربع ... والثالث الفعل الدائم وهو قائم وذاهب وضارب وأشباهه وهو الحال».¹

ويدقق الزجاجي في (فعل الحال) فيقول: « فأما فعل الحال فهو المتكون في حال خطاب المتكلم، لم يخرج إلى حيز الماضي والانقطاع، ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته، فهو المتكون في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل، ففعل الحال في الحقيقة مستقبل لأنه يكون أولاً أولاً، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز الماضي».²

ففعل الحال يقترب بلحظة الخطاب وينقضي بمجرد انتهاء لحظة التلفظ ليصير جزءاً من الماضي، وأن ما كان منتظراً يحل محل الذي انقضى ويصير حالاً، وعليه فكل (مستقبل) مؤهل لأن يكون (حالياً)، أما الماضي فلا. ويزيد السيرافي هذه المسألة تدقيقاً حيث يقول: « وبقي قسم ثالث وهو الفعل الذي يكون زمان الإخبار عن وجوده هو زمان وجوده وهو الذي قال سيبويه عنه وما هو كائن لم ينقطع».³

فالحال إذن هو هذا. وبقي الخلاف بين البصريين والكوفيين، أما البصريون فتتقترن دلالة الحال عندهم بصيغة المضارع « وهو ما في أوله الزوائد الأربع نحو يقوم وأقوم وتقوم ونقوم».⁴ وأما الكوفيون فتتقترن دلالة الحال عندهم بصيغة اسم الفاعل « والثالث الفعل الدائم وهو قائم وذاهب وضارب وأشباهه، وهو الحال».⁵

ولابن هشام إضافة تتعلق بالفعل، دقيقة ولافتة جديرة بالاهتمام، فهو يرى أن الفعل يطلق ويراد به أحد أربعة أمور:

الأول: وقوع الفعل أو حدوثه، وهذا هو الأصل الذي ينبغي أن يفهم من الفعل عند إطلاقه مجرداً من القيود والقرائن.⁶

¹ - الزجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو المرجع السابق، ص 86.

² - المرجع نفسه، ص 87.

³ - المرجع نفسه، ص 87.

⁴ - المرجع نفسه، ص 86.

⁵ - المرجع نفسه، ص 86. نص سابق.

⁶ - ينظر: ابن هشام جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وتعليق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 645.

الفصل الأول

الثاني: المشارفة أي اقتراب الفعل من الحدوث لا الحدوث ذاته، ومنه قوله تعالى:

ذُكُّمُ وَيَذَرُكُمْ وَيَذَرُكُمْ وَأَزْوَاجًا وَصِدْيَةً لِّأَزْوَاجِهِمْ... ﴿البقرة/240﴾ أي الذين يشارفون

الموت وترك الأزواج يوصون... الخ. فاستعمل الفعل (يتوفون) بمعنى (يشارفون) لا بمعنى حدوث فعل الوفاة أو الموت.

الثالث: إرادة الفعل لا الفعل ذاته، فَمِنْهُ أَقْبَلُوهُ تَعْلَى: الْفُرَّانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿النحل/98﴾. حيث ورد الفعل (قرأ) بمعنى (أراد) القراءة ولم يقرأ بعد.¹ وبهذا

المعنى عرفوا الإرادة « الإرادة صفة توجب للحي حالا، يقع منه الفعل على وجه دون وجه،

وفي الحقيقة هي ما لا يتعلق دائما إلا بالمعدوم ». ² فهي تتعلق بالأفعال التي لم تتجز بعد،

والفعل الذي يتعلق به الإرادة بشكل اختيارا لا يستبعد أن تكون قد خطرت ببال المتكلم

المختار، غير أنه أسقطها جميعها ولم يبق منها إلا الفعل الذي انطوت النية على إنجازها،

وبعبارة أوجز وأوضح يمكن القول إن الإرادة هي الاستقرار على نية القيام بالفعل، وهو ما

يعني أن الفعل محل الإرادة في حكم العدم، وذلك ما يقصده الجرجاني بقوله السابق ذكره:

.... وفي الحقيقة هي ما لا يتعلق دائما إلا بالمعدوم.

الرابع: القدرة على الفعل وليس الفعل منجزا³، وذلك يعني أن هناك فرقا بين القدرة والفعل،

وقد عرف التوليديون القدرة بأنها « مجموع القواعد الضمنية التي يتوفر عليها المتكلم، وتجعله

قادرا على إنتاج وتأويل ما لاحصر له من الجمل الذّحية ... ». ⁴

ونحن نضيف إلى قولهم هذا واستئناسا به، ما نراه مناسبا للمقام الذي نحن فيه، وهو

أنَّ القدرة هي ما يتوفر عليه من يهم بإنجاز الفعل من مؤهلات تمكنه من الإنجاز على

الوجه المقصود.

¹ - ينظر: ابن هشام جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، المرجع السابق، ص 646.

² - الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تحقيق وتعليق نصر الدين تونسلي، 1 شارع جوهر - الدراسة - القاهرة، ط1، 2007، ص 34.

³ - ينظر: ابن هشام جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، المرجع السابق، ص 647.

⁴ - مصطفى غلفان بمشاركة محمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، المرجع السابق، ص 41.

الفصل الأول

كما أنهم أي التوليديين يُعرّفون الإنجاز بأنه « هو التنفيذ العملي لقواعد القدرة وآلياتها. إنه التحقيق الفعلي للقواعد الضمنية التي يملكها الفرد المتكلم عن لغته ... ».¹

واستئناسا بهذا التعريف وانطلاقاً منه، نضيف أن الإنجاز يعني الحدث أو الفعل الذي صار في حيز الوجود واقعا معيشا، والذي هو أثر ونتاج تلك المؤهلات (القدرة) التي مكنت الفاعل من إنجاز الفعل على الوجه الذي أراد، وإليه سعى.

ومن شواهد الفعل بمعنى القدر قوله تعالى ﴿يَذُنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء/104 أي قادرين على الإعادة والأصل في العلاقة بين (الفعل) و(القدرة) اقرب إلى علاقة لسبب بالمسبب، ف(الفعل) مسبب عن القدرة التي هي سبب إيجاده، فلا فعل من دون قدرة على الإنجاز.²

- عند المنطقة:

علينا، ابتداء، أن نأخذ في الاعتبار أن (الكلمة) عند المنطقة تعني الفعل « والكلمة عند الفارابي لها دالتان: الدلالة الأولى دلالتها على زمان المعنى، والدلالة الثانية دلالتها على الموضوع الذي فيه المعنى، فمثلا قولنا "يمشي" ففي ذلك دلالة على المشي، وعلى الزمان الذي حدث فيه المشي، مضاف إليه الفاعل للمشي، فهي كلمة واحدة حملت ثلاث دلالات...».³

وواضح أن تعريف الكلمة في هذا النص يكاد يتفق مع تعريف أرسطو للفعل، وهو التعريف الذي جزّأه بعض الدارسين إلى العناصر التالية: « لفظ، دال بالتواطؤ، يدل مع ما يدل عليه على زمان، ليس واحد من أجزائه يدل على انفراده، وهو دليل ما يقال على غيره».⁴

¹ - مصطفى غلفان بمشاركة محمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، المرجع السابق، ص 43.

² - ينظر: ابن هشام جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، المرجع السابق ص 647.

³ - حسن بشير صالح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر-الإسكندرية، ط1، 2003، ص 199.

⁴ - محمد مرسلي، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2004، ص 31.

الفصل الأول

ونفهم من هذا التعريف أن الفعل لا ينفك عن الحدث والزمان، وأن دلالة لفظ الفعل حاصلة بالتواطؤ، وأنه على استقلاليته لا وجود له خارج التركيب. «يقول أرسطو: أقول إن الكلمة إذا قيلت على انفرادها فهي تجري مجرى الأسماء، فتدل على شيء وذلك أن القائل لها يقف بذهنه عليه، وإذا سمعه منه السامع قنع به».¹

كما رأى أرسطو ضرورة وجود الفعل في كل "قول جازم".²

والقول الجازم عند المناطق هو القول الذي يقبل الصدق والكذب «وليس كل قول بجازم، وإنما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق أو الكذب، وليس ذلك موجودا في الأقاويل كلها».³ وأن الفعل بقسميه: الفعل، وحالة الفعل «يقوم بوظيفة المحمول في القول الجازم».⁴ وقيام الفعل بوظيفة المحمول هو الذي عناه الفخر الرازي من جملة ما عناه بقوله: «اعلم أن تقسيم الكلمة إلى هذه الأنواع الثلاثة يمكن إيرادها من وجهين: الأول أن الكلمة إما أن يصح الإخبار عنها وبها، وهي الاسم، وإما أن لا يصح الإخبار عنها لكن يصح الإخبار بها وهي الفعل، وإما أن لا يصح الإخبار عنها ولا بها، وهو الحرف».⁵

والشاهد في قول الرازي، حكمه على الفعل بأنه يخبر به ولا يخبر عنه، وكونه مـُخْبَرًا به فهو محمول. ويوضح هذا أكثر قوله في موضع آخر: «اتفق النحويون على أن الفعل والحرف لا يصح الإخبار عنهما، قالوا: لأنه لا يجوز أن يقال: ضرب قتل...».⁶

وأن لا قول جازم بدون لفظ دال على فكرة الوجود، يربط المحمول بالموضوع في القول الجازم.⁷

1 - محمد مرسل، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، المرجع السابق، ص 33.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 33، 36.

3 - حسن بشير صالح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، المرجع السابق، ص 317.

4 - محمد مرسل، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، المرجع السابق، ص 33. وينظر: مصطفى غلفان بمشاركة محمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، المرجع السابق، ص 185.

5 - فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، التفسير الكبير، مرجع سابق، ص 32، 33.

6 - المرجع نفسه، ص 33.

7 - ينظر: محمد مرسل، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، المرجع السابق، ص 36، 37.

الفصل الأول

وأن الحكم على القول بالإيجاب أو السلب يقتضي وجود فعل في القول وإلا انتفى الحكم بذلك على القول.¹

الكلام باعتباره أحد ركني المركب الإضافي (أفعال الكلام):

وهو العنصر الثاني في المركب الإضافي (أفعال الكلام) والذي أسندت إليه وظيفة المالك كما رأينا وقبل الجمع بين طرفي هذا المركب جمعا يفضي بنا إلى ما نود قوله مما يتصل بغرضنا من هذا التحليل، علينا أن نخص هذا العنصر الثاني (الكلام) بما تهيأ لنا قوله.

لطالما خاض الخاضعون، نحاة ومتكلمين وأصوليين وفقهاء²، في مسألة الكلمة والكلام والفرق بينهما وإنا لواقفون إن شاء الله على ما أمكن الوقوف عليه مما قيل في هذه المسألة.

الكلمة:

جاء في متن اللّغَة «ه كَلَمٌ أ: جرحه، فهو كالم، وذاك مكلوكليم ج كَلَمٌ ي ... الكَلَمُ الجرح ج كُلوْم وكِلَام: وهو أصل المعنَى كَلِمَة ج كَلِمٌ وكلمات "حجازية" كَلِمَة ج كَلِمَات وكَلِمٌ وكَلِمٌ "تميمية"³.

ونفهم من هذا الذي أورده صاحب المتن أمورا.

أولها: الاشتراك في أصل المادة التي هي (ك ل م).

ثانيها: المعنى الأصلي للكلمة هو الجرح، قبل أن تصير إلى ما صارت إليه.

ثالثها: أن في الكلمة لغتين مشهورتين وهما: الأولى (كَلِمَة) بفتح الكاف وكسر اللام، وهي لغة تُعزى إلى أهل الحجاز. وأما الثانية: فهي لغة الكسوة (كَلِمَة) بكسر الكاف وإسكان اللام، وتُعزى إلى بني تميم.

¹ - ينظر: محمد مرسل، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، المرجع السابق، ص 33.

² - ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 17.

³ - أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960، ج 5، مادة (ك ل م)، ص 97.

ويؤيد القول ، بدلالة الكلمة في أصلها على الجرح، ما أورده الفخر الرازي: « اعلم أن تراكيب الكاف واللام والميم بحسب تقاليبيها الممكنة الستة تفيد القوة والشدة، خمسة منها معتبرة، وواحد ضائع، فالأول (ك ل م) فمنه الكلام، لأنه يقرع السمع ويؤثر فيه، وأيضا يؤثر في الذهن بواسطة إفادة المعنى، ومنه الكلم للجرح، وفيه شدة ... ».¹

والأهم في هذا هو أن (الكلمة) نتاج ائتلاف الحروف فيما بينها على نحو ما، وأن المادة الواحدة قد تمدنا بكلمات متعددة تختلف باختلاف ترتيب الحروف واللا فت في ذلك الانتقال من المعنى الأصلي الذي هو الجرح إلى المعنى المجازي الذي هو دلالة اللفظ، مفردا كان أو مركبا، على المعنى الذي هو غرض في نفس المتكلم، بجامع التأثير والشدة بين المعنيين الأصلي والمجازي. ويحسن بنا هنا أن نذكر بورود هذا المعنى الأصلي (الجرح) في الكثير من كلام العرب، من ذلك قول الإمام علي كرم الله وجهه: «... وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلها وقلبها ورعاثها، ثم انصرفوا وافرين، ما كُلم رجل منهم... ».² أي ما جرح. ومنه قول عنترة من قبل:³

فإذا شَرَبْتُ فَإِنَّني مُسْتَهْلِكٌ *** هَالِيضِي وافرٌ لم يَكُ لَمٍ

أي لم يعب ويوصم، وهو من باب المجاز القاضي بإطلاق لفظ الفعل (يكلم) الذي يدل على الجرح، وإرادة ما يمكن أن يلحق من العيب، بجامع التأثير والشدة والألم بين المعنى الأصلي الحقيقي والمعنى المجازي.

¹ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 14، 15.

² - ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، شرح وضبط وتصحيح وعنونة وترتيب أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ج4، ص 70.

³ - الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت، 1969، ص 289.

الفصل الأول

والكلمة عند الذِّحَاءِ وغيرهم تعريفات عدة، نذكر منها: «الكلمة هي اللفظة المفردة الدالة بالاصطلاح على معنى»¹ وحرصاً من صاحب التعريف احترز بقيود² لئلا يلتبس مفهوم الكلمة بغيره.

وهذه القيود هي:

أ- كون الكلمة (لفظاً)، واللفظ في اللغة هو الرمي والقذف بالشئ، ويطلق على الأصوات والحروف المنطوق بها، مجازاً، لأن الإنسان «يرمي ذلك النَّفَسَ من داخل الصدر إلى خارجه ويلفظه وذلك هو الإخراج، واللفظ سبب لحدوث هذه الكلمات فأطلق اسم اللفظ على هذه الكلمات لهذا السبب»³.

فبجامع الاشتراك بين المرمي - كائناً ما كان من جهة، واللفظ ذَفَاساً مقذوفاً به من مخرجه، من جهة أخرى، تأتَّى إطلاق اللفظ على ما تم النطق به من الكلمات.

والاحتراز بهذا القيد متأثراً من أن هناك علامات دالة ولكنها ليست ملفوظة.

ب- وفي تقييد اللفظة بكونها "مفردة" احتراز عن المركبات المؤتلفة من كلمتين فأكثر.

ج- في تقييد اللفظة المفردة بأنها "دالة" احتراز عن اللفظ الذي لا مدلول له في عرف أهل اللسان.

د- وفي تقييد اللفظة المفردة الدالة بـ"الاصطلاح" إشارة إلى أن اللفظة تكتسب معناها من

تواضع أهل اللسان، فلا بد للفظ من حاضنة اجتماعية وإلا فقدت مبررات وجودها.

وإذن ففي القول بـ(الاصطلاح) فعٌ لتَوَهُّم من يتوهم أن للألفاظ مصادر أخرى غير

ما تواضع عليه أهل اللسان.

والكلمة لا تعدو أن تكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً وميّز الرازي بين هذه الأقسام الثلاثة

بما يبدو أنه الأهم الذي لا ينبغي إغفاله: «... أن الكلمة إما أن يصح الإخبار عنها وبها

وهي الاسم، وإما أن لا يصح الإخبار عنها، لكن يصح الإخبار بها، وهي الفعل، وإما أن لا

¹ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 21.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 16، 21.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

الفصل الأول

يصح الإخبار عنها ولا بها، وهو الحرف».¹ مستندا في ذلك إلى علاقة الإسناد القاضية بوجود عنصرَي الإسناد، (المسند) و(المسند إليه)، وهما عند المنطقة (المحمول) و(الموضوع) وعند النِّحاة (المخبر به)، و(المخبر عنه). ولهم فيهما غير هذا. أما الاسم فقابل لأن تسند إليه وظيفتا المسند والمسند إليه، أي المحمول والموضوع، كلٌّ على حدة، وأما الفعل فهو قابل لأن يؤدي وظيفة المسند (المحمول) دون أن يكون أهلا لأداء وظيفة المسند إليه (الموضوع)، وهو ما عناه الرازي بقوله: وإما أن لا يصح الإخبار عنها لكن يصح الإخبار بها". ثم بين أن ذلك هو "الفعل".

في حين أن الحرف لا يسند ولا يسند إليه، لافتقاره إلى غيره، فهو كما قال النُّحاة «كلمة لا تدل على معنى في نفسها، وإنما تدل على معنى في غيرها - بعد وضعها في جملة - خالية من الزمن».²

الكلام:

يتشكل الكلام من سلسلة من المقاطع الصوتية المنتظمة « الصوت يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له في الحلق والشم والشفيتين مقاطع تنثيه عن امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له، حرفا ».³

فالصوت يتشكل باندفاع النَّفَس في مجراه بقوة ضاغطة ممتدا مستطيلا، حتى إذا ما عرض له عارض في المجرى فحبسه (قطعه) عن امتداده مؤقتا ثم أطلقه في ذات الاتجاه أو ثناه عن وجهته تلك، فسلك اتجاها آخر، فتكون محصلة ذلك في النهاية ما يعرف بـ(المقطع الصلوي) يُعَدُّ الحرفُ صورته المكتوبة.

وبانتظام هذه المقاطع على نحو خاص تتشكل الكلمات، فالكلام. والكلام لا ينفك عن المكان والزمان.

¹ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 32-33.

² - عباس حسن، النحو الوافي، مرجع سابق، ص 68.

³ - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط3، 2009، ص 301.

الفصل الأول

والمحل أو المكان ضربان: محل أو مكان يتشكل فيه الصوت، ويقصد به مخارج الأصوات التي لولاها ما كان الصوت على الذّحو الذي رأينا «..أنّ حدث الكلام المنجز مرتّهن في حيّز المكان انطلاقا من ضرورة المحل لإنجاز الحروف التي هي أجزاء البناء اللغوي إطلاقا»¹.

وللمحل في علاقته بالكلام المنجز معنى آخر، وهو هذا الحيز المكاني الذي يتم فيه اتصال المتكلم بالسامع أو المتلقي، والذي تجد فيه طاقة الكلام الانتشارية انتشاريتها، «وأبرز ما يصادف الناظر اللساني في هذا المسار اهتداء أعلام النظر اللغوي -عند تنزيل الحدث منازل من بعد المكان- إلى قدرة الكلام على الاستيعاب المطلق حضوريا مما يبوّئه طاقة انتشارية يدرك بفضلها عددا لا متناهيا من المتقبلين»².

وبشيء من التأمل قليل ندرك أن الكلام بعيدا عن الحيّز المكاني الذي يشير إليه صاحب النص، في حكم العدم، لأنه الحاضن لطاقة الكلام الانتشارية التي هي دليل وجوده في الوقت ذاته.

وأما حاجة الكلام إلى الزمان فهي ماثلة في أنّ تشكّل المقاطع الصوتية في مجاريها لا ينفك عن زمن محدود يستغرقه المقطع الصوتي في سلسلة المقاطع الصوتية المتعاقبة على مدرج الزمن، ولوحدث أن تجاوز المقطع الصوتي مدّته التي له أن يستغرقها في مخرجه لاختلّ نظام التعاقب المفضي إلى الكلام المنتظم المفيد. ولعلّ هذا الانتظام الصوتي على مدرج الزمن هو الذي يميز الصوت الذي يتألف منه الكلام عند البشر عن أصوات الحيوانات التي تفتقر إلى هذا النوع من التقطيع المتعاقب زمنيا.

«غير أن ربط فكرة الزمن بإجراء الحدث اللغوي قد اقتضى جلاء الفارق النوعي بين مجرد عملية التصويت اللاغي، وإنجاز الحرف الكلامي.... فوقع الاهتداء إلى قضية المخرج باعتبار أنه يحدد اللحظة التي ينجز فيها الحرف على محور الزمن»³.

¹ - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 292.

² - المرجع نفسه، ص 295.

³ - المرجع نفسه، ص 301.

الفصل الأول

و الكلام في اللغة «اسم جنس يقع على القليل والكثير».¹ «ولعله من الكَلَمَ بمعنى الجرح، والجمع كُـلُوم».²

وقد سعى بعضهم للوقوف على هذه العلاقة بين المعنيين الأصلي والمجازي، فقال: «الثاني: أن اشتقاق الكلمة من الكَلَمَ وهو الجرح والتأثير، ومعلوم أن من سمع كلمة واحدة فإنه يفهم معناها فما هنا قد حصل التأثير».³

وقد علقنا على الكيفية التي تم بها الجمع بين المعنيين بما يغني عن الإعادة.

الكلام عند النحاة:

لا اختلاف في أن أقدم كتاب وصلنا في علم النحو هو (الكتاب) لسيبويه وإذا نحن ما رجعنا إلى هذا الكتاب تبين لنا أن سيبويه لم يعرض فيه للكلام مـُعرفاً شأن بعض النحاة الذين جاءوا بعده. ولعله تعمد هذا الإغفال تعويلاً على نباهة القارئ. لذلك فإننا نستطيع – وبقليل من الأعمال - أن نستخلص من غير ما موضع من (الكتاب) أن سيبويه يقصد بالكلام (المركب المفيد). ذلك ما يمكن فهمه من مثل قوله: «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة».⁴

فتحت هذا العنوان أورد سيبويه أن الكلام خمسة أقسام. والجدير بالالتفات هو أن الأمثلة التي ساقها لهذه الأقسام الخمسة يتوفر في كل منها شرطاً التركيب والإفادة.⁵ وهما شرطان لا بد منهما في الكلام الذي يحسن السكوت عليه.

والكلام عند الزمخشري «هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى... وتسمى الجملة».⁶

¹ - ابن منظور جمال الدين أبو فضل، لسان العرب، مرجع سابق، ج12، مادة (ك ل م)، ص 618.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 620.

وينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960، ج 5، مادة (ك ل م)، ص 97.

³ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 17.

⁴ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار القلم، 1966، ج1، ص 25.

⁵ - ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، المرجع السابق، ص 25-26.

⁶ - الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، تحقيق سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص 08.

ويتضح لنا من قوله هذا، ومن الأمثلة التي ساقها،¹ أنه يقصد بـ(الكلام) المركب الإنشائي الذي هو المبتدأ، والخبر أو ما يسد مسده ويغني عنه، والفعل والفاعل أو نائبه. والظاهر أن الزمخشري يجعل التركيب شرطاً في الكلام. أما شرط الإفادة بالمعنى الذي يفهم من قول النحاة في الكلام: «اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»²، فيبدو أنه غير معتبر عند الزمخشري ما دام التركيب الإنشائي وحده قد لا يؤدي إلى الفائدة التي يحسن السكوت عليها، من نحو: إن يجتهد زيد. ففي هذا المثال ونحوه يبقى تمام الفائدة في حكم المنتظر. غير أن الزمخشري قد يقصد أن المعنى الأساسي للتركيب الإنشائي كافٍ للحكم عليه بأنه كلام، وبصرف النظر عن تمام الفائدة التي قد تحتاج إلى فضل زيادة في اللفظ. وذلك ما يعنيه قول بعضهم «...أنه يصح أن يقال تكلم فلان بكلام غير تام، وذلك يدل على أن حصول الإفادة التامة غير معتبرة في اسم الكلام».³

وإن فالفائدة فائدتان، فائدة أساسية حاصلة بمقتضى التركيب الإنشائي، وهي الفائدة الأساسية التي لا يحسن عليها وحدها السكوت، وهذه هي الواردة عند الزمخشري، وفائدة تامة، وهي التي يحسن عليها السكوت، وهذه تحتاج إلى فضل زيادة في اللفظ تتجاوز ركني الإسناد اللذين هما المسند والمسند إليه.

وأما قوله "ويسمى الجملة" فيفهم منه أن الجملة والكلام مترادفان، ويبدو أن ابن هشام كان أوضح من سابقه، فلم يدع مجالاً للتخمين أو التأويل، وذلك قوله: «الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه».⁴ فالشرط في الكلام الكلام عنده الإفادة المرهونة بالقصد، ويفهم من هذا أن من تلفظ بلفظ مفيد من غير ما قصد لا يسمى كلاماً «فلا يسمى ما ينطق به النائم الساهي - كلاماً، وعلى هذا يزداد في الحد:

¹ - ينظر: ابن عقيل بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ج1، ص 14

² - ابن عقيل بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك و معه كتاب "منحة الجليل" بتحقيق شرح ابن عقيل، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ج1، ص14.

³ - فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 17.

⁴ - ابن هشام جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المرجع السابق ص357.

(مقصود)¹. فاستحضار النية عند ابن هشام ضرورة يترتب عليها صحة إطلاق (الكلام) على المركب المفيد.

ويقاس على ذلك انطلاقاً من مبدأ القصد، الملفوظ المركب المفيد إفادة تامة المفتقر إلى القصد والنية، افتقاراً ترشد إليه قرائن الأحوال، كأن يصدر الملفوظ عن مzne الجهل بقواعد اللغة والنظم ومداليل الألفاظ في اللغة المستخدمة.

واستثناساً بما جاء في (الهمع)² يمكننا أن نلحق بما أمضينا القول فيه، التركيب المفيد إفادة تامة، الذي يتقاسم عناصره أكثر من متكلم واحد، كأن يتلفظ كل منهم بعنصر على حدة، فيتكون من ائتلاف هذه العناصر تركيب مفيد إفادة تامة. فقد تتعدد المقاصد بتعدد ملفوظات عناصر التركيب، ولكنها في مجموعها لا تتضوي تحت مقصد عام ينتظمها جميعها. وبسبب من الافتقار إلى المقصد العام تعذر أن نسمي ذلك التركيب كلاماً. لذلك يقترح من أخذ بهذه الوجهة في الكلام أن يضاف إلى حد الكلام بعد الإضافة السابقة « من ناطق واحد »³، لأن وحدة المقصد في الكلام من وحدة مصدره. ويميز ابن هشام الجملة بعدم اشتراط الإفادة، لذلك فهي أعم من الكلام.

فائدة الإضافة في المركب (أفعال الكلام):

بعد أن فرغنا من قول ما أمكن قوله في ركني التركيب الإضافي (أفعال الكلام) كل على حدة، نحاول أن نقف على الفائدة التي يتوخاها المتكلم من إضافة أحد الركنين إلى الآخر.

واتكاء على ما سبق ذكره من أن المضاف مسبوق بحرف جر متخيل، وهذا الحرف لا يعدو أن يكون أحد الأحرف الثلاثة (من، في، اللام) - نرى أن أنسب الحروف في

¹ - السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون و عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية- الكويت، ج1، ص30.

² - ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المرجع السابق، ص 30.

³ - السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المرجع السابق، ص 30.

الفصل الأول

التركيب (أفعال الكلام) هو حرف الجر (من) التي هي للبيان. وبذلك يصير التركيب بعد إظهار حرف الجر المتوهم هكذا (أفعال من الكلام).

ويصير المفهوم من هذا التقدير أن الفعل أنواع وليس نوعاً واحداً،: «فقد توصل أوستن Austin في نهاية تحليله إلى أن إنتاج العبارات اللغوية، أي كانت، إنجاز لثلاثة أفعال لغوية: فعل قول، وفعل إنجاز، وفعل تأثير».¹

والحاصل أن التركيب الإضافي (أفعال الكلام) يشملها جميعها بما فيها (الفعل القضوي)²، الذي أضافه سورل Searle إلى ثلاثية أوستن Austin. ففعل الكلام إذن يعني (فعل القول) الذي يتحقق بمجرد النطق بالملفوظ أو العبارة. والتلفظ في حد ذاته يعد فعلاً «وإن فعل "التكلم بشيء ما" بالمعنى الواسع لهذا المركب إنما أسميه بل أمنحه هذا اللقب وهو إنجاز فعل الكلام».³

فهناك، إذًا، ثلاثة أفعال ينطوي عليها (فعل القول) الذي هو البنية اللغوية المنطوق بها، وبمعزل عن المقام الذي قيلت أو تقال فيه.⁴

وبحكم العلاقة المتشابكة بين الفعل والكلام من جهة، والجملة والقضية والعبارة، كل على حدة من جهة ثانية، كان علينا أن نتناول من هذه المفاهيم ما لم نتناوله من قبل، لتتضح علاقة (فعل الكلام) بكل منها.

¹ - أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص108.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 109.

³ - جون لانكشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق- المغرب، ط2، 2008، ص 124.

⁴ - ينظر: بنعيسى عسّو أزابيط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2012، ج2، ص 179.

ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص 167

الجملة:

والجملة في اللغة «جماعة الشيء، وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة، وأجمل الحساب كذلك. والجملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، يقال: أجملت الحساب والكلام».¹

وسميت الجملة جملة لانطوائها على عناصر جُمع بعضها إلى بعض في التركيب الواحد على نحو خاص.

وبذلك يكون المعنى اللغوي للجملة قريباً من المعنى الاصطلاحي. والجملة عند النحاة ليست واحدة، فقد اختلفوا بشأنها اختلفهم في الكلام.

فهي عند بعضهم التركيب الإسنادي القائم على المسند والمسند إليه، أفادت أم لم تفد « والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، ك"قام زيد" و"المبتدأ وخبره ك"زيد قائم"، وما كان بمنزلة أحدهما نحو "ضرب اللص" و"أقائم الزيدان" و"كان زيد قائماً" و"ظننته قائماً".²

والظاهر أن الجمل المعتمدة في التمثيل مفيدة إفادة تامة، لكن التنقيص على الإسناد يجعلنا ندرك أن المعتبر عنده، أي عند صاحب النص، هو التركيب حصلت الفائدة كما هي الحال في الأمثلة التي ساقها أم لم تحصل.

في حين يرى البعض الآخر أن الجملة ترادف الكلام كما رأينا عند الزمخشري. ويتجاوز البعض في الجملة قصرها على عنصري الإسناد إلى «سلسلة من الكلمات تخضع لقواعد اللغة العربية».³

والجملة بهذا المعنى محمولة على الكلام، أو أنها مرادفة له، والفرق بين الترادف عند الزمخشري والترادف هنا، أن الزمخشري اقتصر على عنصري الإسناد، أما التركيب هنا فيتجاوز هذين العنصرين كما هو واضح في قوله "سلسلة من الكلمات" وفي الأمثلة التي

¹ - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مرجع سابق، ج11، ص 153.

² - ابن هشام جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، المرجع السابق، ص 357.

³ - شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص 14.

ساقها،¹ ويرى شاهر الحسن أن "في كل جملة قضية تستخلص من شروط صحة الجملة، ويضيف في سياق تفريقه بين الجملة والعبارة «أن الجملة لها معنى حرفي مجرد من المقام...»².

العبارة:

يرى فخر الرازي أن (العبارة) مركبة من المادة (ع ب ر) وبتطبيق نظام التقاليب³ نحصل على ست كلمات يعنينا منها هنا (عبر)، لصلتها بالعبارة، فالعبارة من (ب ر) سميت بذلك لأن الكلام لا يتم إلا بالحركة المتمثلة في الانتقال أي العبور من حرف إلى حرف فتكون الكلمة، ومن كلمة إلى كلمة فتكون العبارة، وكأن هذا الانتقال على مستوى الحروف والكلمات يقابله انتقال المعنى من ذهن المتكلم إلى ذهن السامع.⁴

واللافت في قول الفخر الرازي محاولته الجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، باعتبار أن العبارة مما يحسن السكوت عليه، على ما سنعرف.

والعبارة عند بعض الدارسين جملة مفيدة إفادة تامة محكومة بالمقام والسياق وما إلى ذلك من مقتضيات الخطاب، وإن شئت فقل: العبارة مرادفة للخطاب. فالبنية العبارية تتجاوز المعنى الحرفي إلى المعنى البراغماتي أو التداولي.⁵ وقد تأخذ العبارة معنى القضية في مقامات معينة.⁶

¹ - ينظر: شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، المرجع السابق، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 18.

³ - ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 16. و: السيوطي جلال الدين، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح وعنونة وتعليق وتحشية محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987، ج 1، ص 347.

⁴ - ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 16، 17.

⁵ - ينظر: شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، المرجع السابق، ص 18-19.

⁶ - ينظر: راث كيمبسون، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار الأمان-الرباط، ط 1، 2009، ص 53.

القضية:

القضية من مصطلحات المناطق، وهي الوحدة الأساسية المكونة لاستدلالاتهم المنطقية.¹

وهي «قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب»² وعرفت حديثاً على «أنها» جملة تقريرية».³

وهي عند أرسطو وفلاسفة الإسلام من بعده «القول الجازم»⁴ ويقصد بالقول الجازم القول الذي يقبل الصدق أو الكذب.⁵ ويقابل القضية عند المناطق ما يعرف عند النحاة بـ «الجملة الخبرية».⁶

وإذا كانت القضية بهذه المثابة، فعلى أي نحو يمكننا أن نفهم مثل هذا القول: «والقضية عادة تستخلص من جملة خبرية ولكن الجمل الأخرى كالاستفهامية مثلاً تحتوي على قضية فمثلاً: ...».⁷

وبتأمل هذا القول وإعمال الروية فيه ندرك أن هناك تجوُّزاً في الاستعمال، حيث أطلق لفظ (القضية) وأريد الحكم. وبهذا التخريج يستقيم المعنى. ذلك أن الحكم بالصدق أو الكذب المعبّر عنه بـ (القضية) تجوزاً، يستخلص من الجملة الخبرية لا الإنشائية، ولا خلاف في ذلك. والفهم على هذا النحو مستقيم متسق.

أما القضية المتضمنة في الجملة الاستفهامية، فالمقصود أن الجملة الاستفهامية تنطوي على قضية. والسبيل إلى معرفة ذلك أن يجاب عن الجملة الاستفهامية. وتلك الإجابة التي هي (الجملة الخبرية) تشكل القضية ذاتها أو تتضمنها، إذا ما قصدنا بالقضية الحكم الذي تتضمنه الجملة.

¹ - ينظر: حسن بشير صالح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، مرجع سابق، ص 316.

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج2، مادة (ق ض ي)، ص 159.

³ - حسن بشير صالح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، المرجع السابق، ص 316.

⁴ - المرجع نفسه، ص 317.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 317، 318.

⁶ - المرجع نفسه، ص 317، 318.

⁷ - شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، المرجع السابق، ص 17.

الفصل الأول

وللإيضاح نسوق المثال الآتي: أن يخاطب أحدا شخصا بمناسبة تقتضي ذلك: هل أنت واثق من نفسك؟ فتكون الإجابة إثباتا أو نفيا. وأيا ما كانت هذه الإجابة، فهي جملة خبرية. فجملة الجواب هذه تشكل قضية موجبة إن كانت إثباتا، وسالبة إن كانت نفيا.¹

القول:

لعل من المفيد أن نؤسس لمصطلح (القول) بقول الفخر الرازي: «... المسألة السادسة في القول: هذا التركيب بحسب تقاليبه الستة يدل على الحركة والخفة، فالأول "ق و ل" فمنه القول لأن ذلك أمر سهل على اللسان...».²

هذا من حيث أصل المادة التي جاء منها (القول)، ومن حيث الدلالة اللغوية. أما من حيث الاصطلاح فيبدو أن الأهم في ذلك أن نعرض للقول عند النحاة ثم عند المناطق، لصلة هذين الفريقين القوية بموضوعنا.

أما النحاة فالقول عندهم مطلق يشمل (الكلام) الذي هو اللفظ المفيد إفادة تامة على الحقيقة، والمركب الإسنادي الذي هو (الجملة)، أفاد إفادة تامة أم لم يفد، و(الكلم) و(الكلمة). وقد أجمل ابن مالك ذلك كله في قوله:³

كَلَامٌ مُّزَا لَفْظٌ مُّفِيدٌ كَلِمَةٌ مُّفِيدَةٌ وَفِيهَا * ثُمَّ حَرَفٌ ، الْكَلِمُ
وَكَلِمَةٌ وَالْقَوْلُ لُغَوِيٌّ أَوْ لُغَوِيٌّ * وَكَلِمَةٌ مُّفِيدَةٌ أَوْ لُغَوِيٌّ

ويقصد بقوله "والقوم عم أن القول يعم أي يشمل الجميع، فيقع على الكلام، والجملة، والكلم، والكلمة."⁴

أما المناطق فالقول عندهم هو اللفظ المركب الدال بالتواطؤ،⁵ واللفظ المركب عندهم هو الذي يكون كل جزء فيه دالا على جزء معناه، يدخل في ذلك المفيد إفادة يحسن السكوت

¹ - ينظر: شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، المرجع السابق، ص 17.

² - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المرجع السابق، ص 15.

³ - ابن عقيل بهاء الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب "منحة الجليل" بتحقيق شرح ابن عقيل، المرجع السابق، ص 13.

⁴ - ينظر: ابن عقيل بهاء الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب "منحة الجليل"، المرجع السابق، ص 14، 15، 16.

⁵ - ينظر: محمد مرسل، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، المرجع السابق، ص 17. وحسن بشير صالح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، المرجع السابق، ص 214، 215.

الفصل الأول

عليها، من نحو "العلم مفيد"، ويسمى (المركب التام)، وما لم يفد إفادة تامة مثل "عبد الله"، و"في الدار"، ويسمى بالمركب الناقص .

فكل من المضاف والمضاف إليه يدل على جزء من المعنى العام الحاصل منهما مجتمعين. وكذا الأمر بالنسبة للمثال الثاني "في الدار" فكل من حرف الجر "في" والاسم المجرور "الدار" يدل على معنى جزئي، هو جزء من المعنى العام الحاصل من الجار والمجرور معا.¹

وعرّف الفارابي (المركب الناقص) بأنه « كل قول أمكنه أن يكون جزء أحد أنواع التام ».² ومزية هذا التعريف أنه يميز بين المركبين: التام والناقص، بكون أحدهما جزءا في الآخر.

الفعل التداولي:

لئن كنا قد عرضنا للفعل فيما سبق، فإن الذي دعانا إلى ذلك تعلق الغرض بتفكيك التركيب الإضافي (أفعال الكلام)، ونرجو أن نكون قد بلغنا من ذلك شيئا مما توخيناه. أما هنا فإننا سنعرض للفعل من جهة أنه تداولي فحسب. ولا بأس من الإشارة ابتداء إلى أن (الفعل) في اللغة العربية كما جاء في بعض كتب فقه اللغة يمكن إدراجه ضمن ما يعرف بـ(المشترك اللفظي)، فقد يطلق لفظ (الفعل) ويراد به المعنى الصرفي والنحوي، وقد يقصد به مجرد الحدوث والوقوع.³

لذلك فإطلاق لفظ (الفعل) من دونما قيد يحيل على أنواع كثيرة من الأفعال جميعها يشترك في الحدث، من ذلك أفعال الطبيعة وأفعال الصناعة. فالنار فاعلة وأثرها التسخين أو الحرق، والآلة قاطعة أو محولة وأثرها القطع أو التحويل وما إلى ذلك.

¹ - ينظر: محمد مرسل، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، المرجع السابق، ص 214 وما بعدها.
و: محمد مرسل، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، المرجع السابق، ص 17 وما بعدها.

² - المرجع نفسه، ص 18.

³ - ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان- الرباط، ط1، 2011، ص 73.

الفصل الأول

وقينجز الفعلَ العاقلُ، وهو أنواع منها المقصود وغير المقصود، والكلامي وغير الكلامي.¹

لذلك وجب تقييد (الفعل) الذي نحن بصدده بكونه حدثاً أو إنجازاً مقصوداً، قوامه اللفظ في إطار من السياق الاجتماعي «الفعل الكلامي» يعني: التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام.²

فقد تضمن هذا التعريف بعض مكونات (الفعل الكلامي) الذي منها المؤسسة الاجتماعية الحاضنة والموجهة، والتي لا غنى عنها للفعل الكلامي، وهي حاضنة يمكن النظر فيها من جهتين:

إحدهما: أن الفعل الكلامي لا يمكن أن نتصور له وجود خارج هذه الحاضنة الاجتماعية. والثانية: أن هناك أفعالا يستند إنجازها على ما نروم إلى مؤسسة خارج - لسانية، كالتى يتعلق إنجازها بالموقف الاجتماعي أو الاعتباري لكل من المتكلم والمخاطب، ومن ذلك فعل التبريك وفعل التصريح والقرار الإداري.³

فلتأخذ هذه الأفعال وما شاكلها مجاريها الطبيعية ويكتب لها النجاح - يجب أن يكون المتكلم على حال تؤهله لإنجاز هذا الفعل أو ذاك، وعلى المخاطب كذلك أن يكون ممن يستحق أن يتوجه إليه بالخطاب أو الفعل. والفعل الذي ينتظر منه أن يؤدي هذه الوظيفة يجب أن يكون كامل العناصر التي يأتلف منها.

¹ - ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 152-153.

و:جون لانكشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة -كيف ننجز الأشياء بالكلام، المرجع السابق، ص 18-19.

² - مسعود صحرأوي، التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص 09.

³ - ينظر: بنعيسى عسو أزابيط، الخطاب اللساني العربي -هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 204.

و: طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 18.

العمل القولي أو فعل التلفظ :Acte locutionnaire

وهو الأساس الذي تنهض عليه جميع الأفعال اللغوية، « يعد سورل Searle إنتاج جملة لغوية إنجازا متزامنا لأربعة أفعال لغوية: الفعل التلفظي، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري ».¹

فالأفعال الثلاثة: القضوي والإنجازي والتأثيري، تقوم على (فعل التلفظ) ، فهي توجد بوجوده وتنعدم بانعدامه.

ولا بد من التنبيه إلى اختلاف التسميات التي أطلقت على هذا الفعل، فقد سماه أحمد المتوكل (الفعل التلفظي)²، وهو عند بعضهم (الفعل التعبيري)³، وهو عند أزابيط (القول اللغوي) تارة، و(فعل القول) أو (فعل التكلم) تارة أخرى،⁴ وهو عند شكري المبخوت (الفعل القولي) ويعرفه بأنه « بنية نحوية معجمية مرشحة للإنجاز المقامي ».⁵

ومن هذا التعريف ندرك أن من أهم ما يميز (الفعل القولي) كونه بنية معجمية نحوية ذات دلالة، قوامها الصوت ابتداء، محكومة بالمقام التخاطبي.

و(فعل القول) بهذه المثابة هو فعل مؤتلف من ثلاثة(أفعال)⁶ كما يسميها (أوستن Austin)⁷ والبعض يسميها (مستويات):

أ - فعل صوتي: ويتمثل في إنتاج وحدات أو مقاطع صوتية تأتلف منها الكلمات المعجمية المستمدة من اللغة الأم.⁸

¹ - أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، المرجع السابق ص 109.

² - المرجع نفسه، ص 109.

³ - ينظر: جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتاي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص 82.

⁴ - ينظر: بنعيسى عسو أزابيط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 179.

⁵ - شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 167.

⁶ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص 41، 43.

و:شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 24، 25.

⁷ - ينظر: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، المرجع السابق، ص 124.

⁸ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص 41.

الفصل الأول

ب- فعل لفظي تأكيدي: ويقصد به سلسلة الكلمات المعجمية الخاضعة لقواعد النحو ومقتضيات التركيب.¹

ج- فعل إبلاغي أو دلالي: وهو أن يكون لتلك الألفاظ المتضامنة معنى ومرجع محددان، وإلا فهي مجرد أصوات فارغة لا طائل منها.²

فباشتمال الفعل على هذه الأفعال الثلاثة يكتمل فعلا قوليا منجزا ينضوي تحته إعلان على الأقل « في نظر أوستن Austin أن إنجاز فعل قولي لا يمنع من ظهور فعلين لغويين -على الأقل- يستندان لفعل القول نفسه».³ وهذان الإعلان هما: (فعل الإنجاز) و(فعل التأثير بالقول).

ويضيف سيرل فعلا ثالثا وهو (الفعل القضوي).⁴

وبحكم ما بين جميع مكونات (الفعل الكلامي الكامل)⁵ من ارتباط وثيق، نرى من المناسب أن نورد من القول ما أمكن في كل فعل من هذه الأفعال المستندة بالأساس إلى (فعل القول)، والمنبثقة عنه في الوقت ذاته. وهذه الأفعال هي:

أ- الفعل الإنجازي Acte illocutionnaire:

ويعرف الإنجاز بأنه « التنفيذ العملي لقواعد القدرة وآلياتها. إنه التحقيق الفعلي للقواعد الضمنية التي يملكها الفرد المتكلم عن لغته».⁶

وقد لا تقوى هذه القواعد الضمنية وحدها على الإنجاز. ولذلك لا بد من أن تسند بعوامل أخرى داخلية وخارجية، كحالة المتكلم النفسية، وما يطرأ عليها من العوارض

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص 41.

² - المرجع نفسه، ص 41.

³ - بنعيسى عسو أزابيط، الخطاب اللساني العربي -هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 179.

⁴ - ينظر: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، المرجع السابق، ص 109.

⁵ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص 41.

⁶ - مصطفى غلفان وآخران، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى، مفاهيم وأمثلة، المرجع السابق، ص 43.

الفصل الأول

والتغيرات، وكالمقام والظروف التي ينجز فيها القول ... إلى آخر ما هنالك من العوامل ذات التأثير في عملية الإنجاز.¹

إن بعضهم ليعتبر فعل الإنجاز « هو المقصود من النظرية برمتها »² دون سواه من الأفعال الكلامية الأخرى.

ب - الفعل القضوي Acte propositionnel:

وهو من الأفعال المتضمنة في القول وسمي بهذا الاسم نسبة إلى (القضية) التي هي مصطلح منطقي وكنا من قبل قد عرفنا (القضية) بأنها «قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب».³

وإذا كان الأهم في القضية " (تمثيل العالم الخارجي)، وهو ما أخذ به فلاسفة اللغة في أعمالهم، وبه يمكن تفسير اقتصارهم في تلك الأعمال على الجملة الخبرية دون الإنشائية التي اعتبروها فارغة من المعنى، لأنها لا تحيل على الواقع -⁴ فإن ذلك يجعل اقتران (القضية) ومن ثم (الفعل القضوي) بالإحالة ضرورة لا محيد عنها « ونقوم بفعل قضوي حين نحيل على شيء أو شخص أو حدث أو واقعة ... ونحمل عليه عبارة ما ».⁵

وبقدر ما يحتاج الفعل القضوي إلى الإحالة فهو يحتاج إلى (فعل الحمل) أو (الإسناد) «والقيام بالإحالة والإسناد يؤدي إلى إنجاز أفعال قضوية Actes propositionnels».⁶

¹ - ينظر: مصطفى غلفان وآخران، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، المرجع السابق، ص 43.

² - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، المرجع السابق، ص 42.

³ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 195.

⁴ - ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا، ط 1، 2007، ص 30.

⁵ - أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي المرجع السابق، ص 109.

⁶ - بنعيسى عسو أزيبط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 192.

الفصل الأول

والحق أن (الحمل) أو (الإسناد) ضرب من الإحالة الداخلية. وللمزيد من الإيضاح نشير إلى أن (الحمل) في (القضية) التي هي جملة خبرية مفيدة إفادة تامة، يقوم بوظيفة (المسند).

« وأهل صناعة المنطق يسمون الصفات محمولات، والموصوفات موضوعات، والصفات هي المحمولات ».¹

"فالموصوف" هو (الموضوع) الذي يقوم بوظيفة (المسند إليه) و(الصفة) هي (المحمول) الذي يقوم بوظيفة (المسند). ولذلك فعندما يعرف بعضهم (الفعل القضوي) بقوله: «... وهو معادل للفعل الدلالي عند "أوستن Austin"، على اعتبار أن ما كان يعرف بالفعل الدلالي، وكان يشمل عنصر المعنى والإحالة، أصبح عند "سورل Searle" يشمل فعلا مستقلا يسمى "الفعل القضوي" ويتضمن فعلي "الإحالة" و"الحمل" ».²

فإنما يقصد بـ(فعل الحمل) (المسند)، ونص على أنه(فعل) باعتبار أن الأصل في (المسند) أن يكون (فعلا) أو (وصفا)، لأن الوصف بمنزلة الفعل، ومرفوع الوصف بمنزلة الفاعل أو نائب الفاعل.³

والوصف هو المشتق كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة... الخ، ويؤكد هذه الحقيقة قول بعضهم في (الاسم) و(الفعل): « فالاسم ما كان قابلا للوصف Substantif أما الفعل فكل ما هو قابل للحمل Prédicable ».⁴ فالأصل في (المسند) الذي هو (الحمل) أن يكون فعلا أو ما هو بمنزلة الفعل، كما أسلفنا وفي المقلد فإنَّ الأصل في (المسند إليه) أن يكون اسما قابلا لأن يوصف، أي لأن يسند إليه الحكم الذي يتضمنه (فعل الحمل).

¹ - حسن بشير صالح، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، المرجع السابق، ص 307.

² - العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، المرجع السابق، ص 92.

³ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج1، ص 445.

⁴ - مصطفى غلفان وآخران، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، المرجع السابق، ص 185.

ج- فعل التأثير بالقول :Acte Perlocutionnaire

ويسمى (الفعل الناتج عن القول) أو (الفعل بواسطة القول)¹ ويقصد به أثر (فعل القول) الذي يتجلى في حمل المخاطب على أن يكون له موقف من (فعل الخطاب) بالقبول أو الرفض، وبالرضا أو السخط ... إلخ.

وبعضهم يعتبر (فعل التأثير بالقول) أثراً لـ (الفعل الإنجازي)²، لا لـ (فعل القول)، ونحن نعلم أن هناك فرقاً بين الفعلين إذا ما رمنا الوقوف عند حدود المصطلحين ولم نتجوز فيهما. اون كان التأثير في الحقيقة صادراً عن المتكلم، لأنّه صاحب الفعل الأصلي وصائغه ومُغرّضه وموجهه.³

نلفت النظر إلى هذه الحقيقة، وفي أذهاننا أن التأثير الذي يحصل لدى المخاطب ليس بالضرورة أن يكون دائماً هو ذاك الذي قصد إليه المتكلم قصداً، وعقد عليه نية الخطاب. وسواء اعتبرنا المؤثر هو (فعل القول) أو (الفعل الإنجازي) أو (المتكلم) فإن المؤدّى في النهاية هو أن التأثير قد يسلك سبيله إلى عقل ووجدان المخاطب، ويتجلى في سلوكه على نحو ما.

تصنيف الأفعال الإنجازية:

أولاً: عند أوستن Austin:

لعل تصنيف أوستن Austin للأفعال الإنجازية هو أول تصنيف، فقد صنفها تصنيفاً أولياً هو نفسه لم يكن راضياً عنه. وحسبنا من ذاك قوله « فإنني أميز خمسة أصناف أو فئات عامة وإن كنت مع ذلك غير مسرور ولا راض عن أية واحدة منها».⁴

¹ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 9.

² - ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، المرجع السابق، ص 92. و: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، المرجع السابق، ص 109.

³ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص 42.

⁴ - جون لانكشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، المرجع السابق ص 186.

الفصل الأول

وإن كان لا بد من عذر يُلتَمَس له في هذا التصنيف فهو إقراره بأوليته، وضبابية الرؤية. وذلك أمر طبيعي في كل جهد أولي وهذا التصنيف الأولي هو:

1- الحكميات: وهي الأحكام والقرارات القضائية الصادرة عن الحكام وما إليها مما يجري على الوقائع والقيم. ومن أمثلة هذا التصنيف: أحكام التبرئة، الإدانة، التوقع، الإحصاء، التقويم، التصنيف، التشخيص، الوصف، التحليل، ... الخ.¹

2- الإنفاذيات: وهي الأفعال التي تقوم على استعمال الحق والقوة وما إليهما. ومن أمثلتها: طرد، عزل، سمي، أمر، نهى، استقال، أعلن، صوت، أوصى، فتح، أعلق، ... الخ.²

3- الوعديات: وتتعلق بما يأخذه الإنسان على نفسه من أنه سينجز فعلا ما. ومن أمثلتها: وعد، نذر، أقسم، راهن، عقد، عزم، ... الخ.³

4- السلوكيات: وهي أفعال تقوم على تفاعل المتكلم مع الغير، فهي ترتبط بالإفصاح عن حالات نفسية تجاه الآخرين، أو بالسلوك الاجتماعي، ومن أمثلتها: اعتذر، شكر، هنا، عزي، انتقد، وبخ، بارك، ... الخ.⁴

¹ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 10.

و: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 62.
و: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، مرجع سابق، ص 62.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 182.

² - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 10.

و: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، مرجع سابق، ص 62.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 182.

³ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 10.

و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، مرجع سابق، ص 62.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 182.

⁴ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 10.

و: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 62-63.
و: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، مرجع سابق، ص 62.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 182-183.

5- العرضيات (التبيينيات): وهي الأفعال التي تستعمل للعرض والبسط، والتوضيح، والمحااجة. ومن أمثلتها: أثبت، أكد، نفى، أنكر، أجاب، اعترض، مثل، فسّر، حل، أول...الخ¹.

وبناء على هذا التصنيف أولي، ومن أنه لم يكن مرضيا حتى عند صاحبه، كان لا بد من التفكير في تصنيف آخر يفيد منه ويضيف إليه ما أمكن إضافته. وهو أمر طبيعي في تطور المعارف. وذلك الآخر هو تصنيف سورل Searle، حيث صنف الأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف مثل أستاذه أوستن Austin إلا أنه اختلف عنه في أمور، لعل أهمها الاتكاء على المعايير الاثنى عشر الآتي ذكرها:

1- اختلاف الأفعال الإنجازية في الهدف أو الغاية:

انطلاقا من أن وظيفة اللغة الأولى التواصل، وأن أصغر وحدة تواصلية الجملة أو العبارة باعتبارهما مجالا للفعل الكلامي، وأنها، أي اللغة، مطالبة تداوليا بأن تجيب عن أسئلة هي في مجملها تعنى بالجانب النفعي – انطلاقا من ذلك كله يتحتم على المتكلم أن يضمن ملفوظه فعلا إنجازيا، يقصد إليه قصدا لتحقيق هدف أو غاية معينة، يُسَدَّ خَرَّ الملفوظ لها بجميع مكوناته. فملفوظ الأمر غير ملفوظ الوعد، وهكذا.²

¹ - ينظر: طالب سيّد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 10-11.

و: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 62.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 62.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي – هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 183.

² - ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 63.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 63.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي – هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 198.

2- العلاقة بين القول (المضمون القضوي) من جهة والواقع (الكون أو العالم) من جهة ثانية:

فإذا كان المطلوب هو تغيير العالم لي مطابق القول أو المحتوى القضوي، فإن اتجاه المطابقة يكون من العالم إلى القول (المحتوى القضوي)، كما في أفعال الأمر والوعد ... الخ. وعلامة ذلك هي (↑).

وإذا كان المطلوب وصف العالم على ما هو عليه طبقا لاعتقاد المتكلم، فإن اتجاه المطابقة يكون من القول (المحتوى القضوي) إلى العالم كما هي الحال في الأفعال التقريرية، وعلامة اتجاه المطابقة الخاصة بهذه الأفعال (↓).

وقد يكون اتجاه المطابقة مزدوجا، كما في (الإيقاعات) (↓↑). وقد يكون فارغا (∅)، كما في (التعبيرات). وتكمن أهمية المطابقة في تحديد الهدف من الفعل الإنجازي.¹

3- الحالة النفسية للمتكلم:

والمقصود أن الأفعال الإنجازية تتعدد بتعدد الحالات النفسية للمتكلم (الاعتقاد، القصد، الرغبة، الإرادة، الإرضاء). فالتقريريات، مثلا، تعبّر عن الاعتقاد. والأمريات (الطلبات) عن الإرادة والرغبة. والإيقاعات عن التصديق بوقوع الفعل ناجحا والرغبة فيه. وهكذا.²

4- الاختلاف في قوة وكثافة تمثيل الهدف الإنجازي:

وللتوضيح نورد المثالين:

* أقسم بشرفي أن فلانا سرق النقود.

¹ - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 63.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 63.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 198-199..
² - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 64.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 64.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 200.

* أعتقد أن فلانا سرق النقود.

فالفعل الإنجازي المعبر عنه في الجملتين واحد وهو سرقة النقود من قبل شخص بعينه يعرفه المتكلم. غير أن هناك اختلافا بينهما. ففي الجملة الأولى تأكيد على أن هناك نقودا سرقت وأن سارقها هو فلان بعينه. في حين أن التعبير الثاني أقل قوة وكثافة فلم يزد المتكلم على أن ذلك مجرد اعتقاد منه لم يبلغ حد اليقين.¹

5- وضعية المتكلم والمخاطب:

فما يُحمَلُ عليه قول الضابط مخاطبا الجندي، غير ما يُحمَلُ عليه قول الجندي مخاطبا الضابط، ومردّد هذا الاختلاف إلى الرتبة والمركز الاجتماعي. فبمقتضى ذلك وجب على الجندي الامتثال للضابط إذا ما طلب منه إنجاز عمل ما. كأن يطلب منه تنظيف الغرفة أو ترتيبها. وفي المقابل يكون للضابط، مثلا، أن يستجيب أو لا يستجيب، إذا ما طلب إليه الجندي أن يمنحه إجازة لسبب من الأسباب. فالعبرة الواحدة تُحمَلُ على أكثر من محمل بالنظر إلى رتبة كل من المتكلم والمخاطب الاجتماعية.²

6- عائد الملفوظ:

فقد يكون لصالح المتكلم كالتبجح والتفاخر... الخ، وقد يكون لصالح المخاطب كالشكر والتهنئة والتعزية ... الخ.³

¹ - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 64.

و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 64.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 201.

² - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 64.

و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 64.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 201-202.

³ - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 64-65.

و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 64.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 202.

7- علاقة التعابير الإنجازية والأقوال بالخطاب في كلاً منهما:

والمقصود أن هناك تعابير من قبَل: أجيب، أستنبط، أستخلص، أعترض، بينما، بالإضافة، بالتالي، إذن، لأن، ... الخ تربط السابق باللاحق، واللاحق بالسابق شادّة أجزاء القول أو النصّ بعضها إلى بعض في كلّ متكامل، فضلاً عن وظيفتها -أو بعضها على الأقل- التأكيدية التي تضيف على بعض أجزاء الخطاب أهمية خاصة.¹

8- اختلاف المضمون القضوي الذي تحدده القوة الإنجازية بواسطتها:²

والمضمون القضوي «هو مجموع مفردات الجملة مضموماً بعضها إلى بعض في علاقة إسناد».³ وأما القوة الإنجازية التي تحدد هذا المضمون فهي عند كل من أوستن Austin وسورل Searle «الوظيفة التي يحققها القول عند استعماله، فهو قيمة تسند إليه في المقام، وبهذا المعنى فإن القوة ضرب من الصفة أو الخاصية التي تكون للقول».⁴ فهي إذن وظيفة تتحقق بالاستعمال في مقام معين.

وينتهي شكري المبخوت فيما عرض له بشأن القوة إلى القول: لذلك فالقوة في تصورنا هي الطاقة الموجودة في القول بعد أن تكونت البنية، ولكنها طاقة زائدة ... تتركب إلى الطاقة التي كوّنّت البنية».⁵ فهي طاقة يتوسل إليها المتكلم باللغة أو العبارة التي ينشئها، وهي زيادة متأتية من «التقاء الدلالات البنيوية الإعرابية بالدلالات المعجمية عند النظم».⁶

¹ - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 65.

و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 64.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 202.

² - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 65.

و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 65.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 203.

³ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 34.

⁴ - شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 52.

⁵ - المرجع نفسه، ص 53.

⁶ - المرجع نفسه، ص 54.

وبذلك « تكون قوة القول عندنا هي المعنى الدال على موقف المتكلم من محتوى كلامه ومن مخاطبه ».¹

ولا بد للقوة من وَّ اسِم، والواسم قد يكون حرفا له سلطة التأثير في المعنى والمضمون، وذلك هو الأصل، وموقعه صدر الكلام. الحروف المنوط بها وَّ سَمُ الكلام (أ، هل) الاستفهاميتان، (ما) النافية، (ليت) التي هي للتمني، (لام الأمر)، (لا الناهية) الخ.² وقد يكون الواسم ضربا محددًا من الأفعال والتراكيب الجامدة من نحو: نعم، بئس، ما أفعَلَه وأفعَل به، كم الخبرية. أما (أوستن Austin) و(سورل Searle) فقد اختارا «وسم القوة بالفعل الإنشائي أساسا».³

9- اختلاف في الطريقة التي ينجز بها الفعل:

والمقصود أن المتكلم في إمكانه أن ينجز الفعل بأكثر من وجه من وجوه الإنجاز. أ-إمكانية إنجاز الفعل باللغة وبغيرها، كالتصنيف، فإنه يكون بالقول، وبالفعل دونما حاجة إلى القول. وللمتكلم أن يختار ما يراه أنسب لحظة إنشاء الكلام. ب-لا محيد عن اللغة لإنجاز الفعل كفعل الوعد، فإنه لا يغني عن القول فيه غير ه. ج- ضرورة الاستغناء عن اللغة بغيرها، كأن يجد المتكلم نفسه في موقف مهيب يتعذر عليه فيه أن يتكلم، فيمكنه - والحال تلك - أن يستغني عن الكلام بحركة أو إشارة أو نحو ذلك.⁴ ذلك.

10- اختلاف بين الأفعال:

¹ - شكري المبخوث، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 54.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 59.

³ - المرجع نفسه، ص 58.

⁴ - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 65.

و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 65.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 203.

فهناك أفعال يكفي لإنجازها الاستناد إلى (مؤسسة لسانية) حسب، كأن تخبر أو تعد بشيء. وهناك أفعال يستند في إنجازها إلى (مؤسسة خارج لسانية)، كفعل التبريك، والتصريح بأمر هام، وفعل الدكم في مقابلة رياضية ونحوها.

ففي هذا كله يحتاج إنجاز الفعل إلى موقع (مؤسسة) يؤهل المتكلم والمخاطب - كل من موقعه - لإنجاز الفعل بنجاح.¹

11 - مدى مطابقة الفعل الكلامي لإنجاز الفعل:

والمقصود أن هناك أفعالا إنجازية ترتبط بأفعال إنشائية معينة من قبيل الفعل (وعد) والفعل (أمر) مثلا فيكفي المتكلم لإنجاز فعل الوعد، أن يصرح بهذا الفعل. كما يكفي لإنجاز فعل الأمر أن تعتمد صيغته. أما فعل التهديد، مثلا، فلا يمكن إنجازه بالفعل (هدد) ونحوه، لأن الفعل الإنجازي التهديدي من الأفعال التي لا يوجد لها فعل إنشائي تتجز به، وإنما يتم إنجاز بطرق أخرى كأن يقول المتكلم مخاطبا مَن أقدم على مخالفة: تلك هي فعلتك. فلا شك أن الفعل الإنجازي المقصود هو التهديد.²

12 - اختلاف في الأسلوب لذي يؤدي به الفعل الإنجازي:³

فقد يتفق الفعلان في الهدف الإنجازي وفي المضمون القضوي لكنهما يختلفان في الأسلوب، كأن يؤدي الفعل الإنجازي الواحد بأسلوبين مختلفين كما في المثالين:

*باح زيد بالسر الذي بيني وبينه.

* أذاع زيد في الناس السر الذي بيني وبينه.

¹ - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 65.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 65.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 204-205.

² - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 66.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 65.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 204-205.

³ - ينظر: فرانسوار أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 66.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 65.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 205.

حيث إن كلاً من الفعلين (باح) و(أذاع) يمكن أن يحل محل الآخر ويظل الفعل الإنجازي واحداً في المثالين، وهو الإخبار بإذاعة زيد السرّ في الناس. في ضوء هذه المعايير التي بها نميزّ الأفعال الإنجازية بعضها من بعض، واستناداً إليها، صنف سورل Searle الأفعال إلى خمسة أصناف.¹

1- التقريريات:

ولها أكثر من تسمية: الإخبارات أو الإخباريات، التأكيدات، الجزميات، الممثلات، الإثباتيات والمؤدّيات في النهاية واحدٌ أياً ما كانت التسمية: وهي هذه الأفعال التي تجعل المتكلم مسؤولاً عما يقول أو يعتقد من خلال الجملة المعبر عنها إزاء حالة الأشياء في الكون. ومعيّلتها عن غيرها من الأفعال الحكم لها بالصدق إن طابقت الواقع، وعليها بالكذب إن هي خالفت هذا الواقع. وهو المعيار ذاته الذي ميّز به علماء البلاغة العرب الخبر عن الإنشاء.²

والغرض منها تقرير الوجود في الكون (العالم الخارجي)، كما يعتقد المتكلم. لذلك تكون الحالة النفسية المعبر عنها فيها هي الاعتقاد. واتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم.

¹ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 30، 31، 32.

و: فرانسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 66، 67، 68.
و: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 66.
و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، مرجع سابق، ص 208 إلى 213.
و: يحيى بعيطيش، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو - عرض وتأسيس لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي، ضمن كتاب التداوليات، علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص 115، 116.

و: جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتاي، دار الأمان - الرباط، ط 1، 2010، ص 89، 90، 91.
² - ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 38، 39، 40.

2- الإيقاعيات:

يؤدّي لفظ (الإنشاء) في العربية معنى الإيجاد والإيقاع،¹ وهو ما يصلح أن يكون مقابلاً للفظ الإنجليزي (Performatives) في أحد معنييه الذي هو «التنفيذ والإحداث والإنجاز والتحقق في الكون».² وهو عند أوستن Austin من ناحية أخرى يعني «أن ننجز بالقول عملاً لا يصح فيه مبدئياً اختبار التصديق والتكذيب».³ وذلك هو معنى الإنشاء في البلاغة العربية.⁴

ولئن كان الأصل في الإيقاعيات أنها أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، فإنها لا يرد بها وصف الواقع مستقلاً بل إيجاده. لذلك كان اتجاه المطابقة فيها مزدوجاً، من القول إلى العالم لخبريتها التي هي الأصل، ومن العالم إلى القول لإنشائها التي هي فرع عن الأصل.⁵

وقد انطلق (أوستن Austin) في القول بإنشائية عباراتٍ، الظاهر فيها أنها أخبار لكنها لا تصف ولا تخبر ولا تثبت، ومن ثم لا تصلح للحكم بالصدق أو الكذب. وواضح أن الأمثلة التي ساقها توحى بأنه أراد بإنشائية تلك العبارات ما يُعرف بـ(العقود).⁶ غير أنه ما لبث أن «همّ» هذا الإنشاء الإيقاعي (العقود) على جميع أضرب كلام خبراً وإنشاء بنوعيه.⁷

¹ - ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 123.

² - المرجع نفسه، ص 123.

³ - المرجع نفسه، ص 123.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 123.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 118، 119، 150.

⁶ - ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 124.

⁷ - المرجع نفسه، ص 149.

الفصل الأول

ويقابل ما قال به (أوستن Austin) في مرحلته الأولى من إنشائية العبارات الخبرية التي ساق نماذج منها:¹ ضدَّ ربَّ من ضروب الإنشاء غير الطلبي عند العلماء العرب، والذي يسمى عند بعضهم بـ: (صيغ العقود) ويسميه (الاستراباذي) (الإنشاء الإيقاعي).² ويعتبر (سورل Searle) في كتابه المشترك مع (فاندركن) (الفعل المتضمن في القول)، في الجمل الصريحة التي هي من قبيل: أمرك بالخروج من الغرفة - فعلا إيقاعيا ما دام محتواه القضوي معبرا عن إنشاء المتكلم للفعل المتضمن في القول.³ والإيقاعيات قسمان:⁴

أ - إيقاعيات ينشأ عنها كائن لغوي: كالأمر والوعد والخبر. والكائن اللغوي لا يحتاج في وجوده إلى مؤسسة، بل مجرد التلفظ المناسب يكفي لإيجاده.
ب - إيقاعيات ينشأ عنها كائن غير لغوي: كالزواج والحرب والتعليق، ولا يكفي لإنشاء الكائن غير اللغوي مجرد التلفظ بالإيقاع المناسب، بل يحتاج إلى (مؤسسة خارج-لسانية) يستند إليها.

3- البوحيات: يميز (سورل Searle) بين نوعين من البوحيات، منطلقا من معنى (التعبير) عنده⁵

أ - يفيد (التعبير) عنده التعبير عن القضايا والقوى المتضمنة في القول.
ب - التعبير بمعنى الإعراب عن المشاعر والانفعالات. وهذا المعنى الثاني هو الذي يعنيه في تصنيفه الخماسي.
والبوحيات ضربان:⁶

¹ - ينظر: جون لانكشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص 16.
² - ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 124.
³ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 38، 108 إلى 110.
⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 39.
⁵ - طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 149.
⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص 156، 157.

الفصل الأول

أ- البوحيات الاجتماعية هي الممثلة لأفعال اجتماعية تلازمها انفعالات نفسية، ويوجدُها الفعل المتضمّن في القول، وتكون موجهة إلى مخاطب بالضرورة.¹

ب- البوحيات النفسية: وهي التي تعبر عن حالات نفسية وانفعالات فحسب، وأهمية الفعل المتضمن في القول تنحصر في الكشف عنها، وليست موجهة إلى مخاطب بالضرورة.² وهناك ارتباط بين البوحيات الاجتماعية والإيقاعيات. فالفرق بين النوعين فرق في طبيعة العالم الذي يؤثر فيه الفعل المتضمن في القول، ففي الإيقاعيات يكون العالم المطلوب تغييره اعتباريا قانونيا يترتب عليه إجراء قانوني ثوبا أو عقابا كقول من صدر في شأنه حكم أو إجراء ما: شكرا وهو يعني بالخطاب من أصدر الحكم أو اتخذ الإجراء. فقوله ذاك دليل على الامتثال والرضا بالحكم، وكذا القول في التعزية كما نرى بين الدول التي بينها نزاع وخصومات، فإذا ما تعرض أحد رعايا الدولتين لعملية اغتيال مثلا فإن الدولة الأخرى المعادية تبادر إلى التعزية التي ظاهرها المشاركة الوجدانية وممرها دفع الاتهام، فهي تعزية يترتب عليها استحقاق.

وعلى النقيض من ذلك أن يعزي أحدا أبا له، فإن التعزية في هذه الحالة لا تعدو أن تكون مشاركة وجدانية، عقباها تقوية الروابط الاجتماعية، ولا يترتب عليها شيء آخر، عدا ذلك، يثيب عليه القانون أو يعاقب.³

وقد ذهب المحلّون في البحث عن مائز البوحيات المذاهب⁴، من ذلك أن المعنى معنيان: حرفي واسمي.

أما الحرفي فهو الذي تعتمد فيه الأداة أو الصيغة الخاصة بذلك المعنى من نحو: ليت لي مالا، وهل نجحت؟. أما الاسمي فهو المعنى الذي يتوسل إليه المتكلم بمادة الكلمة مثل: (أمر) للدلالة على الأمر بصيغة المضارع (أمر)، وكذا الحال في (أسأل) و(أتمنى)

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 156.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 156.

³ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 157.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 149 إلى 154.

الفصل الأول

للدلالة على الاستفهام والتمني، والفرق بين هذين المعنيين: الحرفي والاسمي في أن القائل: ليت لي مالا، عبّر عن رغبة في امتلاك المال، والرغبة من المعاني النفسية. في حين أن المعنى الاسمي من نحو: أتمنى أن لي مالا، يفيد أن المتكلم أخبر بأنه تمنى وجود المال. وهناك فرق بين التعبير عن الرغبة بذاتها باعتبارها حالة نفسية، وبين الإخبار عن ابتغاء هذه الرغبة.

وطبقا لهذا التحليل تكون الجملة: ليت لي مالا، تعبيرية. في حين أن الجملة: أتمنى لي مالا، إنما هي إخبارية.

ويعوّّل (ابن ماجة) في تمييز الأفعال أو العبارات التعبيرية على ما يسميه بالنغم، فلألم نغمة تدل عليه كالأذنة أو ما يقوم مقامها مثل: "آه" و"أواه". في حال الوجد والتأسف. وكذا الأمر فيما تشتهيه النفس وتميل إليه.

وبعلّ ابن ماجة تعبيرية هذه الأفعال أو العبارات بعدم قبولها للتصديق والتكذيب، فنغمة هذه العبارة الدالة على الحالة النفسية مانعة من أن يقال فيها صادقة أو كاذبة. وثمة من يعتبر المائز في العبارة التعبيرية كونها تعبيراً عن حالة نفسية معينة، يمكن للمتلقي أن يهتدي إليها من منطوق العبارة وما يكتنفها من القرائن وملابسات الأحوال في إطار من السياق، وبصرف النظر عن حرفيتها أو اسميتها.

ويميز (ركاناتي) العبارة التعبيرية بما أسماه (البعد الإشاري) الذي يعني به المحتوى الوصفي، فعدم وجود هذا البعد يعني تعبيرية العبارة، ومن ثم عدم وجود المطابقة من القول إلى العالم، ومن العالم إلى القول. ولنا أن نتذكر أن المطابقة من المعايير التي اعتمدها (سورل Searle) في تصنيفه الخماسي للأفعال.

ومن الأمثلة التي ساقها (ريكاناتي Recanati) إلقاء التحية، فالتحية تفتقر إلى وجود واقعة تشكل المحتوى القضوي، فهو يبحث في العلاقة بين البعد الإشاري من جهة والفعل المتضمن في القول من جهة أخرى. فالفعل التعبيري يفتقر إلى هذا البعد افتقاراً يجد تجلياته في عدم وجود مطابقة.

4- الوعديات:

وهي الأفعال التي يلتزم المتكلم بإنجازها مستقبلاً،¹ واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول.² والمسؤول عن إحداث هذه المطابقة هو المتكلم بشرط المَعْدَّ هو أن يكون المتكلم قادراً على الوفاء بما أخذه على نفسه من الوعد بإنجاز الفعل.⁴ والحالة النفسية المعبر عنها هي القصد.⁵

- الأمرات (الطلبات):⁶

والحق أن الطلبات أشمل، والأمرات بعض مشمولاتها على ما سنرى لاحقاً. ويعود بنا الحديث في موضوع الطلبات إلى الخبر والإنشاء عند العلماء العرب. ومما جاء في هذا الصدد ما رآه ابن سينا ومن قبله الفارابي، من أن الباعث على القول إنما هو الدلالة على ما

¹ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 33.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 210.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 210.

و: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، المرجع السابق، ص 66.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

⁴ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 31.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 210.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 209.

الفصل الأول

في النفس. وهذه الدلالة لا تعدو أن تكون لذاتها أو لشيء آخر يتوقعه المتكلم من المخاطب. فالتى تراد لذاتها هي الإخبار. والتي تراد لشيء يرجى من المخاطب أمران: الأول: أن يكون ذلك الشيء الذي يبتغيه المتكلم من المخاطب دلالة. والثاني: أن يكون ذلك المبتغى فعلا لا دلالة.

فإن كان المبتغى دلالة فهو استعلام أو استفهام، وإن كان عملا من الأعمال فهو طلب. ولا بأس من الإشارة إلى اعتبار ابن سينا التمني والتعجب أخبارا معدولا بها عن الخبر.¹ وإنما أشرنا إلى هذا لأننا قد نتعامل -عند التطبيق- مع التمني لا على أنه من الإنشاء الطلبي.

وينظر (الاسترابطي) إلى ما يسميه (الجملة الخبرية) على أنها قسمان:

- إنشائية من نحو: بعت، طلقت، أنت حر.

- طلبية كالأمر و النهي و الاستفهام و التمني².

والملاحظ في هذا التقسيم أن (الاسترابطي) درج التمني ضمن الإنشاء الطلبي على غير ما ذهب إليه ابن سينا. فالإنشائيات عنده هي الإيقاعات عند (سورل Searle)، والطلبات عنده هي الأمرات عند (سورل Searle) كذلك.³

وما عليه الإجماع مدرسيا على الأقل هو أن الإنشاء طلبي وغير طلبي، فالطلب هو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب⁴. وذلك يشمل الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني والنداء⁵.

¹ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 47، 48.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

⁴ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، إشراف صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2006، ص 64.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه،

و: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبدیع، مراجعة وتصحيح وتخريج الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1988، ص 130 إلى 144.

الفصل الأول

وهو ما قال به صاحب (الإيضاح) من قبل، حيث عرّف الإنشاء الطلبي بقوله: « والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل ».¹ وهو تعريف لا يختلف عن سابقه إلا في أمرين:

أولهما: هذه العبارة الاحترازية (لامتناع تحصيل الحاصل)، فقد استغنى عنه التعريف الأول تعويلاً منه على نباهة القارئ أو السامع، وأوردها صاحب الإيضاح رغبة منه في التأكيد ودفع التوهم.

وثانيهما: التخصيص في التعريف الأول على أن المعتمد في حصول المطلوب أو عدم حصوله هو اعتقاد المتكلم لا الواقع الموضوعي بمعزل عن الذات المدركة.

ولكل نوع من أنواع الطلب معنى أصلي متواضع عليه ابتداء وقد يُعدّل به عن هذا الأصل إلى معانٍ أخرى لغرض يريده المتكلم،² فالأصل في الأمر مثلاً طلب المتكلم حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء واللزوم، وما على المخاطب إلا الامتثال والقيام بالفعل.

وقد يُعدّل عن هذا الأصل إلى الدعاء، مثلاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَا صَدْرَ أَطْمَسْتُ قَدِيمَ﴾ (الفتح/6) وقوله: ﴿يَا هِنَ لَدُنْكَ رَحْمَةً...﴾ (الآية، آل عمران/8). بصيغة "اهد" و"هب" المعدول بهما إلى الدعاء. وكذا الحال بالنسبة لباقي أنواع الطلب.

واتجاه المطابقة في الطلبيات من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، والشرط المعدّل أن يكون المخاطب قادراً على إنجاز المطلوب، أما الحالة النفسية المعبر عنها في الطلبيات فهي الإرادة والرغبة.³

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المرجع السابق، ص 130.

² - ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبدیع، المرجع السابق، ص 136 إلى 144.

و: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المرجع السابق، ص 64 إلى 93.

³ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 31.

مدخل إلى اللّزوميّات

أبو العلاء المعرّي ولزوميّاته

أبو العلاء ولزوميّاته:

«هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان»¹ المعروف بـ(المعري) نسبة إلى (معرة النعمان).

ينسب المعري إلى (تيم الله) وهم طائفة من الأحلاف القضاعيين عرفوا في الجاهلية والإسلام إلى ما بعد أبي العلاء باسم (تنوخ). وتيم الله هذه بطن من قضاة² وقضاة قحطانية من بلاد اليمن نزحت إلى الشمال بعد سيل العرم الذي يروي قصته القرآن الكريم. وانتهت الرحلة بهذا البطن من بطونها إلى بلاد الشام.³

ولد بمعرّة النعمان سنة 363هـ⁴. وهي مدينة بين حماة وحلب ببلاد الشام. واختلف في النعمان هذا الذي أضيفت إليه، فبعضهم يرى أنه هو النعمان بن بشير، والبعض يرى أنه النعمان بن عدي بن غطفان التنوخي المعروف بساطع الجمال، وهو من أجداد أبي العلاء في الجاهلية⁵.

لم تلق تسمية والديه له (أحمد) ضدّ⁶، وكان حرياً بهما لو اشتقا له اسماً من (الزّ) لا (الحم) فذلك أحرى به وأولى في نظره⁶. وكما كره اسمه كره كنيته (أبو العلاء) وكان الأولى به أن يكنّى بـ(أبي النزول) بدل (أبي العلاء)⁷:

دُعِيَ بِأَبِ الْعَلَاءِ وَذَلِكَ مِنْ *** وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ بِأَبِ الْتُّولِ

واختار لنفسه أن يدعى "رهن المحبسين" العمى والمنزل، بل رهن السجون الثلاثة:⁸

¹ ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2011، ج1، باب الألف، ص396.

² - ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص397.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص396.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص459.

و: عمر فروخ، حكيم المعرة، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ص23.

⁴ - ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ص397.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص463.

⁵ المرجع نفسه، ص451، 452.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص464، 465.

⁷ - ينظر: المرجع نفسه، ص465.

⁸ - ينظر : طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص465.

رَأْنِي فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ سُدُجٍ وَذِي *** فَلَا تَدُلُّ عَنِ الْخَبْرِ الْيَثْبَاقِ
لَفَقْتِي نَاطِرِي زُلُومٍ بِدَيْتِي *** وَكُنِ الذِّفْنُ فِي الْجِسْمِ الْخَيْثَاقِ

أصيب بالجذري في الرابعة من عمره، وألحَّ عليه حتى أذهب بصره¹، ولم تحتفظ ذاكرته مما رأى قبل العمى إلا بلون الحمرة، وهو اللون الذي اقترن بالثوب الزعفراني الذي كان يرتديه أثناء مرضه².

نشأ في أسرة كان لها في المجد العلمي طارف وتليد. لذلك فلا نعجب أن يبدأ أبو العلاء درسه اللغوي على أبيه في سن مبكرة، على عادة أهل الشام والعراق والبلاد التي غلبت فيها اللغة العربية، حيث قضت العادة عندهم أن يبدأ الناشئون بدرس علوم اللسان حتى إذا ما بلغوا من ذلك المبتغى سما من شاء منهم إلى درس ما أحب من العلوم العقلية والفلسفية.³

كما لا نعجب أيضاً، والبيئة الثقافية هي هذه، أن يبدأ الفتى قرص الشعر ولما يعد السنة الحادية عشر.⁴

اعتزم أبو العلاء مغادرة المعرّة بعد أن أحسَّ من نفسه أنه قد استنفد ما يمكن طلبه في المعرّة، وكان لا بدَّ من المزيد، والمزيد إنما هو خارج المعرّة، فارتحل إلى حلب ليسمع اللغة والآداب من علمائها الذين شهدوا ابن خالويه، وأخذوا عنه، وفيهم محمد بن عبد الله بن سعد، وكانت حلب آنذاك إحدى الحواضر الكبرى للمسلمين تزدهي بمن فيها من كبار العلماء والأدباء وفحول النظم والنثر الذين دعاهم إليها سيف الدولة في أيامه الغر. فصادفت

¹ - ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص397.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص466.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص466.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص469.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص397.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص469.

تلك الحياة الأدبية في حلب من نفس أبي العلاء هوى يمدده قلب ذكي، وفطنة صادقة وذاكره مرنة صيود تجيد حفظ ما يرد عليها، فأتى ذلك كله في نفسه ثمرا لذيق الجنى.¹

وذكر مؤرخوه من رحلاته في سبيل العلم سفره إلى أنطاكية سنة 353هـ، وكانت حاضرة من حواضر المسلمين. وكانت بها مكتبة عربية تشتمل من نفائس الكتب على عدد غير قليل، فحفظ منها ما شاء الله له أن يحفظ.²

ثم سافر بعد ذلك إلى طرابلس الشام، ومرّ في سفره ذاك باللاً ذقية فنزل بدير فيها، ولقي بهذا الدّير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل، فأخذ عنه منها ما شككه في دينه وغيّره من الديانات، وقال في ذلك ما قال من الشعر وإن لم يصلنا منه شيء، ثم تاب وتراجع عما قال والتمس لكلامه وجوها من التأويل قبلت منه.³ ومنها عاد إلى مرة النعمان.

وفي سنة 398هـ شدّ الرحال إلى بغداد فأقام بها سنة و سبعة أشهر.⁴ أغراه بالرحلة إليها ما كان يبلغه من أنبائها وأخبار علمائها ومجالس العلم فيها⁵، وقوى في نفسه الرغبة في الرحلة إليها ما جاء في بعض الرسائل من أنه "لم يحتج بعد العشرين إلى أن يأخذ العلم على أحد في الشام ولا في العراق".⁶ وإن فليذهب إلى بغداد لا ليجلس مجلس التلميذ من أحد وإنما كان يسعى إلى عرض ما فتح الله به عليه هناك ومجالسة العلماء مجالسة الند للند والنظير للنظير.

وقد هبأت له هذه الزيارة أن يطلع على ما تعج به بغداد من نشاط فكري وعلمي وأدبي تعقد له المجالس وتلتئم المجامع، ومنها مجمع الشريف الرضى وهو مجمع يضم الأدباء على اختلافهم. وهناك مجمع آخر كان يلتئم حول الوزير سابور بن أردشير، وكان

¹ - ينظر: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 469، 470. و: عمر فروخ، حكيم المعرفة، المرجع السابق، ص 36.

² - ينظر: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 470، 471. ³ - المرجع نفسه، ص 471.

⁴ - ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص 397.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 487. ⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 483، 485.

⁶ - طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 472.

الثعالبي قد خصص له فصلا في يتيمته مدحا وإطراء وإلى جانب ذلك هناك مجامع فلسفية وكلامية، منها ما هو عام يشهده كل الناس كمجمع الشريف المرتضى، ومنها ما هو خاص لا يشهده إلا أفراد جمعت بينهم الثقة والتآخي والانضواء تحت راية المذهب أو الوجهة الواحدة، كالمجمع الذي كان يلتئم يوم الجمعة من كل أسبوع في بيت أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصري. إلى مجالس المناظرة في الفقه والكلام، تلك التي كان قد مثل جلال خطرهما شعر أبي العلاء ونثره أحسن تمثيل¹.

وقد يعجب المرء لهذا التناقض بين رقي الحياة العلمية والفكرية والأدبية في بغداد أيام نزول المعري بها من جهة، والحالة السياسية التي وصفت بأنها « كانت في شر منازلها من الضعف والافتراق آنذاك من جهة أخرى. خليفة مغلوب على أمره وملك من بني بويه قد عجز عن تدبير ملكه وجند لا ينفكون في ثورة وهياج لسوء التدبير، وكثرة المطامع وانقطاع الأرزاق »² من جهة أخرى.

وعلى رغبة المعري الملحة في زيارته بغداد وتشوقه إليها والاحتفاء به على ربوعها، إذ لم يبق من أدباء بغداد وعلمائها وفقهائها من لم يعرفه ولم يعجب به - ما لبثت حاله بها أن ساءت وتكرر صفو حياته لا لسبب بل لأسباب عدة منها:

- حاجته إلى ما يعينه على تكاليف الحياة المادية، إذ كان فقيرا لا يملك من المال شيئا،³ وكان في إمكانه أن يتوسل لتحسين حاله من طريق التكسب بالشعر، وهو من هو منزلة. إلا أنه لم يفعل تعففا وإباء، فلم تكن نفسه تسمح له بمدح ملك أو وزير، ولا قبول هبة من أحد أو عطية.

- قصته مع الشريف المرتضى، ومفادها أن المعري حضر مجلس المرتضى يوما، فجرى ذكر المتنبي، وكان المرتضى يكرهه ويتعصب عليه، وكان أبو العلاء يحبه ويتعصب له. فانتقص المرتضى المتنبي، وأخذ يتتبع عيوبه فقال أبو العلاء: لو لم يكن له إلا قوله: "لك يا

¹ - ينظر: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص485.

² - المرجع نفسه، ص485.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص497-498.

منازل في القلوب منازل" لكفاه، فأدرك المرتضى أن المعري يعني بقوله هذا قول المتنبي من القصيدة نفسها:

وَإِذَا أَتَيْتَ مَنْ نَاقَصَ *** فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنْ يَكْمَلَ

وتوسل إلى مقصوده هذا بقول المتنبي السابق، وهو شطر بيت تعمية منه، غير أن المرتضى بنباهته وفطنته لم يفته ما كان يرمي إليه المعري، فغضب لذلك وأمر بإخراجه.¹
- قصته مع أبي الحسن علي بن عيسى الربيعي النحوي والتي جاء فيها أن المعري زاره ذات يوم، فلما استأذنه قال أبو الحسن: ليصعد الاصطبل، أي الأعمى في لغة أهل الشام، فلما سمعها المعري انصرف مغضبا ولم يعد بعد ذلك.²

يمكن أن يضاف إلى هذه العوامل شوقه إلى المعرفة التي ما فتئ يذكرها في غنائية قل نظيرها:³

وَكَمْ هَمْزٍ أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا ۝ *** إِلَى الشَّامِ لَوْلَا حَبْسُهُ بِعَقَالِ
يَا بَرْقُ لَيْسَ لَكَ دَارِي وَامِدَّ ۝ *** أَنِّي إِلَيْهِ لَهْوٌ مَذْيَالِ
فَهَلْ فِيكَ مِنْ مَاءِ مَوْءِ قَرِطَةٍ *** تُغِيثُ بِهَا ضَمَانٌ لَيْسَ سِبَالِ

وإن فقد قرر المعري أن يعود إلى المعرفة. وكم كانت عودته شديدة الوطء على أهل بغداد، جاء في إحدى رسائله وغيرها «أنَّ أهل بغداد لم يسمعوا بعزمه على السفر حتى ارتاعوا له، وألحوا في نهيه عنه، وبذلوا له الأموال، ورغبوه في ألوان النعمة، فأبى ذلك كله، وكأن نفسه قد انصرفت عن الدنيا أتم الانصراف، فلم يبق إلا أن يمضي لما أراد من العزلة»⁴.

¹ - ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص406.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص406.

³ - ينظر: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 498.
و: أبو العلاء المعري: سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ص 244 إلى ص 249.

⁴ - طه حسين، من تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص495، 497.

عاد إلى المعرة فالتزم بيته واعتزل الناس.¹ وحُبِّبَ إليه عزلته تلك ما لقيه من الأذى ولؤم الناس.² يضاف إلى ذلك أن في طبيعته شيئاً من الميل إلى العزلة، وقد نطقت لزوميّاته بما يدل على هذا الميل.³

بيد أن حبه للعلم وإقبال الراغبين في التعلم عليه أفسد عليه عزلته، ولم يكن لهذا الإفساد وتلك الحيلولة بينه وبين عزلته تلك آسفاً، فلم يكن حبه للعلم أخذاً وعطاء أقل شأنًا من ابتغاء العزلة.⁴

ظل على تلك الحال إلى أن توفي سنة 449هـ، فنال بذلك ما كان يرجوه ويحرص عليه من فراق الحياة ورجوع جسمه إلى عنصره الذي منه انتلف وتركب.⁵

آثار المعري:

لأبي العلاء شعر ونثر كثير⁶، بيد أن أكثر ما قال - فيما يرى دارسوه ونقاده - عبثت به أيدي الأيام والليالي، فكان عرضة للضياع. ويستندون في ذلك إلى كون المعري قد بدأ يعالج القريض ولما يعدُّ الحادية عشر من عمره، وامتد به العمر إلى أن ذَيَّفَ على الثمانين.

أضف إلى ذلك ذكائه وقوة حافظته ورغبته الجامحة في العلم أخذاً وعطاء. فمن المستبعد - والحال تلك - أن يكون هذا الذي وصلنا هو كل ما قال. وما قيل في شعره يقال في نثره سواء. والذي وصلنا من شعره ثلاثة دواوين وهي:⁷

¹ - ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص 407، 417.

² - ينظر: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 505.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 505.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 509.

⁵ - ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص 397.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 524.

⁶ - المرجع نفسه، ص 417 وما بعدها.

⁷ - ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص 417 وما بعدها.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 530 وما بعدها.
و: أبو العلاء المعري: ديوان لزوم ما لا يلزم، تقديم وشرح وفهرست: وحيد كبابية وحسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009، ج 1، ص 08.

-سَهْ الزَّ نَد: وهو ديوان شعر يضم شعره أيام شبابه على الأرجح.

الدرعيّات: وهو ديوان صغير يشتمل على أشعار وصفت فيها الدروع خاصة، وقد طبع ملحقاً بسقط الزند.

-الزُّومِيّات: وهي أكبر الدواوين الثلاثة، وأجلها خطراً، نظمت كلها في الطور الثالث.

أما النثر فلم يطبع منه إلا:¹ (رسالة الغفران)، (زجر النابح)، (رسالة الملائكة)، (الفصول والغايات)، (رسالة الهناء)، (رسالة الصاهل والشاحج)، (مجموع رسائل أبي العلاء).

الزُّومِيّات: (لزوم ما لا يلزم) أكبر دواوين المعري الثلاثة وأجلها خطراً. نظمه في الطور الثالث من حياته. يضم أحد عشر ألف بيت من الشعر.² وإنما سميت (اللزوميات) بهذا الاسم لأن المعري ألزم فيها نفسه ما ليس بلزوم³. فلئن كان المعهود في الشعر العربي أن يلتزم الشاعر في القصيدة الواحدة رويًا واحدًا، فإن المعري قد خرج في لزومياته عن هذا المألوف، وألزم نفسه باعتماد حرفين في القافية.

حقاً أن هناك من سبق المعري في هذا الالتزام. ولنا أن نذكر ممن سبقه في ذلك كثير عزة في تائيته المشهورة والتي مطلعها:

خَلِيلِي هَذَا رَجْعُ عَزَةٍ فَأَعْقِلَ *** قُلُودِي كَأَنَّ ثَمَّ ابْكِيَا حَيْثُ دُكَّتِ

إلا أن المعري قد دأب على ذلك وألزم نفسه به، لا يحيد عنه قيد أنملة في ديوانه كله. ولا يتعلق الأمر بقصيدة واحدة كما هي الحال عند كثير أو غيره.⁴

والمتتبع لسيرة المعري ومسلكه في حياته يقتنع بأن اللزوميات تصلح، ولو بشيء من التجوز قليل، أن تكون عنوان حياته كلها. فقد كان صارماً مع نفسه، قاصداً إعانتها، راضياً

¹ - المصدر نفسه، ص 417 وما بعدها.

و: طه حسين، من تاريخ الأدب العربي-العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 562 وما بعدها.

و: أبو العلاء المعري: ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 8، 9.

² - المصدر نفسه، ص422.

³ - المصدر نفسه، ص422.

⁴ - ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المرجع السابق، ص421.

إياها على ما يريد منها لا ما تريد، متكلفا في كل شيء، حتى في لغته وأسلوبه. فقد كان كثير الجنوح إلى الغريب، بل وإلى اختراق ما اعتاده الناس في حياتهم في العادات والأحكام والقيم والأفكار، متحديا، مراغما. وكان صاحب نزعة عقلية وفلسفية بادية في لزومياته، حتى لقد قال طه حسين: « وليس في شعراء العربية من يشارك أبا العلاء في خصال امتاز بها: منها أنه أحدث فنا في الشعر لم يعرفه الناس من قبل وهو الشعر الفلسفي الذي وضع فيه كتاب اللّزوميات »¹.

¹ - طه حسين، من تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني، المرجع السابق، ص 559.

الفصل الثاني

نماذج تطبيقية على التّقريرات

نماذج تطبيقية على الإيقاعات:

أولاً: الدّعاء

ثانيلاً: جاء

ثالثاً: القسم

رابعاً: أفعال الرّأي

خامساً: أفعال الإقرار

سادساً: الوصيّة

نماذج تطبيقية على البوحيات التعبيرية (ات):

فعل تعبيرى ليس له صيغة معيّنة

- فعل تعبيرى مستفاد من (اسم الفعل)

- فعل تعبيرى مستفاد من لفظ أو فعل (التّعجب)

- فعل تعبيرى مستفاد من لفظ (التّرحيب)

- فعل تعبيرى مستفاد من لفظ (التّهنئة)

نماذج تطبيقية على (التقريبات):

ومما ورد من الأفعال التقريرية في (اللزوميات) ما نحن آتون على ذكره فيما يلي:

الْوَمِيَّة¹:

- 1- وَلَوْ الْفُضِّلُ فِي أَوْطَانِهِمْ رُبَّاءٌ *** تَشْدُ ذُوتَ نَعْيٍ عَنْهُمْ الْقُرْبَاءُ.
- 2- حَفَا سَدَبٌ وَأَوَّالُ الْحَيْتِ لِلْنَّهْ *** لَا كُنْ مِنْهُمْ لَخِرْلَادٍ بِلَاءُ.
- 3- وَحَسَبُ الْفَتَى مِنْ ذِلَّةٍ لِلْعَيْشِ لَهْ *** رُوحٌ بَدَأَ الْقُوتِ هُوَ حَبَاءُ.
- 4- وَمَا بَعْدَ رَأْسِ الْخَمْسِ عَرْشُهُ مِنْ صَبَا *** وَمَا بَدَعْدَ رَأْسِ الْإِيعِينَ صَبَاءُ.
- 5- وَفِي هَذِهِ الْأَرْضِ الرُّكُومِ ذَابَتْ *** فَمِنْهَا عُلُتْ سَلَطُوعٌ وَكِبَاءُ.
- 6- وَتَأَصَّلَ حَبْلُ النِّسْلِ مَلْبِينِ. أَدَمِ *** وَبِيْذِي فُلْيُوصَلْ بِلَاهِي - بِلَاءُ.
- 7- تَلْتَلَبَّ عَوْ. وَإِذْ تَلْعَبُ خَالِدٌ *** يَدُوْى فَمَا أَعْدَيْتِ الْوُبَاءُ.
- 8- وَنَزَّهْتِي فِي الذَّلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِ. *** وَعَلِمِي بِئَالِ الْعَالِيْنَ هَبَاءُ.
- 9- إِذَا تَوَلَّى الْمَقَرُّ طَيْدَ كَلْفِ طَا *** فَهْ هُضْ وَلَا لِمَ. خُدَاتُ بَاءُ.
- 10- وَقَدْ نَطَحَتْ بِالْجَيْشِ ضَوْى فَمَا تَبُلْ *** وَلَزَّ بِرَايِلَتِ الْخَمِيسِ قَبْلُ.
- 11- عَلَى الْوَلْدِ لِيَجْنِيُو الْوَلَّوْلَ. هَذَا *** وَلَوْلَا لَعَلَّيْ أَسَارُهُمْ خَطَاءُ.
- 12- وَنَزَادَكَ بِعَدَا مِنْ بَدَنِ الْخُوزَادِهِمْ *** لَيْكَ حَقُّوْدًا لَّهُمْ نَجَابَةُ.
- 13- وَمَا بَلَّ الْهَوْلُ فِي كُلِّ لَنَةٍ *** مَنِ الْمَيِّ. لِمَنْ لَمَعَشَرٌ بِلَاءُ.
- 14- تَتَبَعْنَا فِي كَيْتَقَبِمْ خَمِ *** مَنَّا يَ. لَهَا مِنْ جِنْسِهَا نَقَاءُ.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 43.

البيت الأول:

أ- فعل القول:

أولو الفضل في أوطانهم غرباء¹.

ب- الفعل القضوي:¹ ويأتلف من:

1- الفعل الإحالي: وعناصره المكونة له هي:

- المتكلم: لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على متكلم بعينه. وإذ لا مناص من التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يحيلنا على المتكلم، الذي هو، هنا، المعري دون سواه.

- المخاطب: وما قيل في المتكلم يقال في المخاطب، إذ لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على مخاطب معين بذاته. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن أقرب ما يقودنا إليه التخمين هو أن ذلك المخاطب لا يعدو أن يكون أهل زمان المعري، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون بالمخاطب قبل غيرهم.

ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل غيرهم. ولا عبرة بكون الشاعر لم يقصد ذلك المخاطب المحتمل، والذي لم يستحضره ابتداء لحظة إنشاء الخطاب. فقد يتسع الخطاب ليشمل مخاطبين لم يكونوا قد خطرخوا ببال الشاعر لحظة الإنشاء.

- الجملة أو العبارة: وهي فعل القول "أولو الفضل في أوطانهم غرباء" وقد اقتصرنا على هذه الجملة دون غيرها على اعتبار أنها مركزية في البيت، وهي الطريقة التي فضلنا اعتمادها في التعامل مع الخطاب العلائي في هذه الدراسة لئلا نضلّ في ثنايا المكملات والجمال والعبارات التابعة لما هو أساس ومركزي في الكلام أو القول.

¹ - ينظر: يحيى بعبطيش، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو - عرض وتأسيس لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص 102.

الفصل الثاني

والعبارة التي يدور بشأنها الحديث جملة اسمية خبرية تتكون من المبتدأ (أولو الفضل) وشبه الجملة (في أوطانهم) المتعلق بمحذوف تقديره (مقيمين) أو نحو ذلك مما يمكن تقديره، وخبر المبتدأ (غرباء).

- **القصد:** وهو ملازم للفعل الكلامي « وقد يتردد الإنسان في إطلاق صفة الفعل على الشيء إذا لم يكن نتيجة لقصد الفاعل، وعليه فلا يسمى الفعل فعلا ما لم يصحبه القصد».¹ ومعنى ذلك أن التلفظ من غير قصد يصحبه لا يعدو أن يكون مجرد صوت لا قيمة له «إذ قد ينطق المرسل أصواتا عربية من مفردات لغوية ذات معان معجمية وبنى صرفية ومنتظمة في تركيب نحوي صحيح، وبالرغم من أنها ذات دلالة في ذاتها إلا أنها لا تتجزأ فعلا دون قصد المرسل فضلا عن أن تحدد قوته».²

وإذن فلا مناص من أن يكون المعري قد قصد أن يبليّ فعل الخطاب، الذي هو الجملة السابقة، متلقيا افتراضيا يكون قد عناه دون سواه وقصد إليه قصدا، وقد أشرنا إلى أن ذلك المتلقي الافتراضي المقصود إنما هو أهل زمان الشاعر.

والقول بحتمية وجود متلق افتراضي متأثّر من أن الخطاب لا يمكن أن يكون من طرف واحد سابحا في فراغ. فهو بمعزل عن المخاطب وكفاءته التأويلية التي تسمح له بالوقوف على مقصد المتكلم في حكم العدم «....» ومقتضاه أنه لا كلام إلا مع وجود القصد».³ وليس بمغن في شيء أن يكون المتكلم قد قصد بكلامه ما قصد، بل ولا بد أن يكون المخاطب قد وقف بكفاءته التأويلية على مقصد المتكلم، وعلى المتكلم أن يراعي في المخاطب هذه الكفاءة.⁴

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية، المرجع السابق، ص 188.

² - المرجع نفسه، ص 191.

³ - المرجع نفسه، ص 186.

وينظر: يوسف السيساوي، مقاربات تداولية (مقال) ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق، ص 470، 471، 478 وما بعدها.

⁴ - ينظر: إدريس سرحان، التأويل الدلالي - التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول (مقال) ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، المرجع السابق، ص 124 وما بعدها.

وتبقى تلك العناصر المكونة للفعل الإحالي في حاجة إلى سياق حاضن،¹ وإلا فهي مجرد عناصر لا غناء فيها ولا طائل منها.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وللمحمول في الجمل صور متعددة فقد يكون فعليا، وقد يكون غير فعلي.² والمحمول في العبارة التي نحن بصددتها من نوع ما يسمى بالمحمول "الصفوي"³ نسبة إلى الصفة، ويقصد بالصفة المشتق كاسم الفاعل واسم المفعول ... الخ.

فالمحمول (غرباء - والمفرد غريب) الذي هو خبر المبتدأ ورد صفة مشبهة (غريب)، والوصف المشتق عند النحاة العرب بمنزلة الفعل.⁴ وربما لهذا السبب ساغ لبعض الدارسين اعتبار كل ما هو قابل للحمل فعلا « أما الفعل فكل ما هو قابل للحمل ».⁵ ولعلّ من أهم ما نميز به الوصف عن الفعل هو أن الزمن في الوصف ليس غرضاً، وإنما الغرض فيه هو إضفاء الصفة على الموصوف، وارتباطها به على نحو ما.⁶ والمقصود بالوصف هنا المشتق الذي يتحمل الضمير.⁷

في حين أن الزمن في الفعل يعد غرضاً فيه، لأنه داخل في حقيقته، فلا يمكن أن نتصور للفعل وجوداً بمعزل عن الزمن. فالخبر (غرباء - والمفرد غريب) مسند إلى المبتدأ (أولو الفضل).

ج- فعل الإنجاز (الفعل المتضمن في القول):

وهو فعل التقرير، تقرير حقيقة مفادها أن الفضلاء وذوي المزايا يعانون الجفاء في أوطانهم و التكر لهم حتى من الأقربين. فالشاعر، إذن، يقرر حقيقة اجتماعية يراها ويحسها

¹ - ينظر: أحمد المتوكل، من قضايا الربط في اللغة العربية، منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 40، 41.

² - المرجع نفسه، ص 46، 47، 85، 86.

³ - المرجع نفسه، ص 30، 34، 47، 63، 85.

⁴ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج1، مرجع سابق، ص 442، 445.

⁵ - مصطفى غلفان بمشاركة محمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ص 185.

⁶ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط5، ج3، ص 181، 182.

⁷ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 462.

الفصل الثاني

وربما اصطلى بنارها. ومنها استوحى الكثير من فلسفته في الحياة وتلك الحقيقة هي غربة ذوي المزايا في أوطانهم. وهنا تمتزج الرؤية بالواقع المرير وانطلاقاً منه.

د - فعل التأثير بالقول (ناتج القول):

وهو التأثير على مخاطب من جهة الإقناع، أو إقناعه من جهة التأثير، أو هما معاً، وحمله على الإقرار بالواقع الموصوف والتفاعل معه بإيجابية. وذلك بأن ينخرط المخاطب في الواقع قصد تغييره أو تعديله وتحسينه و هو تغيير مرجوٌ، قصد إليه الشاعر أم لم يقصد. فليس الشرط في الآثار الناجمة عن الفعل الكلامي أن تكون قد خطرت ببال المتكلم وحسب لها حسابها، بل قد تقع هذه الآثار من حيث لا يدري. وأحياناً على الرغم منه. والتأثير المتوقع حصوله هنا هو إقرار المخاطب بكون ذوي الفضل، بتعبير الشاعر، قد أخذهم المجتمع بغير جريرة ارتكبوها. وكان الإنصاف يقتضي أن يعاملوا على قدر مواهبهم ومزاياهم. إن تصوير حالهم على هذا النحو لكفيل بأن يبعث على الانتصار لهم.

البيت الثاني:

أ - فعل القول:

فما سَدَّ وأُ الرَّاخَ الْهُيْتَ لَلِنَّةِ .

فهذه الجملة التي تمثل فعل القول هي الجملة المركزية في البيت، وما بعدها تابع لها.

ب - الفعل القضوي: ويشمل:

1 - فعل الإحالة: بعناصره المكونة له وهي:

- **المتكلم:** لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يحيل على متكلم معين بذاته، ومن هنا كان التحويل على السياق الخارجي فإنه، وحده، الكفيل بأن يرينا أن ذلك المتكلم إنما هو المعري دون سواه.

- **المخاطب:** وهو من قصد المعري في نفسه أنه يخاطبه، وذلك المقصود لا يعدو أن يكون أهل زمانه، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لكل متلقٍ وإن لم يكن مستهدفاً ابتداءً. وقد يكون المعري استحضر في ذهنه لحظة

الفصل الثاني

إنشاء الخطاب متلقيا بعينه فردا كان أو جماعة، بيد أن الذي هدانا إليه تأويلنا انطلاقا من السياق هو ذلك الذي ذكرنا.

- **العبرة أو الجملة:** وهي الملفوظ المتمثل في فعل القول الذي هو الجملة الفعلية المنفية: (فما سبأوا الراح الكميت للذة) الخبرية التقريرية.

- **القصد:** ويتمثل في كون المعري يخاطب متلقيا افتراضيا ليبلغه مضمون الخطاب المنضوي على قصده الذي تشترك في تحقيقه عدة عناصر، لا قيمة لأي منها إلا ضمن المجموع المتضامنة عناصره بعضها مع بعض.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وهو الفعل المنفي (سبأ) المسند إلى ضمير الفاعل (واو الجماعة).

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):

وقبل تعيين الفعل الإنجازي لا بد من توضيح أمرين:

أولهما: الجملة (سبأوا الراح الكميت للذة) في حال الإثبات، هي جملة إثباتية تقريرية، فهي تقرر واقعا في الكون، وهو أن هؤلاء الذين يعنيه الشاعر قد سبأوا أي اشتروا الراح الكميت وهي الخمرة الضاربة إلى الحمرة في سواد-، ابتغاء للذة، وهو تعبير مجازي كما سنوضح. وواضح أن غرض الشاعر لا يتعلق بالجملة وهي على هذه الحال من الإثبات.

وثانيهما: الجملة (فما سبأوا الراح الكميت للذة) على ما هي عليه من كونها منفية، فهي بمقتضى هذا النفي يستحيل الإثبات السابق إلى نقيض ما كان عليه، لانصباب التقرير على النفي، وبذلك يكون الشاعر قد نفى عن ذوي الفضل والمزايا أن يكونوا قد سعوا في اقتناص اللذات. فالمقرر هنا هو المنفي لا المثبت.

بعد توضيح هذين الأمرين نخلص إلى أن الفعل الإنجازي لهذه الجملة أو العبارة هو تقرير عدم سعي هؤلاء في لذة تجود بها عليهم الحياة، فهم ليسوا من اللذة ولا هي منهم في شيء، فما يتحدّون به من المزايا ومحمود الخصال يربأ بهم أن يكونوا طلاب دنيا بمعناها الوضيع المنحط.

د - فعل التأثير بالقول (ناتج القول):

وهو حمل المتلقي على الإقرار بما قرره الشاعر طبقاً لاعتقاده رجاء تحريك مكانم النخوة والغيرة على ذوي المزايا أن تمتد إليهم أيدي العابثين الذين تؤلمهم الفضيلة أن تشيع بين الناس وتسود، لما بهم من الجهل وما استقر في نفوسهم من أدواء غلبت عليهم فأوردتهم هذه الحال السيئة.

ذلك إذن شيء من تأثير القول في نفس المتلقي على ما نقدّر، وسواء أقصد المعري ذلك أم لم يقصوا. إن تأثيراً للقول على هذا النحو لحقيقٌ أن يغير وجه الحياة ولو بعد حين.

البيت الثالث:

أ - فعل القول:

وحسبُ الفتى من ذلة العيش أنه *** يروح بأدنى القوتِ وهو حياءُ

والبيت كله عبارة عن جملة اسمية واحدة، المبتدأ فيها هو (حسب الفتى)¹ وخبر المبتدأ هو المصدر المؤول (أنه يروح)، والباقي مكملات، منها ما يتعلق بالمبتدأ، ومنها ما يتعلق بالخبر أو يرتبط به على نحو ما، كالجملة الحالية (وهو حياء)، فهي ترتبط بالفعل المضارع (يروح) لأنه العامل فيها.

ب - الفعل القضوي:

ويشمل الفعلين: فعل الإحالة بعناصره المكونة له، وفعل الإسناد (المحمول).

1 - فعل الإحالة: وينضوي تحته:

- المتكلم: طالما لم يكن لنا من ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على متكلم بعينه فإننا نرجح، اعتماداً على السياق الخارجي أن يكون ذلك المتكلم الذي يُعزى إليه الخطاب هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه السياق الخارجي الذي يدلنا على أن ذلك المخاطب لا يعدو أن يكون أهل زمان الشاعر، لأنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم.

¹ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج3، ص 149.

- **العبارة:** وهي فعل القول الذي تمثله الجملة الاسمية السابقة بمكوناتها الأساسية: المبتدأ والخبر وما يتعلق بهما.

- **القصد:** وتشترك في تكوينه عدة عناصر، تعد أركاناً، لا وجود لقصد بدونها وهي المتكلم، والمخاطب، والعبارة الحاملة للقصد، والسياق الحاضن.¹ وقصد الشاعر هنا تبليغ مضمون الفعل الإنجازي.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وهو الخبر الذي ورد مصدراً مؤولاً (أنه يروح ...)، المسند إلى المبتدأ (حسبُ الفتى)، وربما جاز في هذه الجملة اعتبارها جملة فعلية تتكون من اسم الفعل (حسب - بمعنى يكفي)، والفاعل الذي هو المصدر المؤول (أنه يروح ...).

وفي هذه الحالة يصير المحمول هو اسم الفعل (حسب) ويصير المعنى هكذا: يكفي الفتى أن الأمر كذلك. وبذلك يكون اعتبار الجملة فعليةً أوضح من اعتبارها اسميةً لاستقامة المعنى.

ج- فعل الإنجاز (الفعل المتضمن في القول):

تقرير حقيقة يراها الشاعر، مفادها الاغتراب لم يتمّ تحصيله من القوت.

د- فعل التأثير بالقول:

وهو حمل المتلقي على الاقتناع بما قرره الشاعر من عدم جدوى الاغتراب بما يتحصله المرء من القوت، زهداً في الدنيا، وكبحاً لجماح النفس اللّاجوج، والالتفات إلى ما هو أجدى وأبقى.

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 45، 47، 48، 78.

البيت الرابع:

أ - فعل القول:

وما بعدمَ رَآلْخمسَ عَشْرَةَ مِن صِدِّ بَا.

ب - الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: ونرجح أن يكون هو المعري لسببين:

أحدهما: أن أقرب من يحيل عليه السياق الخارجي هو المعري دون سواه.

وثانيهما: عدم وجود قرينة لفظية في ظاهر لفظ (فعل القول) صارفة إلى متكلم بعينه، غير من رجحنا أنه المقصود.

- المخاطب: نرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم، طالما لم يكن لنا في ظاهر لفظ (فعل القول) قرينة ما من شأنها أن تصرف إلى مخاطب غير من رجحنا أنه المعني.

- الجملة أو العبارة: وهي (فعل القول) المتمثل في المبتدأ المؤخر (صبا) المجرور بحرف الجر الزائد (من)، والخبر المقدم وهو الظرف (بعد) المضاف إليه () المضاف إلى العدد المركب (الخمس عشرة). والجملة كلها في سياق النفي.

- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه في إطار من السياق.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وهو مٌتعلّق الظرف والذي يمكن تقديره بـ(كائن أو حاصل أو موجود). ذلك لأن شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) يحتاج إلى ما يتعلق به من فعل أو شبهه.¹ والتقدير: وما من صبا كائن أو موجود أو حاصل بعد مر الخمس عشرة. أي لا وجود للصبا بعد هذه

¹ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج2، ص 475.

الفصل الثاني

السن، ثم حنّف المتعلّق (كائن أو موجود أو حاصل) وأبقى على الظرف الذي تعلق به، فصارت الجملة أو العبارة بعد ذلك على ما هي عليه.

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):

وهو تقرير عدم وجود الصبا بعد مرّ الخمس عشرة، أي تقرير نقيض الإثبات الذي هو وجود الصبا بعد هذه السن.

د - فعل التأثير بالقول (ناتج القول):

وهو حمل المتكلم مخاطباً ه على الإقرار بما أثبتته، كما يعتقد، رجاء اتخاذه موقفاً مفاده اهتبال فرصة الشباب السانحة فيما هو أجدى وأنفع، كما قال المعري نفسه في موضع آخر¹:

إن الشبيبة نارٌ إن رُلّتَ بها ** خيراً فبؤدّها إن ألهرَّ مَ طُئُّها

البيت الخامس:

أ - فعل القول:

وفي هذه الأرض الرُّكْدُ مَنَابِتُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي الذي نعوّّل عليه وحده في مثل هذه الحال لعدم وجود قرينة لفظية صارفة.

- المخاطب: ونرجح أن يكون ذلك المخاطب أهل زمان الشاعر، فإنهم أقرب إلى أن يكونوا معنيين بالخطاب قبل غيرهم. نرجح ذلك مع عدم وجود قرينة لفظية من شأنها أن تحيل على مخاطب بعينه غير من رجحنا.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 50.

الفصل الثاني

- **الجملة أو العبارة المحققة للقصد:** وهي الجملة الاسمية المتكونة من المبتدأ النكرة (منابت)، والخبر المحذوف المقدم (كائنة أو مستقرة) الذي تعلق به الجار والمجرور (في هذه) ثم بقية المكملات، والتي هي البذل أو عطف البيان (الأرض) والنعت (الركود).
 - **القصد:** وهو استهداف المعري مخاطبه بمضمون العبارة، وما انضوى تحتها من أفعال.
- 2- **فعل الإسناد (المحمول):**

وهو، هنا، المشتق المحذوف الذي تقديره (كائنة أو موجودة أو مستقرة)، الذي تعلق به الجار والمجرور (في هذه)، وهو من نوع المحمول (الصدفي) الذي يرد صفة أو وصفاً، والوصف عند النحاة العرب بمنزلة الفعل كما أسلفنا.

ج- الفعل الإنجازي:

وهو فعل التقرير، تقرير التنوع والاختلاف في الحياة، فهي لا تتسق على حال واحدة، ولا يمكن أن تكون كذلك. والعبارة مجازية تكملتها: فمنها (الضمير يعود على منابت) علندى ساطع وكباء.

د- فعل التأثير بالقول:

وهو ذلك الأثر الذي يحدثه الخطاب في نفس المتلقي ليحمله على الإقرار بهذا التنوع في الحياة، شر إلى جانب الخير، وخبيث إلى جانب طيب ... الخ. وعلى المرء أن يصبر على ما في الحياة من الأذى بقدر ما هو مطالب بتوقي الشرور فيها.

البيت السادس:

أ - فعل القول:

تواصلَ حبلُ النسلِ ما بينَ آدمَ *** وِدِينِي فلم يوصلَ بلامي بَاءُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: المعري بمقتضى ظاهر اللفظ (بيني). فالضمير الذي هو ياء المتكلم يعود على المعري الذي يتخذ من نفسه في هذا المقام نموذجاً للإنسانية، فهو نتاج هذا الحبل، حبل النسل الممتد من لدن آدم إلى ما شاء الله له أن يمتد.

وتكملة فعل القول هي قوله (فلم يوصل بلامي باء)، الذي يشير إلى أن المعري قد شذ عن هذه السُّنة لأنه لم يتزوج ولم ينجب.

- المخاطب: نرجح أن يكون المعري قد عنا بالخطاب أهل زمانه، فإنهم أولى من غيرهم بالخطاب. ويؤيدنا في هذا الفهم افتقار ظاهر لفظ (فعل القول) إلى قرينة لفظية تحيل على مخاطب بعينه غير من رجحنا أنه المقصود.

- العبارة: وهي هذه الجملة الفعلية التي تتكون من ركنيها الأساسيين اللذين هما: الفعل والفاعل وما تعلق بهما من المكملات.

- القصد: وهو استهداف المعري مخاطبه بهذه العبارة، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (تواصل) المسند إلى الفاعل (حبل النسل).

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):

وهو تقرير حقيقة معيشة عبر تاريخ الإنسانية المتطاول، ومفادها استمرارية الجنس البشري.

د - فعل التأثير بالقول:

وهو حمل المعري مخاطبه على الإقرار بحقيقة ما ارتآه و آمن به من أن الإنسان نفسه هو الذي تقع عليه تبعة استمرارية أو انقطاع النسل، وهو ما تفسره الجملة الموالية (فلم

الفصل الثاني

يوصل بلامي باء) التي تفيد أن المعري استقرت قناعاته على جدوى القطع من الجهة التي هو فيها، وإرادة منه. فكأنه بذلك يريد إقناع المتلقي بعدم جدوى استمرارية النوع. وهو ما يمكن فهمه، على الأقل، من ظاهر القول.

ويمكن أن تجد فلسفة المعري القاضية بجدوى القطع سبيلًا لها إلى الحياة من أكثر من سبب، فضلًا عن السبب الذي اختاره لنفسه واستقرت عليه حياته.

وإذن فتمت إقرار بأمرين: أولهما: استمرارية الجنس البشري، وللإنسان دخل في هذه الاستمرارية. وثانيهما: إقراره بما أقدم عليه في حياته من أنه أقدم على قطع سلسلة استمرارية النسل من الجهة التي هو فيها كما أسلفنا.

البيت السابع:

في البيت جملتان كلتاهما مركزية بأحد الاعتبارين الذين سنعرض لهما، بل ربما كانت الثانية أهم في هذا المقام.

- الجملة الأولى:

تَلَّعَبَ عَرَّ وَاذْتَنَّبَ خَالِدٌ ***عَبْدٌ ي...

أ- فعل القول:

وهو هذه الجملة الفعلية المذكورة.

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، وقد ورد بصيغة المفرد التي تفهم من ياء المتكلم في قوله: "فما أعدتني الثوباء". غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه، وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو المتلقي الافتراضي المعهود الذي نرجح أن يكون المعري قد استحضره لحظة الإنشاء.

الفصل الثاني

- **العبارة:** وهي الجملة الفعلية المتكونة من الفعل (تثاءب)، والفاعل (عمرو)، والظرف (إذ)، والجملة الفعلية (تثاءب خالد) الواقعة مضافا إليه، والجار والمجرور (بعدوى) المتعلقين بالفعل (تثاءب).

- **القصد:** استهداف المعري المتلقي بالخطاب لإبلاغه غرضه فيه.

2- **فعل الإسناد (المحمول):**

وهو الفعل الماضي (تثاءب) المسند إلى الفاعل (عمرو).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):**

وهو التقرير، تقرير أن الإنسان بطبعه مؤهل لأن يتأثر بغيره بقدر ما يؤثر فيه إيجابا وسلبا، ولا يرده عن ذلك إلا عقل راجح أو عقيدة مستحكمة أو نحو ذلك. فكأنه بذلك أراد أن يقول: الناس مجبولون على التواطؤ والنسج على المنوال، وهو ما يوحي بغياب العقل ليمدّ ص ويغربل ويقبل ما يقبله عن اقتناع، ويرفض ما يرفضه عن اقتناع.

- **الجملة الثانية:** **فعل القول:**

هو هذه الجملة.

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، ورد بصيغة المفرد التي تفهم من ياء المتكلم في قوله (فما أعدتني الثوباء).

- **المخاطب:** و نرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر لما ذكرنا من قبل.

- **العبارة:** وهي الجملة الفعلية المنفية والتي هي فعل القول.

- **القصد:** وهو استهداف المعري مخاطبه بهذه العبارة في سياقها الحاضن لها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل الماضي (أعدى) المسند إلى الفاعل (الثوباء).

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):

تقرير المنفي، والمنفي هو كون الشاعر قد أصابته عدوى التثاؤب. وهو ما يعني أنه لم يصبه ما أصاب هؤلاء من مثل هذا الذي اعتاده الناس من الباطل والأكاذيب. فالتثاؤب كناية عن سريان الأمر وفؤّه وتردّد ده عند الآخر فور حدوثه عند أحدهم، وقد قيل: «أعدى من الثؤباء»¹

فالشاعر بهذه الجملة يقرر حالا أحسها من نفسه، وهي نفيه عنها ما اعتاده الناس من النسج على المنوال، وتواطؤوا عليه، فهو ينفي عن نفسه أن يكون قد قبل كل ما يرد عليه من غيره حقا وباطلا دونما غربة أو تمحيص. ويؤيد هذا التفسير ما عرف عن المعري من أنه صاحب عقل لا يصدر فيما يصدر إلا عنه.

د - فعل التأثير بالقول (الناتج عن القول):

وهو حمل المعري المتلقي على الإقرار بما أثبتته لنفسه من الاستقلالية في الرأي وعرض شؤون الحياة على العقل والدليل، فكأنه يقول له إن علة الفساد والفوضى في حياة الناس أن نقبل كل ما يرد علينا من الآخر، لا عن دليل بل أخذا بما اعتاده الناس، لذلك عليك أن تكون مثلي لتسهم في عملية التغيير الإيجابي.

البیت الثامن:

أ - فعل القول:

وزَ هَئِي فِي الذَّلْمِ عَرَفْتِي بِهِمْ *** وَعِلْمِي أَنِّي الْعَالَمِينَ هَبَاءُ

فالبيت كله جملة فعلية تتكون من الفعل (زهدي)، والفاعل (معرفتي) وما عطف عليه (علمي)، وباء المتكلم المتصلة بالفعل في (زهدي) الواقعة مفعولا به، ثم بقية المكملات للجملة.

¹ - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص277.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري بصيغة المفرد الذي يفهم من ياء المتكلم الواقعة مفعولا به والمتصلة بالفعل في (زهدي).

- المخاطب: وهو المتلقي الافتراضي المعهود الذي نرجح أن يكون المعري قد استحضره لحظة الإنشاء.

- العبارة: وهي البيت كله بجميع مكوناته المشار إليها، فالبيت كله عبارة عن جملة واحدة مفيدة، لا يصح إغفال أي من عناصرها.

- القصد: وهو استهداف المتلقي المعهود بهذه الجملة المنطوية على أفعال يرشد إليها السياق.

2 - فعل الإسناد (المحمول):

وهو الفعل الماضي (زهدي) المسند إلى الفاعل (معرفتي) وما عطف عليه (علمي).

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

وهو تقرير موقف المعري من الناس في حياته، فهو يصف لنا حاله التي هو عليها إزاء الناس.

د - فعل التأثير بالقول (الناتج عن القول):

وهو حمل المتلقي على أن يقر بما يؤمن به الشاعر في حياته إزاء علاقته بالخلق، فهو يعمل على تزويد مخاطبه في الخلق والتهوين من شأنهم، لأنهم ليسوا محلا لحسن الظن، لأنهم إلى زوال لا محالة، ولا جدوى من التثبت بالزائل، فهو لا يملك أن يدفع عن نفسه الزوال، فكيف به أن يغني عن غيره شيئا.

البيت التاسع:

أ - فعل القول:

إذا نزل المقدار لم يك لقطاً**نهوض

ب - الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: و هو المتلقي الافتراضي المعهود الذي نرجح أن يكون المعري قد استحضره لحظة الإنشاء.

- العبارة: هي هذه الجملة الاسمية التي تتكون من:

- الفعل الناقص (يك) الذي هو فعل رابط مساعد، لا يستغنى به عن المحمول، فعليا كان ذلك المحمول أم غير فعلي،¹ لعدم دلالة هذا النوع من الأفعال على الوقائع.²

- المحمول الذي هو (تعلق) الجار والمجرور (للقطا) -وكانا قد ذكرنا من قبل أن شبه الجملة يحتاج إلى ما يتعلق به، وهذا الذي يتعلق به محذوف يمكن تقديره ب: لم يك كائنا أو موجودا أو حاصلا للقطا نهوض. ثم حذف هذا الوصف الذي هو خبر (يك) الحقيقي وناب عنه في مقامه الجار والمجرور (للقطا) المسند إلى اسم الفعل الناقص (يك) الذي هو (نهوض)، والذي هو مكون آخر من مكونات الجملة.

- القصد: وهو استهداف المتكلم للمخاطب بالعبارة أو الجملة المذكورة.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وهو الوصف المحذوف الواقع خبرا مقدما للفعل الناقص (يك) والذي قدرناه بـ(حاصلا أو موجودا). وعليه فظاهر المحمول (للقطا) حرفي، وهو عند التحقيق وصفي أو صفي (نسبة إلى الوصف الذي هو الاسم المشتق أو الصفة) الذي قدرناه بـ(حاصلا أو موجودا).

¹ - ينظر: أحمد المتوكل، من قضايا الربط في اللغة العربية، المرجع السابق، ص 57، 63، 85، 86.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 57.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

تقرير حتمية المقدور، والشاعر في رؤيته هذه يتكئ على الواقع من جهة وعلى ثقافته الإسلامية من جهة ثانية.

وهذه الحتمية هي مؤدى العبارة المجازية، فقد كنى عن هذه الحتمية بعجز القطا المعروف بقدرته على الطيران وقطع المسافات الطويلة - عن النهوض، إذ كان في المقدور ألا يبرح مكانه.

د - فعل التأثير بالقول:

حمل المتلقي على الإقرار بهذه الحتمية رجاء ألا يتعب نفسه فيما لا يد له فيه، وحسبه من ذاك الأخذ بالأسباب المشروعة، ولا عليه بعد ذلك ألا يصل إلى المبتغى، فالشاعر بمثل هذا التوجيه يحفظ على الناس حياتهم في اعتدال، ومن جهة أخرى نرى أنه يعزي نفسه بما قال فيما ناله في حياته من الإخفاق.

- البيت العاشر:

أ - فعل القول:

وقد نطحتُ بالجيشِ ضِدِّي فلمْ تبُلْ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو المتلقي الافتراضي المعهود الذي نرجح أن يكون المعري قد استحضره لحظة الإنشاء.

- العبارة: وهي جملة فعلية مؤكدة ب(قد) تتكون من فعل ماضٍ مبنٍ للمجهول (نطح)، ونائب فاعل (رضوى - اسم جبل) والجار والمجرور (بالجيش) المتعلقين بالفعل (نطح)، ثم الجملة المكملة فلمْ تبُلْ - أي لم تبال).

- القصد: استهداف المعري بهذه العبارة مخاطبه المعهود.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وهو الفعل الماضي (نطح) المبني للمجهول، حيث أسند إلى نائب الفاعل (رضوى)

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

تقرير أن المقدور لا يدُ وأن لا سبيل إلى التأثير فيما لا سبيل إلى التأثير فيه، وقد كذّب عن هذه الحتمية بصمود رضوى أمام الجيوش فهو لم يبال بهؤلاء، فرضوى هو على تعاقب الأزمان والأحداث. فالشاعر يقرر حقيقة، مفادها أن لا سبيل إلى التأثير فيما لا يقبل التأثير أصلاً، فقدرة الإنسان على التأثير في مجريات الأحداث إلى مدى لا يمكن أن تتجاوزه بحال، وعلى العاقل أن يعي ذلك جيداً.

د- فعل التأثير بالقول:

حملُ الشاعر مخاطبَه على الإقرار بهذه الحتمية رجاء عدم إهدار الجهد فيما لا طائل منه. فالحياة المتوازنة هي التي توظف فيها الطاقات والمواهب توظيفاً راشداً، مؤداه وضع الأشياء في مواضعها.

- البيت الحادي عشر:

أ- فعل القول:

على الوُذِجِيْ وَالدِّ .

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو المثلقي الافتراضي المعهود في أدبيات الخطاب على ما ذكرنا عند افتقار ظاهر لفظ (فعل القول) إلى قرينة صارفة إلى مخاطب بعينه غير من رجحنا أن يكون مقصوداً.

- العبارة: وهي هذه الجملة الفعلية التي تتكون من الفعل المضارع (يجني) وفاعله (والد) والجار والمجرور (على الولد) المتعلقين بالفعل المضارع.

الفصل الثاني

- **القصد:** استهداف الشاعر للمخاطب بالخطاب رجاء بلوغ المراد.

2- فعل الإسناد (المحمول):

حيث أسند الفعل المضارع (يجني) إلى فاعله (والد).

ج- الفعل الإنجازي:

تقرير أن الزواج ومن ثم الإنجاب جنائية يجنيها الآباء على الأبناء، فيما يعتقد المعري. ويؤيد هذا الاعتقاد أنه لم يتزوج ولم ينجب، ولم يأسف على ذلك بل كان مطمئناً إلى أن ما فعله عين الصواب، ولا يستبعد أن يكون لهذا الاعتقاد ما يبرره فلسفياً عند المعري.

د- فعل التأثير بالقول (الناتج عن القول):

حمل المعري مخاطبه على الإقرار بصحة فلسفته في الإنجاب واستمرار النسل، وقد يكون لهذه النظرة بعدها الفلسفي المتمثل في الاختيار بين أحد أمرين: الإنجاب مع الإهمال وما يترتب عليه من آفات اجتماعية، أو العزوف عن الزواج ومن ثم الإنجاب وإذا لم يكن هناك من سبيل إلى التحكم في الأجيال والقدرة على توجيهها توجيهاً صحيحاً، فإن الذي ينبغي أن يحظى باختيارنا عند ذاك هو عدم الإنجاب بالمرة. فقد تكون فلسفة المعري المشار إليها في المسألة هي هذه، وهو يأمل أن تجد هذه الفلسفة سبيلها إلى النفوس والعقول.

البيت الثاني عشر:

أ- فعل القول:

وزادكَ بعداً مِ ن بَلِيٍّ وَزادَهُ م *** عَلَيْكَ حَقُّودٌ أَنَّهُمْ نَجَبَاءُ

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

الفصل الثاني

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (ك) وأن هذا الضمير لا يحيل على مخاطب معين، وإنما يؤخذ على عمومته، فهو يحيل ابتداء على أهل عصر الشاعر، وإن جاء بصيغة المفرد (ك)، لما سنعرض له في موضعه، ثم الذين يلونهم ممن يعنيه القول.
- **العبرة:** وتتكون من الفعل (زاد) فاعله المضمر لوجود ما يفسره وهو فاعل الفعل (زاد) الثاني، وهذا الفاعل المفسر هو المصدر المؤول (أنهم نجباء)، والفاعل المضمر المفسر هو (أنهم نجباء) من نفس لفظ فاعل الفعل الثاني، والتقدير: وزادك بعدا من بنيك أنهم نجباء، ثم أضمر هذا الفاعل لوجود ما يفسره من لفظه فصار التركيب على ما هو عليه. يضاف إلى هذين المكونين من مكونات العبرة أو الجملة بقية المكونات وهي الضمير (ك) الواقع مفعولا به أولا، والمفعول الثاني (بعدا)، والجار والمجرور (من بنيك).
- **القصد:** وهو استهداف المعري مخاطبه بالعبرة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول):

- وهو الفعل الماضي (زاد) المسند إلى الفاعل المضمر الذي هو المصدر المؤول (أنهم نجباء) الذي يفسره الفاعل المذكور بعده (أنهم نجباء). لأن البيت عبارة عن جملتين:
- الأولى: هي هذه التي اعتمدناها والتي تتكون كما أسلفنا من الفعل (زاد) والفاعل المضمر (أنهم نجباء) والمفعولين الأول وهو الضمير (ك) والثاني (بعدا) والجار والمجرور (من بنيك). والثانية: وهي زادهم عليك حقودا أنهم نجباء.

والحق أن الجملتين تشتركان في أصل المعنى الذي هو وجود هوة بين الآباء والأبناء لذلك اعتمدنا السابق من هاتين الجملتين دون الثانية لاعتبارنا إياها مكملة ومؤكدة للأولى.

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):

- تقرير الجفاء والقطيعة بين الآباء والأبناء بسبب نجابة الأبناء، وهي نجابة لولاها لما اكتشف الأبناء جنابة آبائهم عليهم حينما ألقوا بهم في معترك الحياة تتقاذفهم أمواجها

الفصل الثاني

المتلاطمة وعليه فالذَّجَابَةُ التي هي فعل إيجابي من حيث المبدأ وهي كذلك عند المعري، صارت فعلاً سلبياً طالما كانت سبباً في هذا الجفاء.

د - فعل التأثير بالقول (المتضمن في القول):

حمل المخاطب على الإقرار باعتبار الإنجاب جنائية ليحترز من الوقوع ما وقع فيه والده، وقد أوضحنا موقف المعري من هذه المسألة حين قدرنا أن الإنجاب جنائية عند المعري إذا لم يكن من الإهمال بدّ، وهو تخريج منا لفلسفة المعري في هذه المسألة يقويه البيت الموالي للبيت المتضمن للعبارة التي نحن بصدددها وهو قوله:

رَوَّانَ أَبَا لَهْمٍ فِي مَوْرَبٍ *** مَنِ الْعَقْدُ ضَدَّكَ حَلَهُ رَأْيَاءُ

فمضمون هذا البيت يعلل اعتبار المعري الإنجاب جنائية، طالما كان مصير الأبناء هو الإلقاء بهم في هذا المورَّب الذي هو معترك الحياة التي لا مفر من شرورها إلا بالعناية والتربية القويمة.

البيت الثالث عشر:

أ - فعل القول:

وَمَا أَبَ الْأَقْوَامَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ *** مَنِ الْمَدِينِ لِلْمَعْشَرِ بِلَاءُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.
- المخاطب: وهو المتلقي الافتراضي المعهود في أدبيات الخطاب، على ما ذكرنا، عند افتقار ظاهر لفظ (فعل القول) إلى قرينة صارفة إلى مخاطب بعينه غير ذلك الذي رجحنا أن يكون مقصوداً.

- العبارة: هي هذه الجملة التي تتكون من الفعل المنفي (أدب) والفاعل المؤخر (معشر)، مع الإشارة إلى أن الاستثناء هنا مفرغ، لذلك صح أن يعرب ما بعد الأداة (إلا) فاعلاً، والمفعول به (الأقوام) الذي تقدم على الفاعل، والجار والمجرور (في كل بلدة - من المين)

الفصل الثاني

مع الإشارة إلى أن حرف الجر (من) هنا للبيان، أي بيان حقيقة ما يدعو إليه هؤلاء الأفاكون من الأكاذيب والتلفيقات إمعانا منهم في تطيل العامة وإغرائهم بالأباطيل التي لا يقوم عليها شاهد من الحق.

- **القصد:** استهداف المعري مخاطبه بالعبرة وما تنطوي عليه.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وهو الفعل (أدب - بمعنى دعا من الدعوة إلى الوليمة وما شابه) المسند إلى فاعله (معشر).

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):

تقرير حقيقة عاشها المعري وهي هذه الحيل والأكاذيب التي ما فتئ يتستر بها الكذبة الأفاكون للإيقاع بالعامة في شر حيلهم وأكاذيبهم، فالعامة بحكم سذاجتهم مستدرجون من قبل هؤلاء في كل زمان ومكان.

د- فعل التأثير بالقول:

حمل المعري مخاطبه على الإقرار بهذه الحقيقة في حياة الناس لئلا يأمن شر هؤلاء وليلتمس للشاعر العذر في حمله على الأشرار ونظرته القائمة إلى الحياة والأحياء، ونزع ثقته منهم، وهي فلسفة يكاد ينضح بها كل بيت بل عبارة في شعره.

البيت الرابع عشر:

أ- فعل القول:

تَتَعَبُّنَا فِي كُلِّ نَقَبٍ وَمَذْمَةٍ *** نَايَا لَهَا مِنْ جَسْهٍ نَقَاءُ

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- **المتكلم:** و هو من يحيل عليه ضمير المتكلم (نحن) في "تتبعنا". غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه، لذلك يتعين التعويل على السياق الخارجي، فإنه، وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري متكلماً باسم أبناء جنسه (نحن).

الفصل الثاني

- **المخاطب:** وهو المتلقي الافتراضي المعهود في أدبيات الخطاب، على ما ذكرنا، عند افتقار ظاهر لفظ (فعل القول) إلى قرينة صارفة إلى مخاطب بعينه غير ذلك الذي رجحنا أن يكون مقصودا.

- **العبرة:** وهي فعل القول الذي يتكون من الفعل المضارع (تتبع) والمفعول به المقدم المتصل به (الضمير نا) والجار والمجرور (في كل نقب) المتعلقين بالفعل (تتبع) وما عطف على المجرور (مخرم) والفاعل المؤخر (منايا) والجملة الاسمية (لها من جنسها نقباء) الواقعة نعتا للفاعل.

- **القصد:** استهداف المعري مخاطبه بالعبرة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها أو ما ينضوي تحتها من أفعال، وفي مقدمتها الفعل الإنجازي.

2- فعل الإسناد (المحمول):

وهو الفعل المضارع (تتبع) المسند إلى فاعله (منايا).

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):

تقرير ما هو حاصل فعلا في الحياة، وهو أن المنايا ما فتئت تلاحق الإنسان أينما حل وحيثما ارتحل لا يدفعها عنه دافع ولا يحول دونها معتصم م.

د- فعل التأثير بالقول:

وهو حمل المعري مخاطبه على الإقرار بهذه الحقيقة رجاء الاستعداد للموت ووضعه نصب عينيه في كل لحظة وحين، وذلك يقتضي الزهد في الدنيا ومغرياتها والتهوين من شأنها. وعاقبة الدعوة إلى الزهد زوال التحاسد والتباغض وما إلى ذلك من أسباب الاقتتال بين الناس.

نماذج تطبيقية على الإيقاعيات:

ومما ورد من الأفعال الإيقاعية في (اللزوميات) الآتي ذكره:

أولاً: الدعاء.

وهو ضرب من الإنشاء الطلبي إلا أنه يتميز بكونه يدل على الطلب بغير لفظه.¹ وهذا يعني أن الاهتداء إلى غرض الدعاء لا يتم بصيغة معينة لا يدعوها، بل يهتدى إلى إليه من السياق وملابسات القول.

اللزومية 03:²

رَأَيْتُكَ فَيَلْغَوْفِي إِلَهَ رَبِّي *** ذَاكَ وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ رَاءُ

أ - فعل القول:

فليغفر لي الله زلتي.

ب - الفعل القضوي: ويضم فعل الإحالة بجميع عناصره وفعل الإسناد.

1 - فعل الإحالة: وينضوي تحته:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد في (لي) و(زلتي). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه، لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون غيره.

- المخاطب: وهو المتوجه إليه بالدعاء، وهو الله عز وجل المسؤول دون سواه عن إنجاز الفعل. وهناك المخاطب الذي هو المتلقي، والذي يحيل عليه ضمير الخطاب في قوله: "أرائيك". فهذا الضمير يعود على غير معين، وجل ما نعرفه عن المحال عليه بهذا الضمير لا يزيد عن أنه المتلقي الافتراضي الذي هو أهل عصر المعري.

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، مرجع سابق، ص 64.

² - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 46.
و: يوسف السيساوي، المقاربة التداولية للإحالة (مقال) ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص 463، 464، 470، 471.

وهناك المخاطب الذي يحيل عليه ضمير الخطاب في (أرائيك) والذي نرجح أن يكون أهل زمان الشاعر فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قد ر له أن يتلقاه ولو بعد حين وإن لم يقصده الشاعر على وجه التعيين.

واعتماد الشاعر ضمير المخاطب المفرد لاعتبارات بلاغية، والذي يبدو منها اعتبار الشاعر المفرد ممثلاً لأبناء زمانه أو جنسه، وليس صحيحاً أن نحمل المخاطب المفرد على مدلوله الحرفي دائماً.

- **العبرة:** وهي الجملة الدعائية التي تمثل (فعل القول)، والتي تتكون من المضارع المقترن بلام الدعاء (فليغفر)، والفاعل (الله) المسند إليه فعل الدعاء، والمطلوب تجاوزه، وهو الزلة التي اقترفها الداعي (زلتني)، وصاحب الزلة الداعي الذي هو المعري، لا باعتباره الشخصي ولكن باعتباره نموذجاً للجنس البشري الذي هو بحكم طبعه مراءٍ في أقواله وأفعاله، ولا يصده عن هذا السلوك إلا التربية القويمة إن وجدت أصلاً، وتهياً لها أن تجد سبيلها إلى العقول والنفوس.

- **القصد:** توجه الشاعر بعبرة الدعاء التي هي (فعل القول) إلى مخاطب مخصوص أملاً في القبول.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل المضارع (يغفر) المجزوم بلام الأمر، قصد الدعاء، والمسند إلى لفظ الجلالة (الله).

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل الدعاء.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل المخاطب الذي هو القارئ أو السامع على الإقرار بالحاجة إلى الاستعانة بالدعاء، وفي ذلك إقرار من الإنسان بضعفه ومحدودية قوته وقدراته بالغماً بلغت، وإذن فهو في حاجة إلى غيره وإن اختلف هذا الغير باختلاف الحاجات الداعية إلى الاستعانة به.

اللزومية 36: 1

وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْهُ يَوْمَ تَجَوَّزُ *** يَمُرُّ بِي ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْيُسْرِى
أ - فعل القول:

إني لأرجو منه يوم تجاوز. على أن الرجاء، هنا، يمكن حمله على الدعاء.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد المستتر وجوبا في الفعل المضارع (أرجو). وهذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه، لذلك لا مناص من التعويل على السياق الخارجي الذي هو، وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو الله عز وجل المدلول عليه بالقرينة (يوم تجاوز) وهو يوم القيامة الذي لا يملك فيه أحد أن يتجاوز عن أحد سواه، بشهادة النصوص الواردة في ذلك.

- العبارة: هي هذه الجملة الدعائية التي تتكون من الفعل (أرجو) الذي هو بمعنى الدعاء، بحكم أن المتوجه إليه بالرجاء هو الله عز وجل، والراجي (الداعي)، وهو الشاعر الذي هو فاعل الفعل (أرجو)، (والمتوجه إليه بالرجاء) وهو الله عز وجل المدلول عليه بالقرينة (يوم تجاوز)، والجار والمجرور (منه) الذي يشير إلى من هو أهل لهذا التجاوز، (والمرجو) الذي هو غفران الزلات المدلول عليها بالمصدر (تجاوز).

- القصد: وهو نية الشاعر التوجه بالخطاب (الدعاء) إلى من هو أهل للتجاوز وقضاء حاجات المحتاجين.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضارع (أرجو) المؤكد باللام، المسند إلى الفاعل المفرد (أنا) الذي هو ضمير مستتر وجوبا في الفعل (أرجو).

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل الدعاء المستفاد من المضارع (أرجو).

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 78.

د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل المتكلم مخاطبه الذي هو القارئ أو السامع ابتداء من أهل زمان الشاعر - على الإقرار بجدوى الدعاء الذي هو سلوك اجتماعي عند المسلمين، والذي يدل على إقرار الإنسان بالضعف، ومن ثم حتمية الاستعانة بالغير الذي هو في هذا المقام الله عز وجل.

اللزومية 118: ¹

لَوِ اتَّبَعُ وَنِي وَيَحْمُ هَدِيَّتُهُ م *** إِلَى الْحَقِّ أَوْ نَهَجٍ لَذَاكَمَ قَارِبٍ
أ - فعل القول:

ويحهم

وهو عبارة عن جملة فعلية حذف فعلها وأغنى عنه مصدره المضاف (ويحهم).

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: و هو من يحيل عليه الضمير (أنا) في "اتبعوني، هديتهم". غير أن هذا الضمير لا يحيل على معيّن بذاته. لذلك يتعين التعويل على السياق الخارجي فإنه الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون غيره.

- المخاطب: هو المتوجه إليه بالدعاء، والمستحق لذلك هو الله عز وجل. وأيا ما كانت صيغة الدعاء فهي مؤولة بصيغة الخطاب، لأن الدعاء يقتضي هذه الصيغة بحكم أنه طلب يرجى تحقيقه بعد زمن التكلم. غير أن الدعاء هنا (ويحهم) أُشرب معنى التعجب كما ذكرنا. فذلك، إذن، هو المخاطب بالمعنى الخاص الذي يقتضيه الدعاء. أما المخاطب بالمعنى العام فهو المتلقي كائنا من كان وفي المقدمة أهل زمان الشاعر فهم المعنيون بالخطاب قبل غيرهم.

- العبارة: ويحهم.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 129.

الفصل الثاني

- **القصد:** وللقصد في الدعاء معنيان، قصد يتحقق باتجاه المتكلم بالعبرة إلى المخاطب الذي هو أهل لأن يستعان به. وتقدير المدعو في مثل هذه العبارة خاضع لثقافة المؤول، ومن أوجه التأويل مثلا أن نذهب إلى أن الشاعر توجه في عبارته تلك بالدعاء إلى من استحضر في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب أنه قادر على الإهلاك. والإهلاك المطلوب في هذه الحال لا يؤخذ على ظاهره الذي هو سلبي، وإنما يؤخذ على أنه تقرير من الشاعر لهؤلاء الذين لم يتبعوه ويسلكوا مسلكه في الحياة. وقصد يتحقق بتوجيه المتكلم خطابه إلى المتلقي الافتراضي الذي هو هنا أهل عصر الشاعر.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو إسناد المصدر المنسوب المضاف (ويحهم) إلى فاعله الذي هو المخاطب حال حمل العبارة على الدعاء المحض على تقدير: اللهم أهلكهم، أو نحو ذلك. وما على تقدير التعجب كأن يقال: ما أعجب أو أغرب حال هؤلاء! وعندئذ يكون المسند إليه هو الفاعل المستتر وجوبا في فعل التعجب (أعجب) المقدر. ثم يكون فعل التعجب وفاعله المستتر فيه معا مسندا إلى المبتدأ الذي هو (ما) التعجبية.

ومجمل ما يقال أن الجملة (ويحهم) مرشحة لمثل هذا التأويل إلا أنه تأويل لا يخرجها عن كونها دُعائية أشربت معنى التعجب.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** هو الدعاء الذي أشرب معنى التعجب.

د- **فعل التأثير بالقول:** حمل المتلقي على الإقرار بحال هؤلاء المتعجب من حالهم، ومن ثم الإفادة من سوء حالهم التي يرى الشاعر أنهم هم أنفسهم المتسببون فيها بعدم اتباعهم إياه. وإذن فالشاعر يحث المتلقي على إتباع سبيل الهدى والرشاد واجتناب داعي الهوى والعناد.

اللزومية 142: ¹

لَيَالٍ مَآ تَفِيْقُ مِنْ أَلَرِّ زَايَا *** وَفِيْحِي نَحْرَ عَجَائِبِهَا وَوَيْدِي
أ - فعل القول:

ويحي من عجائبها.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد في (ويحي) و(ويبي) غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين، لذلك يتعين التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون غيره.

- المخاطب: وهو هنا محذوف لإشراب الدعاء معنى التعجب من حال تلك النفس التي لا تتعظ بما تحمله الليالي من الخطوب والرزايا. إن نفسا هذا شأنها لهي حقيقة بأن يدعى عليها بما ظاهره الهلاك وباطنه الإشفاق.

- العبارة: وتتكون من المفعول المطلق (ويحي) المضاف المنصوف بفعل محذوف هو من معنى المصدر (ويح)،² وليس المقصود بمثل هذا الاستعمال الدعاء بالمعنى الحرفي للدعاء، وإنما المقصود هو المبالغة في التعجب وحث النفس على الاستقامة والإفادة مما حل بها في الحياة.³ ومن الجار والمجرور (من عجائبها)، ووظيفة حرف الجر (من) هنا بيان السبب الذي من أجله استحققت هذه النفس من صاحبها أن يدعو عليها بالويل والثبور دعاء أشرب التعجب.

- القصد: لعل توالي الرزايا على الشاعر هو الذي أنطقه بالخطاب (فعل القول). وعليه يكون قد قصد بالخطاب نفسه لينفس عنها بما قال. وحتى وإن خطر بباله الآخر

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 147.

² - ينظر: إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، ط2، 1985، ص 456، 457.

³ - ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج28، ص 24.

و: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج11، ص 882 إلى 885.

الفصل الثاني

(المخاطب) الذي نوى أن يوجه إليه الخطاب، فإن قصد (التنفيس) يبقى قائماً، لأنه في هذه الحالة يكون أشبه بمن يُحدّث غيره بمعاناته.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو إسناد المصدر (ويح) الذي أغنى عن فعله المحذوف وناب عنه إلى فاعله الذي يمكن تقديره بشيء من التعسف الذي يضطرنا إلى تأويل اللفظ بما يقابله في المعنى، كأن يقال مثلاً: أدعو من بيده قبول الدعاء أن يهلك هذه النفس التي لا تتعظ بالحادثات. ولا يحمل الدعاء على ظاهره الذي هو طلب الهلاك، وإنما المقصود التشدد في محاسبة النفس وزجرها وحملها على الأقوم والأمثل.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو الدعاء على النفس زجراً وحثاً لها على الاستقامة، بل وإشفاقاً عليها مما ألمّ بها، ومما هي ماضية فيه.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل الشاعر مخاطبه على الإفادة من تجربته في الحياة والاحتراز باستمرار من غفلة النفس وتباعها هواها، اقتداء بمثل من قال¹:

لِيْ امْرُؤٌ سَمَحَ الْخَلِيقَةَ مَا جَدُّ *** لَا تُلْعِقُ الْفَسَّ الْجَوْجَ هَـ وَاهَا.

اللزومية 342:²

إِلَى اللَّهِ أَشْكُ مَا هُجَّةٌ لَا تُطِيعُنِي *** وَءَمَلَسْتُ وَءٍ لَيْسَ يَهْ رَشِيدُ

أ- **فعل القول:**

إلى الله أشكو.

والشكوى إلى الله تعني الدعاء وطلب الإعانة، يقال: شكّا عمرو زيداً إلى الله. أي استنصره عليه، وذلك فحوى الدعاء.

¹- حذا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية، بيروت- لبنان، ط9، 1978، ص172.

²- أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص342.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- **المتكلم:** هو المعري، بشهادة السياقين: الداخلي، والخارجي. أما الداخلي فهو إسناد الفعل المضارع (أشكو) إلى ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر في الفعل وجوبا. وأما الخارجي فيتمثل في نسبة (اللزوميات) التي اجتزأنا منها (فعل القول) - إلى المعري.

- **المخاطب:** هو الله. ما دامت الجملة في سياق الدعاء، وذلك هو المخاطب بالمعنى الخاص في الدعاء. وأما المخاطب بالمعنى العام فهو المتلقي الافتراضي على اعتبار أن الكلام نشاط اجتماعي لا معنى له خارج إطار المجتمع.

- **العبارة:** وتتكون من الفعل المضارع (أشكو) المفيد للدعاء والمسند إلى ضمير المتكلم، ومن الجار والمجرور (إلى الله) المتعلق بالفعل (أشكو)، والمفعول به (مهجة)، وهذه العناصر كلها مجتمعة تكون فعل القول المنطوي على فعل الدعاء.

- **القصد:** وهو استهداف المتكلم مخاطبه بهذه العبارة المتضمنة للقصد الذي هو الدعاء.

2 - **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل المضارع (أشكو) المسند إلى ضمير المتكلم المفرد.

ج - **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل الدعاء المستفاد من الصيغة (أشكو) والجار والمجرور (إلى الله) المتعلق بالفعل (أشكو).

د - **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل المتكلم مخاطبه على الإقرار بجدوى الدعاء، وأن الدعاء في كثير من الأحيان يترجم سوء حال صاحبه التي أحوجته إلى الاستعانة بالمعين، وبذلك يحصل نوع من التضامن من بين المتكلم والمتلقي.

اللزومية 447: ¹

رُئِدَ الْآنَ مَغْفِرَةً فَإِنَّ ي ***رَأُقِبِ حَتَفَ مَغْفِرَةً قَبِيدِ

أ - فعل القول:

أريد الآن مغفرة.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: و هو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في الفعلين (أريد، أراقب)، وكذا الضمير الواقع اسما لـ(إن) في "فإني". غير أن هذا الضمير لا يحيل على معيّن بذاته لذلك لا مفر من التعويل على السياق الخارجي، فإنه كفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: الله عز وجل على اعتبار أن الجملة دعائية وأنه دون سواه عز وجل المنوط به التجاوز عن المذنبين. ثم هناك مخاطب آخر وهو المتلقي الافتراضي الذي لا شك في أنه معنيٌّ بالخطابواين لم يقصد إليه الشاعر قصداً.

- العبارة: وتتكون من المضارع المسند إلى المتكلم المفرد (أريد) والظرف (الآن) الحاضن لإرادة المريد وهو المتكلم الطالب للمغفرة، والمغفرة التي هي غرض الدعاء والباعث عليه.
- القصد: استهداف الشاعر مخاطبه بهذه العبارة الحاملة للغرض الذي من أجله أنشئت.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضارع (أريد) الذي هو بمعنى الدعاء، والمسند إلى ضمير المتكلم المفرد.

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): هو فعل الدعاء الذي يدل عليه الفعل (أريد) الذي هو بمعنى (أدعو) وإنما حمل الفعل (أريد) على الدعاء لقريضة وهي المفعول به (مغفرة)، ذلك لأن التجاوز عن الزلات والخطايا لا يكون إلا من الأرفع شأنًا.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 359.

د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل المعري مخاطبه الافتراضي من أهل زمانه ومن إليهم ممن يقدر له أن يطلع على الخطاب على الإقرار بجدوى الدعاء الذي ألجأ إليه الشاعر سوء حاله في الحياة، وفي ذلك دعوة لسلوكٍ، من الحزم أن يتحلى به كل عاقل من جهة، ومن جهة أخرى الاحتراز من مصائد الحياة التي كثيرا ما تلجئ الإنسان إلى الآخر لدفع مكروه أو الاستعانة به على قضاء حاجات لا بد منها.

اللزومية 359: ¹

طوبى لموؤودة في حال موئله *** لظأفيت بأها الفظموؤود

أ - فعل القول:

طوبى لموؤودة في حال مولدها.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: هو الله عز وجل لأنه الأهل لإجابة الدعاء، وهذا هو المخاطب بالمعنى الخاص. أما المخاطب بالمعنى العام فهو أهل زمان الشاعر أولاً، قصد إليهم أم لم يقصد.

- العبارة: وهي في بنيتها جملة اسمية تتكون من المبتدأ (طوبى)، والخبر المحذوف الذي يتعلق به الجار والمجرور (لموؤودة) ويقدر هذا الخبر المحذوف ب: موجودة أو محووضة، أو معدة. والجار والمجرور (في حال مولدها) المتعلق بحال محذوفة تقديرها (كائنة أو موجودة)، والحال (ظلما) وهي حال ثانية من الضمير المستتر في اسم المفعول (موؤودة).

فهذا هو ظاهر الجملة أو العبارة التي تمثل (فعل القول)، وهي عند التأويل طلبية دعائية، لأن الشاعر يدعو لتلك الموؤودة ظلما بحسن العقبى عند رب العالمين. فالعبارة مؤولة بفعل دعاء.

- القصد: استهداف الشاعر مخاطبه عز وجل بالعبارة الدعائية رجاء الاستجابة والقبول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 301.

الفصل الثاني

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الخبر المحذوف الذي يتعلق به الجار والمجرور (الموؤودة) - وقد قدرنا هذا الخبر بـ(موجودة أو محووضة أو معدة) - المسند إلى المبتدأ (طوبى).

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل الدعاء للموؤودة ظلماً بالجنة وعقبي الدار.

د- **فعل التأثير بالقول:** حمل المتلقي الافتراضي على الإقرار بجذوى هذا السلوك المتمثل في الدعاء، وحاجة المسلم إلى الاستعانة بالله في قضاء حوائجه ودفع ما يلمّ به من الملمات - دائمة لا تنقطع. ثم إنا لواجدون في إظهار حال المدعو لها (الموؤودة) إنماء للعواطف الإنسانية وعملاً على تمتين أواصر المحبة والتضامن بين الأفراد والجماعات. وعليه فالمأمول في المتلقي الافتراضي أن يكون على هذا القدر من السلوك الاجتماعي بما فيه من محبة وعواطف نبيلة وتضامن في السراء والضراء.

اللزومية 359: ¹

يا رَبِّ هَلْ أَنَا بِالْغَفْرَانِ فِي ظَنِّي ***مُزَوَّدٌ، إِنْ قَلْبِي مِنْكَ مَزَوَّدٌ

أ- **فعل القول:**

يا رب هل أنا بالغفران في ظنني *** مزود...

الحق أن الدعاء، هنا، حاصل من جهتين: من جهة النداء (يلبّ). ومن جهة الاستفهام (هل أنا ...). وإذن فهناك إعلان للدعاء هما في النهاية فعل واحد، لا سيما وأن الفعلين، بنائياً، غير منفصلين. فجملة الاستفهام جواب للنداء فيها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 301.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو الشاعر.

- المخاطب: هو الله عز وجل، وهذا هو المخاطب بالمعنى الخاص في الدعاء وأما المخاطب بالمعنى العام فهو المتلقي الافتراضي.

- العبارة: هناك عبارتان، الثانية منهما مرتبطة بالأولى بنائيا كما بينا.

- القصد: استهداف المتكلم مخاطبه بالعبارة بما تتطوي عليه من أفعال في مقدمتها الفعل الإنجازي.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل الدعاء المضمّر الذي حل محله حرف النداء (يا) على من يرى ذلك من النحاة. فالتقدير عند هؤلاء: أدعو أو أنادي أو أعني، وما إلى ذلك مما يؤدي إلى المقصود من النداء، وأقرب التقديرات في هذا المقام، مقام الدعاء (أدعو) فهذا الفعل المضمّر مسند إلى فاعله وهو المتكلم المفرد.

وأما جملة الاستفهام التي هي جواب النداء، فالمسند فيها هو اسم المفعول (مزود) حيث أسند إلى المبتدأ، واسم المفعول يحمل معنى فعله على ما بيناه من قبل.

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو الدعاء.

د - فعل التأثير بالقول: حمل المتلقي على التضامن مع الشاعر والرتاء لحاله والإقرار بجدوى الدعاء باعتباره سلوكا اجتماعيا، له بعد وجداني مستوحى من جوهر الإسلام عقيدة ومنهجاً في الحياة.

اللزومية 377: ¹

لا كانت الدنيا فليس يسرني *** أني خليفها، ولا مـهـودها
أ - فعل القول:

لا كانت الدنيا.

ف(فعل القول)، هنا، جملة فعلية دعائية كما سنوضح لاحقاً.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، بشهادة ظاهر اللفظ والسياق الخارجي. أما شهادة ظاهر اللفظ فتلتبس من ضمير المتكلم المفرد (الياء) في (سري، أي). وأما شهادة السياق فتلتبس من نسبة (اللزوميات) التي منها (فعل القول) - إلى أبي العلاء المعري.

- المخاطب: هو الله عز وجل لأنه الأهل للإفناء المطلوب. ثم هناك مخاطب آخر وهو المتلقي الافتراضي.

- العبارة: وهي هذه الجملة التي تتكون من الفعل الماضي التام (كان) المسند إلى الفاعل (الدنيا)، والجملة مؤولة بالطلب الذي هو فعل الدعاء، فكأن المعري قد قال: أزل الدنيا يا رب، فإنها أهون من أن تستحق منك الإيجاد. وذلك ينم عن عدم رضا الشاعر عن الدنيا كما هي ماثلة في مخيلته لحظة تلفظه بهذه الجملة، إنها دنيا السلطان والأبهة المصطنعة التي تهدر فيها كرامة الإنسان.

واذن فهو ليس من الدنيا ولا الدنيا بهذا المعنى منه في شيء، وأن الحياة الحقيقية التي تستحق أن يؤيدها إنما هي شيء آخر غير هذه التي يرى ويسمع من حال وأنباء الخلفاء وذوي التيجان.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 311.

اللزومية 606: ¹

لَحْرِ الحَرَصُ كُمْ تَحَوَّكَتْ قُوَّةً *** مَذَقَتْ رِيَّةً والشَّعِيرَا

أ - فعل القول:

لعن الحرص.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: هو المتوجه إليه بالدعاء، والأهل لذلك هو الأعلى شأنًا من الداعي، على ما هو معروف في أدبيات الدعاء. ولئن كانت الجملة خبرية في بنيتها فإنها مؤولة بفعل الطلب الذي هو فعل الدعاء، فهي مؤولة باللهم لآن، أو نحو ذلك.

وأما المخاطب بالمعنى العام فهو المتلقي الافتراضي الذي يتسع لكل متلق على الإطلاق، وفي المقدمة أهل عصر الشاعر.

- العبارة: وهي هذه الجملة المتكونة من الفعل (لعن) المبني للمجهول ونائب الفاعل (الحرص). وببناء الفعل للمجهول غيب الفاعل وحل محله المفعول به توسعا في التقدير. ولا حاجة لمعرفة الفاعل (اللاعن)، بل المهم أن هناك لعنة منصبة على الحرص. والحق أن الملعون هو صاحب الحرص وعُدَّ دل به إلى الحرص نفسه ابتغاء المبالغة والتشنيع بالحريص على الجمع ولتحكّر. والجملة على خبريتها طلبية كما أوضحنا.

- القصد: استهداف الشاعر مخاطبه (المتلقي الافتراضي) بالخطاب ابتغاء إبلاغه غرضه فيه.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل الماضي المبني للمجهول (لعن) المسند إلى الفاعل المغيب الذي أغفله الشاعر توسعاً أو تنويهاً أو هماً معاً، ابتغاء المبالغة. وفي الإمكان

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 485.

استحضار الفاعل على النحو الآتي: "لعن الله الحرص أو الحريص. ثم استغنى عن ذكر هذا الفاعل اجتزاء عنه بالمفعول الذي حل محله للسبب الذي ذكرناه.

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): هو فعل الدعاء الذي تقود إليه الدلالة المعجمية والبنائية والسياقية.

د- فعل التأثير بالقول: وهو حمل الشاعر المخاطب على الإقرار بسلبية الحرص وتنفيذه منه، وإن جاءت العبارة التي تمثل (فعل القول) في سياق الحديث عن النمل وسلوكه في الحرص على الجمع والاقتناء والدأب على ذلك باستمرار.

اللزومية 608: ¹

وقد هَبَّتْ بِالْخَنَازِرِ كَمْ *** فَلَابِغٌ دَلَّاهُ الْإِقْفَارُ هَا

أ- فعل القول:

فلا أبعد الله إقفارها.

فهو يدعو على هذه الدار بالإقفار والخراب.

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: هو المتوجه إليه بالدعاء، وذلك في الدعاء هو المخاطب بالمعنى الخاص. أما المخاطب بالمعنى العام فهو المتلقي الافتراضي الذي هو كل من قد ر له أن يتلقى الخطاب ابتداء بأهل زمان الشاعر.

- العبارة: وهي هذه الجملة الدعائية التي تتكون من الفعل الماضي (أبعد) مسلطاً عليه النفي بـ(لا) وفاعله (الله) والمفعول به (إقفارها) والجملة كلها في سياق الدعاء بمنزلة فعل طلب. والغرض منه الدعاء، ويمكن تقدير ذلك على النحو الآتي: اللهم أقفرها.

- القصد: استهداف الشاعر مخاطبه بالخطاب الذي هو الجملة الدعائية.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 487.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو إسناد الفعل الماضي (أبعد) إلى فاعله الذي هو لفظ الجلالة.

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): هو الدعاء بالإقفار والخراب على تلك الدار التي هي الدنيا، والدعاء على الدنيا بذلك يترجم موقف المعري السلبي من الحياة، ونزع ثقته من أهلها الذين يتربص بعضهم ببعض، فإذا هم جميعا ظلمة تعج حياتهم بالخنا والفجور.

د- فعل التأثير بالقول¹ لمّا من جهة المدعو فيراد الاستجابة للدعاء، وأما من جهة المتلقي بالمعنى العام فيراد إقناعه بهوان الدنيا وأنها مظنة الفساد وسوء ظنها بساكنيها، وقصارى ما يتوقعه الشاعر من المخاطب ألا يغتر بدنيا آيلة إلى الزوال على ما فيها من الظلم والفساد والإفساد.

ثانيًا لـ جاء.

اللزومية 18: ¹

نرجو الحياة فإن مهّت هَ واجِدُ نا **بِالخير، قال رجاءُ العيشِ لِرجاءُ

أ- فعل القول:

نرجو الحياة.

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: هو من يحيل عليه ضمير المتكلم (نحن) المستتر وجوبا في الفعل (نرجو).
وبتوجيه من السياق الخارجي، ندرك أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري، واعتمد ضمير الجمع (نحن)، من باب إنزال نفسه منزلة المجموع، في إشارة منه إلى الصلة القوية التي تشده إلى المجموع الذي ينتمي إليه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 60.

الفصل الثاني

- **المخاطب:** لا يوجد من ظاهر لفظ القول ما يحيل على مخاطب معين، لذلك نرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر، لأنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون بالخطاب قبل غيرهم.

ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قُدَّ له أن يتلقاه، قصد إلى ذلك الشاعر أم لم يقصد.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (نرجو) المسند إلى ضمير المتكلم (نحن) المستتر فيه وجوباً.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل الرجاء الذي يعني ابتغاء الحياة والرغبة فيها، وحب الحياة مركز في الجبلة تمليه كراهة الموت، كما ذكر ذلك المعري في غير ما موضعٍ من لزومياته، من ذلك قوله¹:

نحبُّ العيشَ بغُضٍّ للمنايا *** ونحن بما هيَ لنا الأقياءُ .

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل المخاطب على الإقرار بما ذهب إليه الشاعر من أن الإنسان بطبيعته يرغب في الحياة ويبذل في سبيلها ما تتسع له طاقته.

ذلك هو ديدنه ما دام حياً، وقد لا يظفر بما يرجوه ويبتغيه، وقد لا يتحقق المبتغى على النحو الذي كان يُقَدَّر.

واذن فـالمتوقع من المخاطب أن يكون على يدنة من مقتضى فلسفة الشاعر في الحياة.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 52.

اللزومية 36: ¹

أ - فعل القول:

وَإِنِّي لَأُجَالِّهِ يَوْمَ تَجُوزُ زِيَارَتِي بِذَاتِ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَرِ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- **المتكلم:** وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المسند إليه فعل الرجاء (أرجو)، وباء المتكلم في (إني) ضمير المتكلم هنا لا يحيل على معيّن بذاته، لذلك نعول على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يريدنا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون سواه.

- **المخاطب:** طالما لم يكن في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على مخاطب معين، فإننا نرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر، فإنهم، بحكم واقع الحال - المعنيون بالخطاب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر أن يتلقاه قصد إلى ذلك الشاعر أم لم يقصد.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - **فعل الإسناد (المحمول):** وهو فعل الرجاء (أرجو) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً.

ج - **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل الرجاء (أرجو)، رجاء الشاعر في أن يكون يوم القيامة من أصحاب اليمين، وكونه كذلك فهو مَرَضِيٌّ عنه، ومن ثم فهو سعيد السعادة الأبدية التي لا نهاية لها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 78.

د - فعل التأثير بالقول: حمل المخاطب على الإقرار بجدوى مثل هذه الأدبيات والأخذ بها في الحياة، ونعني بذلك إقرار الشاعر بما يعتقد من أن هناك موتا وحسابا وعقابا على النكير والقطمير، وفي المقابل هناك رجاء لا ينقطع وأنه عز وجل عند حسن الراجين.

وفي رجاء الشاعر ذاك إقرار أيضا بالذنوب والخطايا التي تعُصُّ للإنسان في حياته، وأن المعول عليه في غفرانها والتخلص من تبعاتها إنما هو الرجوع إلى الله بالتوبة النصوح والاستغفار والخوف والرجاء.

وإذن فالمنتظر من المخاطب أن يسلك في حياته السبيل التي سلكها الشاعر وارتضاها لنفسه لينجو من عذاب الله وليعد العدة لذلك اليوم قبل أفول نجمه وانقطاع صلته بالحياة.

ثالثا: القسم.

اللزومية 01:¹

لَجَلِّكَ لَا رَتَضَى الْعِبَاءَ مَ بَلْدًا *** وَلَا بَانَ مَا تُدِيهِ قَلْبَ عِبَاءٍ .

الحق أننا في مثل هذه الحال مضطرون إلى أن نتعامل مع جملتين لا غنى لإحداهما عن الأخرى، وإن مَثَّلَ كل منهما فعلا.

الجملة الأولى:

أ - فعل القول:

أجَدَّكَ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر وجوبا في الفعل المحذوف، والذي يقدر بـ(أقسم) أو (أحلف) على تقدير أن (جدَّكَ) منصوب على أنه مفعول مطلق ناب عن

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 43.

فعله المحذوف وأغنى عنه، والتقدير: تَأْجِدْ جَدًّا، أو: أَنْتَ جَادٌّ جَدًّا¹، أو: أَبْجَدُّكَ. أو منصوب على نزع الخافض، وهذا الضمير (أنا) المستتر لا يحيل على معين. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي الذي هو وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري. ويحتمل أن يكون المقصود بـ(الجد) في (جَدُّكَ) هو الحظ. وعليه يكون التقدير: أَقْسَمَ بِحُظِّكَ الذي هو عدم رضاك بما أنت عليه.² ويحتمل أن لا يكون هناك قسم، بل المقصود: أَحْظُكَ هو ذاك الذي يتمثل في عدم رضاك بما هو كائن. وقد كَسَّى الشاعر عما هو كائن عند المخاطب بـ(العباءة ملبسا). وواضح أن اقتران الاستفهام بالقسم يفيد التأكيد، تأكيد حقيقة أن المخاطب على تلك الحال من عدم رضاه بنصيبه المقدر له في الحياة.

- **المخاطب:** هو من يحيل عليه ضمير المخاطب في (جَدُّكَ). ونرجح أن يكون المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون بالخطاب قبل غيرهم.

ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر له أن يتلقاه، قصد الشاعر أم لم يقصد. وليس بالمستبعد أن يكون الخطاب على سبيل التجريد.³

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو فعل القسم (أقسم) أو (أحلف) المحذوف والمسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

¹ - ينظر: النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، ص129.

² - ينظر: أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص43.

³ - ينظر: النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، المرجع السابق، ص184.

و: بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، ج1، ص126.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل التقرير المستفاد من القسم مقرونا بالاستفهام التقريري، فهو تأكيد مركب من توكيدين، أحدهما حاصل بالقسم والآخر بالاستفهام، إذ التقدير (أقسم بجدّك)، من باب استفهام المتكلم عن فعل القسم، وهو على تلك الحال، أي حال القسم. ولا يزال كل من القسم و الاستفهام قيد التوكيد لا يعدوانه حتى إذا ما بلغنا قوله: "ولو بان ما تسديه قيل عباء" عقب قوله: "لا ترضى العباءة ملبسا" شابهما الإنكار، فيكون الحاصل من المجموع تقرير الاستفهام الإنكاري.¹

د- **فعل التأثير بالقول:** وهولفت انتباه المخاطب إلى أهمية الم قسم عليه من جهة أهمية المقسم به.

الجملة الثانية:

أ- فعل القول:

لا ترضى العباءة ملبسا.

وهي جملة جواب القسم.

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- **المتكلم:** هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- **المخاطب:** هو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الفعل (ترضى).

والمحال عليه بهذا الضمير فيما يدلنا عليه السياق الخارجي أهل زمان الشاعر، فإنهم -

بحكم واقع الحال - المعنيون بالخطاب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع لغيرهم.

- **العبرة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبرة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (ترضى) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه.

¹ - ينظر: بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، المرجع السابق، ج4، ص86.
و: النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، المرجع السابق، ص129.

- ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل التقرير، تقرير عدم رضا المخاطب بالعباءة ملبسا، فقد كذَّب بذلك عن عدم الرضا بما أُتيح للمخاطب من الحظ في الحياة.
- د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الإقرار بوجود هذه الحقيقة، وهي وأن الناس ليبغي بعضهم على بعض بسبب عدم الرضا بما أُتيح لهم من الحظ في الحياة.
- وبالجمع بين الفعلين فعل جملة القسم، وفعل جملة الجواب، نحصل على فعل الإنجاز ويتمثل في تقرير عدم رضا المخاطب بما أُتيح له من الحظ، فإذا ما أخذنا في الاعتبار الاستفهام الذي اقترن بالقسم تبين لنا أن الشاعر يؤكد إنكاره لمسلك المخاطب في الحياة، وهو مسلك مشين لافتقاره إلى مسوغات الوجاهة والإنصاف، إذ لو قدر للمخاطب أن يحاسب نفسه لوجد أنه لم يسدِّ شيئا في مقابل ملسأدي إليه وهو كثير.

اللزومية 40: ¹

لَعَمْرُكَ مَا بِي نَجْعَةَ فَرْوَمَهَا أَلَمْ أَذْنِي عَلَى طُولِ الزَّمانِ مُجْدِبٌ

أ - فعل القول: لعمرِكَ ما بي نجعة فأرومها

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، يحيل عليه ضمير المتكلم في (بي، روم)، والسياق الخارجي.
- المخاطب: هو هذا الذي يخاطبه المعري، والذي يحيل عليه الضمير (ك). وبناء على أن هذا الضمير لا يحيل على شخص بعينه تعين أن يكون المعني أهل زمان الشاعر، ويمكن أن يكون الخطاب على سبيل التجريد.

- العبارة: هي (فعل القول) الذي يتكون من المبتدأ (عمر) المضاف إلى الضمير (ك)، والخبر المحذوف والذي تقديره (قسمي) أو (يميني)² والجملة المنفية (ما بي نجعة) جواب للقسم، وجملة (فأرومها) مكملة لها، لأنها مسببة عن جملة جواب القسم. وجملة القسم

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 81.

² - ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج 19، ص 203.

الفصل الثاني

(لعمرك قسمي) على اسميتِها فهي تتضمن فعلا إنجازيا يدل على حال تتعلق بالمستقبل، لأنه لا منى للإخبار بالقسم وإنما مقصود المعري: إني لأقسم على أنني أومن بأن الأمر على ما أرى.

- **القصد:** استهداف المعري مخاطبه الافتراضي بالعبرة التي هي (فعل القول)، وما تنطوي عليه من أفعال.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** بالنظر إلى الجملة في صورتها الاسمية التي هي عليها يكون المسند هو الخبر المحذوف (قسمي) المسند إلى المبتدأ (عمر).

أما الجملة بعد التأويل (إني لأقسم على أنني ...) فإن المسند فيها يكون هو الفعل المضارع (أقسم) المسند إلى ضمير الفاعل المستتر (أنا).

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو إنجاز فعل القسم الذي به يؤكد الشاعر ما أحسه من نفسه من أنه لا رغبة له في دنيا زائلة، فقد عاش محروما، وهو غير آسف على ذلك.

د- **فعل التأثير بالقول:** حمل المعري مخاطبه على أن يحذو حذوه وينحو نحوه في الإعراض عن الدنيا تعففا وتجملا، فلا يليق بكريم النفس أن يتهالك على دنيا طالما كانت سببا في كل وقية، وهو يعلم أنها زائلة لا محالة حتى كأن لم تكن، زائل من فيها وما فيها، وإن بقيت أوزارها - ما بقيت الحياة - يرثها الخالف عن السالف.

واللِّبُّ اللِّبُّ مَنْ لَيْسَ يَخْتَرُ *** كَوْنِ ضَيْرٍ هُ لِّلْفَسَادِ¹

فالمرجو من المخاطب أن يكون على هذه الحال التي ارتضاها الشاعر لنفسه، وليس بالضرورة ذلك، بل قد يكون للمخاطب رأي آخر في الحياة ولا ضير ما دام الثابت أن هناك تأثيرا لـ (فعل القول) على المخاطب، أيا كان ذلك التأثير ووجهته.

¹ أبو العلاء المعري، سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ص 12.

اللزومية 129: ¹

لقد ترفعَ فوقَ المشتري زحلٌ *** فأصبح الشرُّ فيظاھر الغلبَ

أ - فعل القول:

لقد ترفع فوق المشتري زحل.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو أهل زمان الشاعر أولاً. ولا مانع من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول الذي يتكون من فعل القسم المحذوف الذي وطأت له (اللام) في (لقد)، ويمكن تقدير هذا الفعل بـ(أقسم)، والجملة الفعلية (ترفع فوق المشتري زحل) جملة جواب القسم.

- القصد: استهداف المعري مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، وما تنطوي عليه من أفعال.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل القسم المحذوف (أقسم) المسند إلى فاعله المستتر فيه وجوبا (أنا).

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل القسم لتأكيد رؤيته القاضية بغلبة الشر على الخير في طبائع الناس وهي نظرة فيها شيء من التشاؤم.

د - فعل التأثير بالقول: حمل المتلقي على الإقرار بكون الشر مركزاً في الطباع. وإذا ما أراد الإنسان بنفسه وبالناس خيراً فما عليه إلا أن يقاوم هذه الطباع بالتربية والتهديب، وليس بنافع ترك النفوس على ما جبلت عليه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم مالا يلزم، المصدر السابق، ص 137.

الزُّومِيَّة 167: ¹

مأً والركَّابِ وَفَّأَبِهَا ***تَجُوبُ الْفَلَاةَ مَبْجُ تَابِهَا.

أ - فعل القول:

أما والركاب وأقتابها *** تجوب

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو الذي يكون المعري قد استحضره في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب.

- العبارة: وهي (فعل القول) الذي يتكون من فعل القسم المحذوف الذي تقديره (أحلف) أو (أقسم) والذي دل عليه حرف القسم (الواو) ومجروره (الركاب) وهما متعلقان بفعل القسم المحذوف. فلا بد من هذا التقدير لأن القسم لا يكون إلا جملة.² ومن المعطوف (أقتابها) على المقسم به المجرور قبله، فهما يشتركان في أنهما مقسم بهما ثم تأتي جملة (تجوب) تكملة.

ويمضي لاحقاً في العطف على المقسم به (الركاب)، فبعد أن عطف عليه أقتابها يعطف عليه (أجبال) في البيت الرابع، و(كتب) في البيت الخامس من اللزومية نفسها. وأما جواب القسم فهو في البيت السادس والأخير من الزُّومِيَّة، وهو قوله:

لقد عتبت هذه الحادثات *** فلم ترض خلقاً بإعتابها

وهذه الجملة (لقد عتبت هذه الحادثات ...) التي هي جواب القسم السابق (والركاب و...) هي ذاتها جملة قسم، لنا أن نقول فيها ما قلناه في الجملة التي قبلها إلا أننا اجتزأنا عن ذلك بالإحالة على جملة تشبهها أمضينا القول فيها تحت (اللزومية 129).

- **القص:** استهداف المعري مخاطبه بالعبارة وما تتطوي عليه من أفعال.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 162.

² - ينظر: عباس حسن، الذَّحْو الوافي، المرجع السابق، ج2، ص 498.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المحذوف (أقسم). الذي هو متعلق (الجار والمجرور (والركاب) لمسندٌ إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل القسم الذي يؤكد أن حوادث الدهر لم تأبه لإنكار المنكرين وإعتاب المعتبين فضلا عن أن ترضيهم، فالكل على الحياة ناغم وإن تفاوتت ردود الأفعال.

د- فعل التأثير بالقول: حمل المتلقي على الإقرار بأن حوادث الحياة لم تستثن أحدا من الخلق ولم يثنها عن إيذائهم إعتاب المعتبين وسخط الساخطين، فالأمل في أن يدرك المتلقي أن الحياة بما تعج به من الحوادث هي على هذه الحال ليعمل على أن يفوت عليها فرصة التغرير والإغواء.

الروميّة 340: ¹

بَوَى الْمَوْتَ فِي الظُّلَمَاءِ وَالْقَى فِي الْكَأْسِ *** وَقَامَ عَلَى سَاقٍ وَنَحْنُ قُودٌ
وَتِلْكَ لَعْمَرُ اللَّهِ أَصْبَحَ خِطَّةً *** كَأَنَّ حُدُودِي فِي التُّرَابِ صُعُودٌ

غرضنا يتعلق بالبيت الثاني لا الأول، وإنما ذكرنا البيت الأول لاعتماد الثاني عليه عند تقديرنا للمعنى.

أ- فعل القول:

وتلك لعمر الله أصعب خطة

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أودّع يومي، مثلي، كأني) في الأبيات التي قبل هذا البيت. والذي دلّنا على أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري السياق الخارجي.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 290، 291.

- **المخاطب:** لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على مخاطب معين بذاته، لذلك نرجح أن يكون الخاطب هو أهل زمان الشاعر، فإنهم أولى بالخطاب من غيرهم وأحق.
- **العبارة:** هي (فعل القول) الذي يتكون من اسم الإشارة (تلك) الذي يحيلنا على مسار حياة الإنسان الذي يعنيه من أهل زمانه، وقد عبر عن هذا المسار بكلمة (خطة)، ثم جملة القسم (لعمرك الله) المعترضة بين المبتدأ (تلك) والخبر (أصعب خطة).
- **القصد:** استهداف المخاطب بالعبارة التي هي (فعل القول)، وما تتطوي عليه من أفعال في المقدمة منها فعل الإنجاز.
- 2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو في جملة القسم (لعمرك الله) الخبر المحذوف (قسمي) أو (يميني) إذ التقدير عند النحاة: لعمرك الله قسمي أو يميني. على أن المبتدأ هو (عمر) المضاف إلى لفظ الجلالة (الله) واللام في (لعمرك) للقسم، وبذلك يكون هذا الخبر المحذوف (قسمي) مسنداً إلى المبتدأ (لعمرك الله).
- والحق أن جملة القسم الاسمية على النحو الذي رأينا مؤولة بجملة مضارعية تقديرها: أقسم. وهو فعل مضارع مسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً. وجواب القسم محذوف يفسره خبر المبتدأ (أصعب خطة) وهو ما يعرف عند النحاة بالحذف على شرط التفسير.¹
- والحامل على هذا التأويل، أي تأويل الجملة الاسمية السابقة بجملة فعلية مضارعية هو أن جملة القسم تكون جملة فعلية لا اسمية ولو تأويلاً،² ثم إن المعنى يكون أقوم وأصوب بتقدير الجملة الفعلية المضارعية.
- ذلك أن الشاعر بصدد تأكيد ما يراه وليس في موقع الإخبار بما هو كائن معروف فيما مضى، فهو يريد أن يقول: أقسم بالله إن ذاك الذي أرى عليه الناس لهو أصعب خطة يسلكونها في حياتهم.

¹ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج2، ص 504.

² - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج2، ص 498.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** هو إنجاز فعل القسم الذي به يؤكد الشاعر عدم رضاه عما يرى عليه الناس في حياتهم من غفلة أنست الناس حقيقة طالما غفلوا عنها، وهي أن الحياة عارية، وأن المصير المحتوم لا مفر منه، وعليه فلا بد من الاستعداد بالعمل الصالح.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل المعري مخاطبه على الإقرار برأيه القاضي بسوء فهم الحياة وتمكينها بغفلتنا من أن نعمل عملها فينا وبئس العمل إن نحن لم نظفر منها بزد نستصحبه في رحلتنا الأبدية يهوّن علينا ما نحن ملاقوه في رحلتنا تلك.

رابعاً: أفعال الرأي.

وقد توسع بعض الدارسين في (الأفعال الإيقاعية) حتى تجاوز بها حدود (المؤسسة خارج- لسانية) التي هي شرط في (الأفعال الإيقاعية) كما رأينا، أو أنه التمس لها مؤسسة بالتأويل.¹

كأن يُلَهِسَ لأفعال الرأي مؤسسة (خارج لسانية) على اعتبار أن الرأي يستند في رؤيته إلى مؤسسة من مؤسسات نذكر منها: الاستناد إلى ما تقتضي به طبائع الأشياء في الوجود بحيث لا يجد المنكر سبيلاً إلى إنكار ما تقتضي به الطبيعة.

ومنها الاستناد إلى الإيديولوجية الفكرية التي يصدر عنها الرأي فيما يرى. ومنها استناد الرأي إلى ثقته بنفسه التي استحکمت عنده حتى صارت بمنزلة المؤسسة، ولعل أفعال الرأي عند المعري أقرب إلى هذا النوع.

واللافت أن هذه الأفعال في اللزوميات كثيرة، نورد منها:

¹ - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية: مقارنة بين التداولية والشعر - دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص 142 وما بعدها.

الْوَمِيَّة 04:1

أ - فعل القول:

رَأَى فَلَمَّا زَالَ بِالْخَلْقِائِرِ *** هُوَ خَوْفًا يَصَانُ وَيُخْبَرُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر وجوبا في الفعل (أرى)، غير أن هذا الضمير لا يحيل على معين بذاته، وعليه فلا مناص من التعويل على السياق الخارجي الذي هو وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون غيره.

- المخاطب: هو من استحضر المعري أنه يخاطبه لحظة إنشاء الخطاب، وذلك المخاطب لا يعدو أن يكون أهل زمانه، فإنهم -بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قُدَّ له أن يتلقاه ولو بعد حين.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أرى) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الرؤية، رؤية الشاعر إلى هذا الفلك الذي نراه بالعين المجردة والذي يخفي وراءه سرا لا سبيل إلى الاطلاع عليه ولا إلى معرفته وفهمه، وكل ما نعلمه هو أن هذا الفلك لا يعقل أن ينظر إليه بمعزل عما وراءه من السر المصان والذي عجزت العقول عن أن تصل إليه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 04.

الفصل الثاني

واللافت في قول الشاعر جمعه بين الرؤيتين الحسية والعقلية، فقد انطلق من رؤية حسية وهي رؤيته هذا الفلك الذي يرى بالعين المجردة وهي رؤية قادته إلى رؤية عقلية تتمثل في ذلك السر المصون الذي يشير إليه ذلك الفلك، ولكنه سر لا سبيل إلى إدراكه.

والحاصل هو أن مجال إدراكنا محدود بالمحسوسات وما اتصل بها مما يمكن إدراكه بالعقل عن طريق القياس أو مما هو في المدى المنظور عقليا بأي من سبل الإدراك وطرقه.

فللعقل مدى لا يتجاوزه كما قال المعري نفسه في موضوع آخر من اللزوميات:¹

لَقُمْ لَنَا خَالِقُ حَكِيمٌ *** قَدْ لَطَدَ دَقْمٌ كَلَّ نَقُولُ
زَعَمَتْهُ بِلَا زَمَانٍ *** وَلَا مَكَانٍ أَلَا قَفَّ وَلَوْ
هَذَا كَلَامٌ لَخُذِيءٌ *** مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عُقُولُ

والشاهد في البيت الأخير، ووجه الاستشهاد فيه إشارته بقوله: "خبيء" إلى المعنى المستتر الذي هو فوق أن تدركه العقول. وذلك المعنى المستتر المشار إليه هو « طبيعة الزمان والمكان في الوجود الإلهي ».²

د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الاقتناع برأي المعري القاضي بكون عالم الحس ليس هو كل شيء بل هناك أسرار كامنة وراء الظواهر هي في منعة من أن تدركها عقولنا المقيدة بمدى لا تتجاوزه. وإذا كان الأمر كذلك فعلى العاقل اللبيب ألا يشترط في تحميل العقل ما لا طاقة له به.

وإن هو كلف نفسه إدراك ما لا يدرك انتهى إلى حال أشبه بحال من قال فيه الشاعر:³

كَأَطْحِ صَخْرَةً يَوْمَ أَلِيٍّ وَهِيَ أَلِيٌّ *** قَلَمَ يَهْدِيهِ لَوْ هَدَى قَوْلُهُ عِلَّ

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 174، 175.

² - المصدر نفسه، ص 175.

³ - الزوزني أبو عبد الله، شرح المعاني السبع، مرجع سابق، ص 353.

اللزومية 12:1

أ - فعل القول:

أَراهمُ يُضَكُّونَ إِلَيَّ غَشْدًا *** وَغَشَانِي الْمَشَقُّ وَالْحِطَّةُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر وجوبا في الفعل (أرى)، وهذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته، لذلك يتعين التحويل على السياق الخارجي فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري.

- المخاطب: ونرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم، ولا مانع - بعد ذلك - من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر له أن يتلقاه ولو بعد حين، قصد الشاعر ذلك أم لم يقصد.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أرى) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الرؤية، الرؤية العقلية التي هي العلم فقد علم الشاعر من الناس أنهم يجاملونه فيظهرون له ما لا يبطنون، فهم يظهرون الود والمحبة، ولكنهم يضمرون الشر ويببئون على الكيد له والإيقاع به في المهالك.

ذلك هو الإنسان عند المعري، ومبلغ علمه من أمره، وتلك هي فلسفته فيه، فلسفة انطوت عليها لزومياته تصریحا تارة، وتلميحا تارة أخرى.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 52.

د - فعل التأثير بالقول: حمل المخاطب على الاقتناع بما يراه المعري في الإنسان من أنه يظهر ما لا يبطن، ليحذر شره ويتقي غوائله، ويتعامل معه في حياته على ما هو عليه من سوء الظن به مبدئياً حتى يثبت النقيض.

وسوء الظن بالحياة وبالناس مما عرف به العري في لزومياته.

اللزومية 13:1

أ - فعل القول:

ر لى د ع الحياة مراً شيءٍ ***شاهد صدق ذلك إذ تَقَّ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر في الفعل (أرى) وجوبا. وإذا كان هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين، فإن السياق الخارجي يدلنا على أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو ضمير المخاطب (أنت) المستتر وجوبا في الفعل (شاهد) وذلك المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر، وهو من باب مخاطبة المجموع بضمير المفرد لنكتة بلاغية، مفادها شدة الصلة بين الفرد والمجموع حتى لكأن الفرد هو المجموع والمجموع هو الفرد، وإنا لنشاهد ذلك في حياة الناس إذ نرى المجموع ممثلاً في الجماعة وأن الدولة - على سبيل المثال - يمثلها الفرد ويتكلم باسمها، وعليها تقع تبعه ما يترتب على تمثيله لها. ولا مانع من أن يتسع الخطاب بعد ذلك ليشمل كل من قُدَّ له أن يتلقاه.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 52، 53.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو إسناد الفعل (أرى) إلى فاعله (أنا) الذي هو ضمير مستتر فيه وجوباً.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الرؤية، رؤية الحياة على أنها مضمينة مر مذاقها، شديدة على النفس وطأتها، وليس أدل على صحة رأي الشاعر فيها من آثارها السلبية البادية في حياة الإنسان، ولفظها في نهاية المطاف غير مأسوف عليها بمفارقة الروح للجسد. ذلك هو رأي المعري في الحياة، وهو رأي بلغ من السلبية أن أطلق لسانه فيها قدحاً وزماً في لزومياته:¹

يا أمّ دفر لو رحلت عن الورى *** سوّ واء، ولو من آل ضبّة، كُوزا
إني ذممتك فاشهري أوثرلري عي *** لا أريه المغم ودوالم ركوزا
عنت اليلم وما عنيت سد لامة *** لكن سب لك مرهقاً م كوزا
موسى بعثت لكلحي مغضباً *** فقضى عليم جلاً وكوزا

د- فعل التأثير بالقول: حمل المخاطب على الاقتناع برأي الشاعر في الدنيا لنلا يغتر بها إن هي أبلت عليه مبدية زينتها، مغرية إياه بكل ما أوتيت من ألوان السحر والإغراءات الآسرة.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 589.

اللزومية 16:1

أ - فعل القول:

رَوَا يَرَالْعَ لِحَرَاوِ فَيَدَا *** وهي في جُثَّةِ الْفَتَى خُصَمَاءُ
إِن وَتَ أَفْقَ صَدَحَّ ، أَوَّلَا فَمِيلَنْدَ . *** فَكُّ عَنْهُ الْإِرَاضُ وَالْإِنْعَاءُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- **المتكلم:** وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر وجوبا في الفعل (أرى)، غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين، ومن ثم دعت الحاجة إلى التعويل على السياق الخارجي الذي هو وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون سواه.

- **المخاطب:** لا يوجد في ظاهر لفظ القول ما يدل على مخاطب بعينه. لذلك نرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قُدَّ له أن يتلقاه ولو بعد حين.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (أرى) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل الرؤية، رؤية الشاعر للغرائز الأربع - هي العناصر الأربعة التي كان يراها القدماء قوام البدن: الحرارة، البرودة، الرطوبة، واليبوسة² - . وكأنها تتخاصم فيما بينها، ولهذا الخصام أثره على جسم الإنسان وصحته، فإن هي اتفقت

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 56 إلى 59.

² - المصدر نفسه، ص 57.

ولم يناقض أو ينقض بعضها بعضاً أثر ذلك على الجسم صحة وقوة. وإن هي تناكرت وتتناقضت فيما بينها بدا أثر ذلك جلياً في أشكال من اعتلال الجسم وإنهاده.¹

ويؤخذ من ذلك أن الموت يعني تلاشي هذه العناصر وتوقفها عن أداء وظائفها في الجسم متضامنة فيما بينها.

د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الاقتناع برأي الشاعر فيما يعتري الإنسان من الصحة والمرض، والقوة والضعف بتأثير من هذه العناصر الأربعة. وليس ذلك رأي الشاعر بالضرورة، فقد يكون مجرد نقل عن القدماء والعهد على من قال ذلك. وسواء تبني المعري ما قال به القدماء أم لا، فإن التأثير بالقول باق هو هو اقتناعاً، أو رفضاً والتماس تفسير آخر للذي قيل.

اللزومية 44:2

أرى قَدْ أأفجس لم يطفئه الردى *** وما ممت حياً فـهذا يتلها ب

أ - فعل القول:

أرى قبساً في الجسم يطفئه الردى

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر وجوباً في الفعل (أرى)، غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين، لذلك يتعين التعويل على السياق الخارجي الذي هو وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 57.
و: طه حسين: من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، مرجع سابق، ص 799-802.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 04.

الفصل الثاني

- **المخاطب:** لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على المخاطب، لذلك مرجح أن يكون المخاطب هو أهل زمان الشاعر. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر له أن يتلقاه لاحقاً.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (أرى) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل الرؤية، رؤية الشاعر المتعلقة بما يؤول إليه جسم الإنسان إذا ما انقضض عليه الردى وفارقت الروح الجسد.

وإن في هذه النقلة من حال ائتلاف الروح بالجسد وتماسك الأجزاء والأوصال، والقدرة على الفعل إلى حال المفارقة والتفكك ومن ثم الاضمحلال والتلاشي لعبرة وعظة. وعلى العاقل أن يعمل العقل والرؤية في ذلك اليوم لئلا ينقض عليه الموت بغتة، وهو على حال لا يتمنى أن يكون عليها، ولئلا يدخر جهداً لأن يأتي ما استطاع من عمل صالح يتزود به في رحلة، العلم بمنتهىها ومستقرها عند الله.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل المخاطب، لا على الإقرار بمقتضى رؤية الشاعر وفلسفته في المصير والمنتهى، فإن ذلك مشاهد لا يحتاج المرء إلى من يدلّه عليه، وإنما على أن يعد نفسه لذلك اليوم ما دام البذل والعطاء في الإمكان، وفي الحياة متسع لأن يأتي فيها المرء من العمل الصالح ما اتسعت له مواهبه وقدراته، واستقرت عليه إرادة فعل الخير وإشاعته بين الناس.

وبذلك يكون الإنسان أداة بناء وإصلاح وتعمير، وتلك هي سعادة الدنيا والآخرة، إن المؤمل في المخاطب هو هذا، وقد لا يرى ما نرى، فقد يختار لنفسه سبيلاً غير الذي ذكرنا،

ولا على الشاعر ولا على المؤمل شيء في أن ينحاز المخاطب إلى ما يعتقد أنه الأصوب والأفضل، وأن ينتصر لما يؤمن به، فلكل فلسفته ومشاربه التي يصدر عنها في حياته.

الوهميّة 114:1

أ - فعل القول:

أرى اللبّ مرآة اللبِّ ومَن يَكُنْ *** رأيه الإخوانُ يصدق ويكذب

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر وجوبا في الفعل (أرى)، وما دام هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين فإننا نحتاج إلى السياق الخارجي الذي هو كفيّل بأن يدلنا على أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: لا يوجد من ظاهر لفظ (فعل القول) ما يحيل على المخاطب. لذلك نرجح - بحكم واقع الحال - أن يكون المعني بالخطاب أهل زمان الشاعر أولا، ثم كل من قدر له أن يتلقى الخطاب ولو بعد حين، قصد الشاعر أم لم يقصد.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أرى) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الرؤية، رؤية الشاعر المتعلقة باللب الذي هو العقل ووظيفته، فهو دليل صاحبه يطلعه باستمرار على حسناته وسقطاته، ولئن كان للصديق أن يغش أو يخون لسبب ما من أسباب إخفاء الحقيقة وهي كثيرة، فإن العقل أمين

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 127.

الفصل الثاني

صاحبه بلا مواربة ولا محاباة ولا مصانعة لتجرده عن الغرض الذي لا ينفك عن الإنسان في علاقاته بالآخرين.

د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الاقتناع برأي المعري في العقل، فهو في رأيه الأهل لأن يعول عليه في التمييز بين الخير والشر والحق والباطل، وهو الصادق الأمين الذي لا يميل ولا يخون.

ورأي المعري في العقل واعتداده به أساس نهضت عليه فلسفته، ولنا أن نتأمل قوله:¹

يَرْتَجِي النَّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَامٌ *** نَاطِقٌ فِي الْكِتَابَةِ الْخُصَاءِ
كَتَبَ الظَّنَّ إِمَامٌ سِوَى الْعَقْلِ *** لِشَيْرٍ أَ فِي صَبْحِهِ وَالْمَسَاءِ
إِذَا مَا أَطْعَمَهُ جُبَلُ الرَّدِّ *** مَقْنَعَدُ الْمَسِيرِ وَالْإِرْسَاءِ

وإن فالمؤمل في المخاطب هو هذا الذي ارتآه المعري في العقل وأخذ به في حياته.

خامسا: أفعال الإقرار.²

وهي أفعال يقر فيها المتكلم بما يعتقد لحظة الإنشاء.

ووجه الإيقاع فيها كون الفعل يتحقق بمجرد التلفظ، وتستمد هذه الأفعال إيقاعيتها من اعتقاد المتكلم نجاح الفعل ورغبته فيه على الوجه الذي يقصد، وإليه ينحو، وهو اعتقاد متأت من استناد المتكلم إلى (مؤسسة خارج لسانية) على ما سنوضح فيما هو آت.

¹ أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 64.

² - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية والشعر (مقاربة بين التداولية والشعر) - دراسة تطبيقية، مرجع سابق، ص 142.

اللوحة 14:1

أ - فعل القول:

سبحان خالقك الذي قرأت به **بَنَاءٌ تُوَفَّقُهَا خُضْرًا هَا

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر في الفعل (أسبح) المتروك إظهاره. فقول القائل (سبحان الله) يضاهي قوله: أسبح الله تسبيحا.²

وأوضح الرازي ذلك فقال: «.. فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح».³

وجاء في لسان العرب: «وعندي أن سبحان بضم السين هو مصدر سبَحَ».⁴

وأيًا ما كان (سبحان) و(عامله) فإن الفاعل المستتر في فعله المتروك إظهاره يبقى هو المتكلم المفرد (أنا) وهو لا يحيل على متكلم معين. لذلك لا مناص من التعويل على السياق الخارجي الذي هو وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب في (خالقك). والراجح أن هذا الضمير يحيل على أهل زمان الشاعر، لأنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون بالمخاطب قبل غيرهم، وقد خاطب الشاعر المجموع بما يخاطب به المفرد، وهو أسلوب سائغ لنكته بلاغية في نفس الشاعر، وهي في تقديرنا إرادة إنزال المفرد منزلة المجموع، إشارة منه إلى تمثيل ذلك المفرد للمجموع، لما بينهما من رابطة قوية تشد الفرد إلى الجماعة التي هو جزء لا يتجزأ منها، على غرار ما نلاحظه في تمثيل الأفراد للجماعات والدول قديما وحديثا، وعلى هذا يكون الفرد هو الجماعة والجماعة هي الفرد يصح لكل منهما أن يخاطب بما يخاطب به الآخر. ويقوي

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 53، 54، 55..

² - ينظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، مرجع سابق، ج1، ص 386.

³ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج20، ص 145.

⁴ - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مرجع سابق، ج2، مادة (سبح)، ص 554.

الفصل الثاني

هذا الفهم افتقارنا في ظاهر لفظ (فعل القول) إلى ما يدل على أن الشاعر يخاطب فردا معروفا بذاته.

وليس بالمستبعد أن يكون الخطاب على وجه التجريد،¹ وللتجريد أسبابه، والذي يحضرنا منها هنا اعتبار الشاعر نفسه معنيا بالخطاب، فهو مخاطب ومخاطب في الوقت ذاته. وفي مثل هذه الحال يظل المخاطب الآخر معنيا إلى جانب مخاطبة الشاعر نفسه، قصده الشاعر أم لم يقصد.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أسبح) المتروك إظهاره، المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الإقرار، الإقرار بكونه عز وجل أهل لأن ينزه عما لا ينبغي، وإقرار الشاعر بتتزيهه سبحانه وتعالى مطابق لمعتقده، فهو في هذا يصدر عن عقيدة الإسلام التي ينتمي إليها وإن فهو يتكئ في هذا الإقرار على (مؤسسة خارج - لسانية) وهي المؤسسة الدينية.

د- فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الإقرار بما أقر به الشاعر من اعتقاده في الله عز وجل إذ وصفه بصفات الكمال ونزهه عما لا يليق بألوهيته وربوبيته وقديسيته.

ولا شك في أن الإقرار بما أقر به الشاعر يفضي بالإنسان إلى أن يحيا حياة متوازنة لا إفراط فيها ولا تفريط، ويضع حدا لادعاءاته التي كثيرا ما يتجاوز بها حده، فيوقعه تجاوزه ذاك في الفوضى والقلق والاضطراب.

¹ - ينظر: بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ج1، ص 126 وأنظرها من الصفحة نفسها.

الْوَمِيَّة 22:1

أ - فعل القول:

قَضَى اللهُ فِينَا بِالَّذِي هُوَ كَائِنٌ ***فَتَمْرَضَاعَتْ حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

ولا يُعوَّل على الضمير (نا) الذي يحيل على المجموع ومنه المتكلم، ولا سبيل إلى معرفة المتكلم الذي يحيل عليه هذا الضمير إلا من جهة السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من استحضر المعري أنه يخاطبه، وذلك المخاطب لا يعدو وأن يكون أهل زمان الشاعر. ويمكن أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قُدَّ له أن يتلقاه، قصد الشاعر أم لم يقصد.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو هنا فعل مضمر قائم في البنية العميقة، والتقدير: أقر بقضاء الله النافذ فينا،² وهو تأويل سائغ، تسوغه وجاهة التقدير وعدم وجاهة حمل فعل القول في صورته التي هو عليها على الإخبار. وعليه يكون الفعل المسند هوأقر () والمسند إليه هو الفاعل (أنا) المستتر وجوبا في هذا الفعل.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 62-63.

² - ينظر: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات، مرجع سابق، ص 84. و: أن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مرجع سابق، ص 34، 35، 36.

و: بنعيسى عسو أزييط، الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد) مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، مرجع سابق، ص 86، 87، 88.

و: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، مرجع سابق، ص 54، 55، 56، 58.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الإقرار، الإقرار بقضاء الله في الإنسان، وهو قضاء نافذ لا تترده حكمة الحكماء، وهو ما يعني أن حكمة الحكيم لا عمل لها خارج دائرة القضاء التي احتوتها.

وقد أوضح المعري عمل القضاء في غير ما موضع من لزوميته، ومن ذلك قوله:¹

قضى الله أن الآدمي معذب *** إلى أن يقول العَلَلُون به قَدَى

د- فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الإقرار بما أقر به الشاعر من أن الأفضية تعمل عملها في حياة الإنسان، وليس في وسعه أن يعترض على المقضي به، لرده أو تعديله أو تغيير مساره.

ولا شك في أن العمل بمقتضى الإقرار بهذه الحقيقة يفضي بالإنسان إلى أن يضع كل شيء في موضعه لا يتجاوز به مده. فالإنسان إنما يؤخذ على ما في الوسع، وليس عليه ألا يكون المنجز على الوجه المطلوب ما دام قد استنفد ما عنده من أسباب النجاح كما قال أبو فراس الحمداني:²

عليّ طلابُ العزِّمِ فستقرّه *** ولا ذنبَ لي إن حارثني المَطالِبُ

اللزومية 36:3

أ- فعل القول: يعلم إلهي يوجد الضعف شيمتي *** فليست م طيقا للغو ولا المسرَى

غبرت أسيراً في يديه ومن يكن *** له ركم، تركم بسلهط الأسرَى

وإنما أوردنا البيت الثاني تنمة للأول، وبهما معا يكتمل فعل الإقرار.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 69.

² - نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1984، ص 56.

³ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 78.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد في فعل الإقرار (أقر) المضمّر، وفي (إلهي، شيمتي، لست). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته، لذلك تعين التحويل على السياق الخارجي، فهو الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري على وجه التعيين.

- المخاطب: وهو من استحضر المعري في ذهنه لحظة الإنشاء أنه يخاطبه. ونرجح أن يكون المستحضر أهل زمانه، فإنهم بحكم واقع الحال - المعنيون بالمخاطب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لكل من قدر له أن يتلقاه، قصد المعري أم لم يقصد.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل الإقرار الكامن في البنية العميقة (لفعل القول)، والتقدير: أقر بما قضاه الله في سابق علمه، وبهذا التأويل يكون المسند هو الفعل الإنشائي المطوي (أقر)، والمسند إليه هو فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الإقرار، الإقرار بعلم الله وقضائه السابقين لوجود الموجود، والإقرار بالضعف الذي هو مركز في الحيلة قائم في الأوصال وليس شيئاً زائدا يرجى انفكاكه.

د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الإقرار بأمرين: أولهما: الإقرار بعمل القضاء والقدر في الموجود ووفق علمه عز وجل السابق لوجود الموجود ذاته.

الفصل الثاني

والثاني: أن ذلك الموجود إنما وجد على حال لا ينفك عنها ولا هي تنفك عنه تؤهله إلى مدى لا مطمع له في أن يتجاوزه، وهو مطالب بأن يأخذ بالأسباب في حدود ما أعدته له العناية الإلهية، وقد قيل: كل ميسر لما خلق له.

ذلك هو المؤمل في المخاطب، قصد الشاعر أم لم يقصد. وقد يكون للمخاطب في موقفه من الخطاب وجهة غير التي كنا نرجو.

اللزومية 76:1

طَلَّ صَدَيْبُ الطَّوْبِينِ نَجُومَهُ *** يَكْفُرُ جَالًا عَنْ عِبَادَتِهَا الصَّبْرُ أ
فَرَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْهَدَى *** وَلَدَى الذُّيَّاءِ وَالسَّمَاكِينِ وَالْقَلْبُ أ
أ- فعل القولون: كَمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْهَدَى *** وَلَدَى الذُّيَّاءِ وَالسَّمَاكِينِ وَالْقَلْبُ أ
ففعّل الإقرار كامن في هذا البيت، وإنما ذكرنا البيت الذي قبله لتعلقه به.

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر في الفعل الإنشائي (أقر) القائم في البنية العميقة.²

غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه، ومن هنا تعين التعويل على السياق الخارجي الذي هو كفيل بأن يدلنا على أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه الضمير (كم)، والمحال عليه بهذا الضمير هم (النصارى) في البيت السابق، فقد ذكرهم الشاعر بصفته التي هي عبادة (الصلب) أو (الصلبان). وهذا

¹- أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 101، 102.

²- ينظر: أن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، المرجع السابق، ص 34، 35، 36.

و: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلمات، مرجع سابق، ص 84.
و: بنعيسى عسو أزابيط، الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد) مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، المرجع السابق، ص 86، 87، 88.
و: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 54، 55، 56، 58.

الفصل الثاني

المخاطب محال عليه بظاهر لفظ (فعل القول) كما رأينا. وهناك المخاطب الذي هو القارئ أو المتلقي والذي نرجح أن يكون أهل زمان الشاعر أولًا ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر له أن يتلقاه.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أقر) المضمر القائم في البنية العميقة، والمسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبًا.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الإقرار، إقرار المعري بالربوبية والألوهية وأنه عز وجل خالق هذه النجوم والكواكب (السهى، الثريا، السماكين، القلباء) التي نراها ر أي العين، ومن ثم الإقرار بأحقيته بأن يعبد دون سواه. وإذا كان الأمر كذلك فقد ثبت بطلان عبادة النصارى صلبانهم.

د- فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الإقرار بالربوبية والألوهية. ومقتضى الإقرار بهما بطلان كل ما أدخله الناس، نصارى أو غيرهم، على عقيدة التوحيد من شوائب وترهات اصطنعوها لأنفسهم اصطناعًا.

واِذْنُ فَاَلْمَوْءُىُّ هُوَ أَنْ قِرُّواَ الْمَخَاطَبَ بِمَا أَقَرَّ بِهِ الشَّاعِرُ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِمَقْتَضَى هَذَا الْإِقْرَارِ وَبِذَلِكَ تَتَّسِقُ الْحَيَاةُ عَلَى نَحْوِ يَلِيقُ بِمَقَامِ الْإِنْسَانِ فِيهَا.

سادس الوصية:

اللزومية 141:1

وَجَدْتَ الْمَوْتَ يَنْتَظِمُ الْبَرَايَا *** سَيُحْبِ مِنْهُ فِي أَعْقَابِ سَحْبٍ
فَأُصِدِّكُمْ لَدُنْيَاكُمْ هَآذًا *** فَإِنِّي بَقِيَ أَثَارُ صَدِّ بِي

لنا أن نتنبه إلى أن محل النظر هو البيت الثاني، وإنما ذكرنا البيت الذي قبله لارتباطه به، ذلك لأن البيت الأول يمثل السبب الذي من أجله كانت الوصية سائغة. أي أن الإيصاء بالتهوين من شأن الدنيا متأث من ملاحقة الموت للنفوس، وإذا كان الأمر كذلك فلا وجهة لأن يتفانى الناس في دنيا زائلة زائل ما فيها ومن فيها ممن كان يحرص عليها ويتفانى في الجمع والمنع.

أ - فعل القول: فأوصيكم لدنياكم هوانا *** فإنني تابع آثار صحبي

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر في الفعل (أوصي) وباء المتكلم في (فإنني - صحبي)، وتوجيه من السياق الخارجي ندرك أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (كم) في قوله "أوصيكم"، ونرجح أن يكون المحال عليه بهذه الضمير أهل زمان الشاعر أولاً. ثم كل من قدر له أن يتلقى الخطاب.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 146، 147.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضارع (أوصي) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الوصية، إيحاء الشاعر مخاطبه بالتهوين من شأن الدنيا والإلقاء بها ظهرياً معللاً ذلك بعدم جدوى السعي في طلبها ما دام الموت يتربص بالإنسان وما يجمع.

د- فعل التأثير بالقول: وهو حمل الشاعر مخاطبه على الإقرار بفلسفته في الحياة الفاضية بعدم جدوى السعي في طلب الدنيا وإكبارها في النفوس، لأنها فانية، فإن حائزها المتكالب عليها. إن الأخذ بمقتضى هذه الفلسفة من شأنه أن يهدئ من روع الإنسان ويحمله على التوازن في حياته، توازن قوامه الرضا بما هو كائن وعدم الأسى على ما فات أو لم يكن.

الْوَمِيَّة 141:1

أ- فعل القول:

مَعَ أَصْلُوحٍ فَوَلَّدِيكَ ** حِيَرَانِيهَا لَا يَلْبِجُ لَهَا

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) الذي أسند إليه فعل الإيحاء (أوصي). وهذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه. لذلك لا مناص من التعويل على السياق الخارجي فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (كم) الواقع مفعولاً به للفعل (أوصي)، ولا شك في أن المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر أولاً، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون بالخطاب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر له أن يتلقاه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 161.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أوصي) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الوصية، إيحاء الشاعر مخاطبه بهجران الدنيا وإنزالها المنزلة التي تستحقها لا أن يتجاوز بنفسه مقدارها حين يلج ويلج في طلب الدنيا رغبة منه في الجمع والمنع استجابة لرغبات نفس جامحة لجوج لا منتهى لرغباتها ونوازعها، وإنه - والأمر على هذه الحال - ليجتاج لقهر هذه النفس وردّها عن غيها إلى ما أحتاج إليه عنترة من قبل:¹

لِيَأْمُرُ سَمَحَ الْخَلِيقَةِ مَجْدٌ *** لَا تُغْنِي النَّفْسَ الْجَوَّجَ هَوَاهَا

د- فعل التأثير بالقول: وهو حمل المخاطب على الأخذ بوصية الشاعر القاضية بالإعراض عن الدنيا، لأن ثمن الإقبال عليها مكلف، فهي كثيرا ما تحيد بصاحبها عن الجادة، فإذا هو أضرى من ذي ناب فيهلك ويهلك. وتلك حال لعمر الله لا تليق بمقام الإنسان في هذه الحياة باعتباره أداة بناء وصلاح وإصلاح.

البوحيّات (التعبيريّات):

- فعل تعبري ليس له صيغة معيّنة:

الزّوميّة 14:²

طال الدّواءُ وقد أذَى لِمَ فَاصِلِي *** أَلْ تَسْتَبْدُّ بَضْمَ هَا صَحْرَاوُهَا
فَتَتَّ وَلَمْ تَقَرِّ لَشُوبِمْ دَامَةً *** بَلْ لِحُطُوبِ يَغْهَلُ اسْلَاوُهَا

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، ط9، 1978، ص172.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص53-54.

الفصل الثاني

ومحل اهتمامنا هو البيت الأول، وإنما أوردنا الثاني تكملة للمعنى وإجلاء للغرض الذي سيق له الكلام في البيت الأول.

أ - فعل القول:

طال الثواءُ وقدنلّى طفاصد لي *** أن تستبدّ هدمها صحراؤها

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم الواقع مضافا إليه في (مفاصلي)، وبحكم أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معروف، كان الرجوع إلى السياق الخارجي مما لا بد منه، لأنه هو وحده القادر على أن يرى أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: وهو كل من قدر له أن يتلقى الخطاب من أهل زمان الشاعر ثم الذين يلونهم، والمخاطب في مثل هذا الخطاب الذي هو أقرب إلى التعبير منه إلى الخطاب الموجه، غير مهم كثيرا لأن الشاعر في مثل هذه الحال يشكو سوء حاله وقد أوشك نجمه على الأفول، وهو يجد متنفسا في هذه الشكوى، فالمعنى بالقول في الحقيقة هو نفسه أولا، ثم لا بأس بعد ذلك إن قدر للخطاب أن يصل إلى الآخرين.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (طال) المسند إلى فاعله (الثواء).

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعبير، التعبير عن حالة نفسية ورثه إياها طول إقامته في الحياة الدنيا ودنو أجله الذي لاحت بوابره التي منها ارتخاء مفاصله وضعفها وقد كانت صلبة قوية لا تلين لها قناة، وقد ذكر المفاصل هنا لأنها أول ما يصيب الإنسان من الضعف والوهن عندما تتقدم به السن، ولأنها مجامع العظام التي منها يبدأ التفكك بعد الموت.

الفصل الثاني

ف فعل القول إذن هو أقرب إلى التعبير منه إلى الإخبار، وإن شئنا قلنا هو إخبار ينطوي على الشكوى من سوء حاله.

د - **فعل التأثير بالقول:** وله جانبان: أحدهما يتعلق بالشاعر نفسه، فهو يجد في التعبير عن حالته النفسية راحة ومتنفساً. وأما الجانب الثاني فيتمثل في حمل المتلقي على التضامن الوجداني مع الشاعر، كما أن التذكير بدنو الأجل وأن الإنسان راحل في النهاية مهما عمر من شأنه أن يحمل المخاطب على اغتنام ما يتاح له من الفرص في الحياة بطريقة عقلانية بعد أن يكون قد استحضر الموت والحساب والأثر الباقي بعد الرحيل.

اللزومية 14:1

أ - فعل القول:

مُ لَّالْمُ أَفْمُ فِكْمُ أَشْرُ مُةً * * * مَرَّتْ بِغَيْرِ صَلَاحٍ هَا أُمْرَاؤُهَا

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- **المتكلم:** وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) المستتر في الفعل (أعاشر)، غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من الرجوع إلى السياق الخارجي فهو وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون غيره.

- **المخاطب:** وهو كل من قدر له أن يتلقى الخطاب ابتداء بأهل زمان الشاعر، فإن أهل زمان كل عصر معنيون قبل غيرهم بخطاب أهل زمانهم، وبصرف النظر عما يكون المعري قد استحضره في ذهنه لحظة إنشائه الخطاب.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول) للتعبير عن غرضه فيها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 54.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل المبني للمجهول (مل) المسند إلى نائب الفاعل

(المقام) الذي ناب مناب الفاعل وهو المعري، إذ التقدير: ملئت المقام، والقرينة الدالة على

صحة هذا التقدير إسناد الفعل (أعاشر) إلى ضمير المتكلم المفرد الذي يحيل على المعري.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التعبير المستفاد من الفعل (هل) على

وجه الخصوص، وهو يعبر عن حالة نفسية متردية، وحسبه أن ضاق به المقام. وضيق

المقام يعني ضيق الصدر المتأتي من فساد الأخلاق والقيم، كما قال أحد الشعراء:¹

وكنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَدَاحَ لَتَائِيَّ * مُتَّ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضْيِيقُ

غير أن الشاعر وجد الحل في أن "تيمم أخرى" حسب تعبيره، في حين أن المعري

ظل أسير همومه التي لا تكاد تتقضي.

وهذا يعني أن الشاعر لم يعد قادرا على مخالطة الناس، وأدّى له أن يخالطهم، وقد

رأى منهم ما هو حريّ بأن يزيده منهم بعدا. فقد دب الفساد في أوصال الحياة بفساد الأمراء

الذين أمروا بغير ما كان ينبغي أن يأمرؤا به من إصلاح الناس وتوجيههم الوجهة الصحيحة

في حياتهم.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو ذو شقين: شق منه يتعلق بالشاعر نفسه، فهو يجد في التعبير

عما يضيق به صدره راحة ومتنفسا. وشق يتعلق بالمخاطب فهو إزاء هذه الحال مدعوّ إلى

أن يتضامن مع الشاعر بأن يشاركه فيما يجده في نفسه من الهموم والآلام. وليس هذا

فحسب، ولكن عليه أيضا أن يفت إلى ما حوله ليعرف ما عليه حياة الناس حاكِمين

ومحكومين، ليحترز من شر الأشرار، ويفيد من خير الأخيار، وليسهم في إصلاح ما أفسده

غيره بقدر ما تتسع له طاقته وتسمح به مؤهلاته، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

¹ - بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، ج4، ص134.

اللزومية 1504:1

كَفَى حُزْنَ نَارِ حَيْلِ الْقَوْمِ ذِي وَلِيٍّ* تَذِيرِي وَنَ ظَالِمُ بْنُ
تَبَذُّوا أَخِيْمَهُمْ فَوَوْقَاهُ حِرْواً* وَ زَنِ لَمْكَ لِلتَّبَنِّي
يُطْفَحُ رَاحَةً بِالْيُوسِ لِقْلِي* التَّذَرُّخِ دُوْلَ مِنْ لَدُنِّي

وإيراد هذه الأبيات يحتم علينا أن نوضح أن الفعل التعبيري بطبيعته في كثير من الحالات، يصعب قصره على كلمة واحدة أو فعل واحد يستخلص منه، فقد يستخلص من سلسلة من الكلمات أو الجمل أو الأبيات كما هي الحال هنا. وذلك هو السبب في عدم اكتفائنا بالعبارة (كفى حزنا رحيل القوم عني) على ما تتطوي عليه من طاقة تعبيرية يحسها المتأمل في غير عناء، وإنما يتسع مجال الفعل ليشمل الأبيات كلها. وعلى ما بين الكلمات من التفاوت في الشحنة التعبيرية فإنها تبقى حال تضامنها فيما بينها، أبلغ وأشد وقعا في النفس.

بعد هذا التوضيح نرجع إلى ما دأبنا عليه:

أ - فعل القول:

كفى حزنا رحيل القوم عني

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد في (ذِي). غير أن هذا الضمير لا يحيلنا على متكلم بعينه، وإنما الذي يحيل عليه هو السياق الخارجي، فهو الذي يرينا أن ذلك المتكلم هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو من قدر له أن يتلقى الخطاب وإن لم يكن مقصودا، ذلك لأن الأفعال التعبيرية عادة ما يكون المخاطب فيها هو الذات، فذات المتكلم هي المخاطبة بالفعل بقدر ما هو تعبير عنها وعن هواجسها ومكنوناتها وانفعالاتها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 514 إلى 519.

الفصل الثاني

وضمير المخاطب (أنت) يحيل على (سيل المنون) إغراء له على المضي فيما هو فيه من اجتثاث المخلوقات وإنهاء وجودها في الحياة.

وفي مخاطبة الشاعر السيل المنون مخاطبة لنفسه إرضاء لها واستجابة لداعي الحزن والألم من المصير المشتت. المخاطب الذي هو كل من قُدِّرَ له أن يتلقى الخطاب وفي المقدمة أهل زمان الشاعر، فهم المعنيون قبل غيرهم بحكم واقع الحال.

- العبارة: وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول) للتعبير عن غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (كفى) المسند إلى فاعله (رحيل القوم).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التعبير، التعبير عما يجيش في النفس ويضطرب فيها جراء رحيل القوم الذي أورثه شعورا دفيناً بالغرابة وضيق الصدر بالحياة على رحابتها فقد غمر الحزن فؤاده وعكر عليه صفو حياته. فإذا هو يائس من البقاء منهد، وما بقاء المرء في حياة فقد فيها ما كان يشده إليها، ويجد في هذا الشد متعة ولذة وانسراح صدر وحافزا على الآمال اللائحة في أفق المستقبل القريب والبعيد.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو فعل التنفيس بالنسبة للمتكلم، فهو يجد في التعبير عن مكنوناته وانفعالاته ما يريحه وينفس عنه كربيه وهمه وغمه. أما بالنسبة للمخاطب وإن لم يكن معنيا بالخطاب في المقام الأول - فإنه يجد نفسه بحكم إنسانيته محمولا على التضامن مع الشاعر، فهو يحزن لحزنه، ويتألم لألمه؟، وهو أمر طبيعي في البشر إلا من شذ منهم، وتكون الحاجة إلى هذا التضامن الوجداني أشد إذا ما تعلق الأمر بالأقارب وذوي الصلات. ومن أوجه التأثير بالقول الاعتبار بالموت وبمن بقي على قيد الحياة توخزه أنات وحسرات رحيل الأحبة.

فعل تعبيرى مستفاد من (اسم الفعل):

اللزومية 15:1

دُنْيَاكُمَ أَوِيَّةً هَلَاوُزُبُ ***شَيَّ، سَمَاوِيَّةً وَأَلْبِي
لُفَّ لَهَا جُلُّ مَا يُفِيدُ بِهَا ***نَ فَازَ فِيهَا نَطْعَامُ وَالْبَاءُ

ونلفت إلى أن محل النظر هو البيت الثاني، وإنما أوردنا البيت الأول لارتباطه به.

أ - فعل القول:

أَفَّ لَهَا جُلُّ مَا يَفِيدُ بِهَا ***من فَازَ فِيهَا نَطْعَامُ وَالْبَاءُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في اسم الفعل المضارع (أَفَّ) الذي هو بمعنى (أتضجر). غير أن هذا الضمير لا يحيل على محال عليه معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي الذي هو كفيل بأن يرينا أن المحال عليه هو المعري.

- المخاطب: وهو من يكون المعري قد استحضر في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب أنه يخاطبه. وذلك المخاطب لا يعدو أن يكون أهل زمان الشاعر، فهم المعنيون بالخطاب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لكل من قدر له أن يتلقاه، قصد الشاعر أم لم يقصدوا إذا ما توسعنا في (فعل القول) ورجعنا إلى البيت الأول وجدنا أن المخاطب هو من يحيل عليه ضمير المخاطب في (دنياك)، غير أن المحال عليه بهذا الضمير يبقى خاضعا للاجتهاد، وقد أفضى بنا اجتهادنا إلى ما ذكرنا.

وانطلاقا من فعل التعبير الذي لا يعد فيه المخاطب الآخر عند المتكلم غرضا مستهدفا بالمخاطب، نرجح أن يكون الشاعر قد خاطب نفسه بما قال، فهو يحس بحكم ما هو فيه من ضيق الصدر بالواقع، أنه مدفوع إلى القول بباعث لا يقوى على رده.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 55.

الفصل الثاني

وعلى هذا الأساس يمكن فهم ضمير المخاطب في (دنياك) على أنه من باب التجريد كما ذكرنا من قبل، والخطاب على سبيل التجريد هو خطاب للنفس في حقيقة الأمر.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو اسم الفعل المضارع (أف) الذي هو بمعنى (أتضجر) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعبير، التعبير عن ضيق صدر الشاعر الذي عبر عنه اسم الفعل (أف) الذي هو بمعنى (أتضجر)، والتضجر من المعاني النفسية وهو ضيق الصدر بالهم والغم.¹

والمقصود هنا ضيق صدر الشاعر بالدنيا وعدم القدرة على احتمال تكاليفها وهمومها.

د- فعل التأثير بالقول: وهو بالنسبة للشاعر يتمثل في التنفيس، فهو إذ يعبر عما يضيّق به صدره يكون قد وجد في هذا التعبير راحة ومنتفساً، أما بالنسبة للآخر فالمتوقع منه التضامن مع الشاعر فيما هو فيه فضلاً عن إفادته من تجربته في الحياة، وهي تجربة تقول بلسان الحال لا المقال: إنما اللبيب من لم يجعل للدنيا على نفسه سلطاناً.

اللزومية 176:2

آه لضعف في! كيف بي هابطاً *** في الوادِ هُأرُ تَقِيّاً في العقابِ

أ- فعل القول:

آه لضعفي !

¹ - ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959، ج3، مادة (ض. ج. ر)، ص 532-533.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 169.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- **المتكلم:** وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في اسم الفعل المضارع (آه) الذي هو بمعنى (أتوجع)، وياء المتكلم في (بي)، غير أن هذا الضمير لا يدل على محال عليه معين بذاته، وإنما يلتبس التعيين من السياق الخارجي الذي يدل على أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- **المخاطب:** إذا كان الفعل هنا أقرب إلى التعبير - وهو كذلك - فإن المعني بالخطاب في المقام الأول هو الشاعر ذاته، لأنه يجد في التعبير عما يعانیه في قرارة نفسه متنفسا ثم لا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب إلى الآخر قصد الشاعر أم لم يقصد، وذلك الآخر غير محال عليه بظاهر لفظ (فعل القول)، بيد أن التخمين يبدو كافيا لأن يقودنا إلى أن ذلك المخاطب هو أهل زمان الشاعر، فإنهم المعنيون بالخطاب قبل غيرهم.

- **العبرة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبرة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2 - **فعل الإسناد (المحمول):** وهو اسم الفعل (آه) الذي أغنى عن فعله المضارع (أتوجع) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التعبير، التعبير عن الذات وما تنطوي عليه من مشاعر الألم والخوف من المصير المجهول الذي هو سر مصون استأثر بعلمه رب الأرباب، ويا لها من حسرة إن كان ذلك المصير هو الهبوط في قعر جهنم، وما أدراك ما جهنم!.

د - **فعل التأثير بالقول:** وهو بالنسبة للشاعر فعل التتفيس، وأما بالنسبة للآخر فيتمثل فعل التأثير بالقول في التضامن مع الشاعر وجدانيا، واستشعاره أنه ليس بمنأى عن ذلك الهاجس الذي ألم الشاعر وعكر عليه صفو حياته. ثم ماذا بعد؟.

الفصل الثاني

المطلوب بعد ذلك توطين النفس على احتمال الألم والخوف والقلق من المصير، واغتنام ما يتاح من الفرص في العمل الصالح وإشاعة الخير والفضيلة بين الناس ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللزومية 1235:1

وَفِيهَا وَوَأَهْلًا لِدَيْلِ الْمَذُونِ *** كَجَرَّ يَوْمًا بِأَحْمَالِهَا

فقد جمع الشاعر بين الإغراء والتعجب، وكلاهما له بعد نفسي على ما سنوضح. لذلك فنحن إزاء جملتين:

الأولى:

أ - فعل القول: فويها

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر وجوبا في اسم فعل الأمر (ويها).²

وضمير المخاطب (أنت) يحيل على (سيل المنون) إغراء له على المضي فيما هو فيه من اجتثاث المخلوقات وإنهاء وجودها في الحياة.

وفي مخاطبة الشاعر السيل المنون مخاطبة لنفسه إرضاء لها واستجابة لداعي الحزن والألم من المصير المحتوم، وثمة المخاطب الذي هو كل من قدر له أن يتلقى الخطاب وفي المقدمة أهل زمان الشاعر، فهم المعنيون قبل غيرهم بحكم واقع الحال.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 289-290.

² - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج4، ص 144-145.

و: إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، ص 457.

الفصل الثاني

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو اسم الفعل (ويها) الذي أغنى عن فعله. وعلى من يرى أنه صوت منقول إلى باب المصدر - وهو باق على مصدريته وليس باسم فعل -¹ يكون المسند هو الفعل المضمر الذي يقدر بما يتسق مع السياق، والغرض الذي سيق له الكلام، من نحو: امض فيما أنت فيه ماض أيها السيل يقال ذلك لسيل المنون إغراءً له بالإفناء. والمسند إليه على هذا التقدير هو ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الأمر (امض) وجوبا.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التعبير، التعبير عن نفسية مهتزة مضطربة، متأرجحة بين الرزوح تحت أعباء الحياة الجسام، والخوف والقلق من المصير المحتوم، فكأنني به قد قال: ويها أيها السيل، عليك ببني الإنسان لِخَضَاءِ هُمْ واستأصل شَفَّهُ م كما فعلت من قبل ولا تزال. فذلك ديدنك:²

وما الأرضُ إلا مثلاً الرزق تَبَدَّ غي *** فتأكلُ من هذا الأنهار تشربُ

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو في شقه المتعلق بالمتكلم لا يعدو أن يكون هو التعبير عما يضطرب في النفس من الهواجس والمخاوف من المصير الذي يبقى سرا استأثر به خالقنا. أما ما يتعلق بالمخاطب فالمنتظر منه أن يتضامن مع الشاعر وجدانيا فيما هو فيه وأن يعتبر بمن أتى عليه سيل المنون من الأقوام، وبمن هو آت عليه إن أجلا وإن عاجلا، سنة الله في الخليقة ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.

¹ - ينظر: الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، تقديم وتحشية وفهرست إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ج3، ص 166.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص82.

الجملة الثانية:

أ - فعل القول:

واها لسيل المنون

ب - الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) المستتر في اسم الفاعل (واها) الذي هو بمعنى (أتوجع). غير أن هذا الضمير لا يحيل على معين بذاته، وإنما الذي يعين المحال عليه هو السياق الخارجي الذي يرينا أن المحال عليه هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو كل من قدر له أن يتلقى الخطاب ابتداء من أهل زمان الشاعر، فإنهم المعنيون قبل غيرهم.

والحق أن الخطاب في مقامه الأول موجه إلى الذات بقدر ما هو في الوقت ذاته تعبير عن هذه الذات ومكوناتها، وهذا يعني أن المخاطب المحال عليه في الأفعال التعبيرية ليس مقصودا ولا هو بالمهم فيها.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو اسم الفعل (واها) الذي أغنى عن فعله (أتوجع) وناب منابه، المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعبير، التعبير عن مكونات النفس وانفعالاتها وما يضطرب فيها من الهواجس والوساوس والمخاوف من المصير المرتقب.

د - فعل التأثير بالقول: وهو شقان: منه ما يتعلق بالمتكلم ومنه ما يتعلق بالمخاطب. أما ما يتعلق بالمتكلم فهو التنفيس عن الذات ونفث ما يضيق به الصدر وأما بالنسبة للمخاطب فإن

الفصل الثاني

فعل التأثير يتجلى في هذا الإحساس الذي يحده في نفسه تجاه المتكلم وبتأثير منه ثم هو يتجلى كذلك في الاعتبار بحكمة الله في الموت والحياة.

- فعل تعبري مستفاد من لفظ أو فعل (تعجب):

الزومية 16:1

أ- فعل القول:

عَجَبًا لِلْقَضَاءِ تَمَّ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ تَبَدُّلِ الْحُومَاءِ

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر وجوبا في الفعل (أعجب) المحذوف والذي أغنى عنه وناب منابه مصدره (عجبا) المنصوب، وهذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته، وإنما الذي يرينا المحال عليه بهذا الضمير هو السياق الخارجي الذي أرانا أن المحال عليه هو المعري.

- المخاطب: لا يوجد من ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على المخاطب، ولكننا نقدر أن المخاطب هو أهل زمان الشاعر، لأنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم، ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم فيشتمل كل من قو له أن يتلقاه وإن لم يقصده الشاعر.

وقد يكون المعري استحضر في ذهنه لحظة الإنشاء مخاطبا بعينه إلا أن ذلك لا يعنينا في شيء إذ لا عبرة بما يطويه المتكلم في نفسه إذا لم يكن له من ظاهر لفظ (فعل القول)، وما يكتنفه من القرائن والملابسات دليل عليه. والراجح أن المخاطب المعني في المقام الأول هو الشاعر ذاته، فكأنني به يخاطب نفسه إرضاء لها لباعث داخلي اضطرب في النفس ثم نفثته فعلا تعبيريا.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 56-59.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أعجب) المحذوف والذي أغنى عنه وناب منابه مصدره (عجبا) والمسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا إذ التقدير: أعجب عجباً للقضاء.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعجب. محلّ التعجب فعل القضاء في الإنسان الحازم وحمله على أن يوطن نفسه للقبول بالمقضي به، المعهود في الحازم أنه صاحب الأمر والنهي الذي ينقاد إليه الناس صاغرين مذعنين ثقة منهم بحزمه وأهليته، إلا أنه بدالليوم عاجزاً عن أن يرد عن نفسه ما قضت به الأقضية، وأن قصارى ما يسعفه به حزمه الإقرار بما هو كائن وتوطين النفس على الاحتمال.

والبادي أن الأهم عند الشاعر التعبير عما اضطرب في نفسه من غرابة وعظمة ما أحس ورأى من فعل القضاء وتغيير الحال بالإنسان من حاكم إلى محكوم، وقاض إلى مقضي عليه، ومنقاد في صغار وذلة وانكسار بعد ما كان الأمر الناهي ينقاد إليه غيره.

واللافت في هذا هو أن الشاعر زواج بين الفعل التعبيري والقضية التي انطوى عليها، بل إن المضمون القضوي الذي شده إليه ولد في نفسه إحساساً غريباً، وجد سبيله إلى الظهور في الفعل التعبيري الذي صار غرضاً لدى الشاعر لينفس به عن نفسه ويريحها مما يضطرب فيها.

د- فعل التأثير بالقول: وهو فعل مزدوج بعضه يتعلق بذات الشاعر، باعتبار أنه يجد في التعبير عما يضطرب في نفسه ما يريحه ويشرح صدره، وبعضه الآخر يتعلق بالمخاطب، فهو يجد نفسه إزاء (فعل القول) والتفاعل معه محمولا على أن يتضامن وجدانياً مع الشاعر، وليس هذا فقط، ولكن يضاف إليه الاعتبار بالمضمون القضوي وما انطوى عليه (فعل القول)، وليفيد أي المخاطب مما جرى ويجري في الحياة وفق سنن نافذة لا محيد عنها.

اللزومية 29:1

أ - فعل القول: مَطْطِيبَ الْمَوْتِ لَشِدِّ إِبْنِهِ *** إِنَّ صَحَّ لِلْأَمْوَاتِ وَشَكُّ الْقَاءِ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، ويحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو الذات، ذات المتكلم في المقام الأول، فهو يخاطب نفسه بحكم أن الفعل

الإنجازي هنا هو أقرب إلى الفعل التعبيري منه إلى الأفعال الحاملة لقضايا.

ولا مانع بعد ذلك من التكهن بوجود مخاطب. والمتبادر إلى الذهن أن ذلك المخاطب

هو أهل زمان الشاعر، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم ولا مانع من أن

يتسع الخطاب ليشمل غيرهم ممن قدر له أن يتلقى الخطاب وإن لم يقصد إليه الشاعر. وقد

يكون الشاعر استحضر في ذهنه لحظة الإنشاء مخاطبا بعينه إلا أن ذلك لا يعنينا طالما لم

نجد من ظاهر لفظ (فعل القول) وما يكتنفه من القرائن، ما يحيل عليه.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن

غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل التعجب (أطيب) المسند إلى فاعله المستتر فيه

والذي يعود على (ما) الواقعة في محل رفع مبتدأ، وهي نكرة تامة بمعنى (شيء) على

مذهب سيبويه.²

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعبير، التعبير عما انفلتت به نفس

الشاعر من التفكير في الموت، وما ينتهي إليه الإنسان بعد أن تفارق روحه جسده وينتقل

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 67.

² - ينظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، مرجع سابق، ج 1، ص 122.
و: الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، المرجع السابق، ص 233.

الفصل الثاني

إلى عالم يلتقي فيه الناس مرة أخرى على ما قيل، وكأنني بالمعري يشك في حصول هذا اللقاء، وهو شك يترجمه قوله: "إن صح".

وواضح أن الغلبة -على ما هو باد- للفعل التعبيري في البيت لا للمضمون القضوي، وإنما المضمون القضوي انتهى إليه عرضاً من خلال تعبيره عن فلسفة في الحياة، كانت لها آثار لا تمحي في نفس الشاعر. فصار الموت مما تهواه النفس وتميل إليه، لا لأنه مرغوب فيه ابتداءً وإنما للضييق بالحياة وعدم القدرة على احتمال تكاليفها.

فقد كان ولا يزال اضطهاد الحياة للإنسان وإعنتها إياه وراء تمنى الموت والرغبة فيه. يبدو ذلك جلياً في أشعار المعري على أنه جزء من فلسفته في الحياة والموت، ومن ذلك قوله:¹

فلا تَطْلُبْ نَيْلًا وَإِنْ كُنْتَ نَاشِدًا *** فَلْنِيَّ . عَنْهَا بِالْأَخْـمَرِ بُلًّا
وقوله:²

فَلِإِ الْمَوْتِ رَاحَةُ هَبْـؤِـزِي *** ظَدَّرَ بِإُجْدَاءٍ عِيَاءٍ
وقوله:³

أَنْـحُكَ مَغْبًى يَلْمُ أَدْفَرٍ *** لَطَّلَهُ الْخُطُوبُ رَوْحُ قَتَّةٍ .
وقوله:⁴

ضَجَعَتِ الْمَوْتَ رَقْدَةً يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا *** جَسْمُ فِيهَا، وَالْعَيْشُ مِثْلُ السَّهَادِ

د - فعل التأثير بالقول: وهو شقان: منه ما يتعلق بالشاعر ذاته، فهو يجد في التعبير عما يختلج في نفسه راحة ومتنفساً. ومنه ما يتعلق بالمخاطب الآخر الذي لا شك أنه يجد نفسه إزاء حال الشاعر السيئة متضامناً معه راثياً لحاله مشفقاً عليه مما هو فيه، ثم هو أي

1 - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص47.

2 - المصدر نفسه، ص51.

3 - المصدر نفسه، ج2، ص557.

4 - أبو العلاء المعري، سقط الزند، مرجع سابق، ص8.

الفصل الثاني

المخاطب واجد لا محالة في الحياة والموت ما يحمله على الاعتبار والرجوع إلى الجادة ومحاسبة النفس وحملها على ما يزينها والنأي بها عما يشينها ومن ثم التأثير في المحيط بمثل هذا الخلق القويم.

اللزومية 144:¹

أ - فعل القول:

إذا اصفرَّ الفتى لفراقِ روحٍ *** ذَهَّأُنْ بِالطَّعَنِكِ وَالشُّؤْبِ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو المعري الذي أحال عليه السياق الخارجي، على اعتبار أن فعل التعجب

هو أقرب إلى الفعل التعبيري منه إلى أفعال القضايا، فكأنني بالمتكلم إذ هو يعبر عما يختلج في نفسه، يخاطب هذه النفس في الوقت ذاته، فإرضائها هو غرضه في المقام الأول.

وتمّت المخاطب الآخر الذي هو أهل زمان الشاعر فيما نرجح، لأنهم المعنيون قبل غيرهم بالخطاب. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر له أن يتلقاه وإن لم يكن مقصودا.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 148.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل التعجب (أهون) المسند إلى فاعله (التصعلك) المجرور بحرف الجر الزائد.¹

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعجب، التعجب من الفقر والشحوب إذا ما حل الأجل وأوشكت الروح على مفارقة الجسد. إن الفقر والشحوب ليبدوان هينين إذا ما قيسا بما هو أعظم. وإنه لمثير حقا أن نأبه لمتل هذه المقدمات ونقل من شأن ما يعقبا وهو أبلغ وأعظم وأحق بالاهتمام.

د- فعل التأثير بالقول: وهو ذو شقين: أحدهما يتعلق بالمتكلم نفسه من حيث هو يجد في التعبير عما يختلج في نفسه ويضيق به صدره راحة ومتنفسا. وأما الشق الثاني فيتعلق بالمخاطب الآخر الذي يحس من نفسه - وقد تلقى الخطاب وتفاعل معه على نحو ما - أنه مدفوع بباعث داخلي إلى أن يتضامن وجدانيا مع الشاعر، راثيا لحاله، مشفقا عليه لما هو فيه من هم وقلق، للمصير المحتوم الذي يبدو كل شيء سواه هينا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المتوقع من المخاطب أن يفيد من قول الشاعر بأن يعد نفسه لما هو أهم وأن يجنبها التعلق بسفاسف الأمور وما لا غناءَ فيه، ومن تمام الفائدة أن يأخذ بالأهم فالمهم فالأقل أهمية في حياته كلها، وأن يضع كل شيء في موضعه الذي هو به أليق، فإذا هو ما فعل ذلك يكون قد أفاد من قول الشاعر ما يرجوه ويسعى إليه كل عاقل.

¹ - ينظر: جمال الدين بن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعرايب، تحقيق وتعليق مازن المبارك ومحمد حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 109.
و: عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، دار صادر، بيروت، ج3، ص 645، 647، 648.

- فعل تعبري مستفاد من لفظ (الترحيب):

الْوَمِيَّة 154:1

أ - فعل القول:

أَهْلًا بِغَائِلَةِ الرَّدَى وَإِيَّابِهَا *** كَيْمَا تُرْتَّ نِي فَضْلُ ثِيَابِهَا

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (ياء المتكلم) في (تسترنني)، غير أن هذا الضمير لا يحيل على محال عليه معين، لذلك نعول على السياق الخارجي الذي يرينا أن ذلك المتكلم المفرد هو المعري.

- المخاطب: هو من يحيل عليه ضمير المخاطب (ت) المتصل بفعله (حل)، وهما أي الفعل وفاعله محذوفان معا. والتقدير: حلت أهلا أيها الموت، أو أيتها الغائلة.

والملاحظ في البيت أن الشاعر حذف العامل في المعمول (أهلا) وهو الفعل (حل) مسندا إلى فاعله (تاء الفاعل)، وأنزل (غائلة الردى) بعد حذف الضمير المتصل (ت) الذي يحيل عليها، منزلة الغائب لنكته بلاغية، إذ كثيرا ما يُنزل المخاطب منزلة الغائب في أفعال الترحيب اعتقادا من المتكلم أن ذلك أبلغ في الترحيب، كأن يقال مثلا: أهلا بالأخ الذي طالما انتظرناه.

وإذن فالمخاطب المُرَّحَّب به هو غائلة الردى، أي الموت، من باب إنزال الشاعر الموت منزلة الغائب الذي حلَّ بعد شوق وطول انتظار. لذلك استعملنا للمحال عليه وهو غير عاقله (ن) التي هي للعاقل مجازا. وهناك المخاطب الذي هو من يتلقى الخطاب ابتداء بأهل زمان الشاعر، فإنهم المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 153، 154.

الفصل الثاني

والحق أن المخاطب في مثل هذه الأفعال، أفعال الترحيب، هو المتكلم نفسه، ما دام الفعل الترحيبي أقرب إلى الفعل التعبيري منه إلى أفعال القضايا. والشاعر هنا يعبر عن رغبة في الموت، وهذه الرغبة تعبر عن ضيقه بالحياة وعدم قدرته على احتمال تكاليفها وضروب الأذى فيها.

والقول بأن الشاعر يخاطب نفسه يعني أن المخاطب - عدا هذه النفس التي ذكرنا أنها مَعْنِيَّةٌ بالخطاب في الأفعال التعبيرية لا يعدو أن يكون ذريعة يتذرّع بها الشاعر للتعبير عن الذات التي هي مخاطبةٌ في المقام الأول فهو بهذا المعنى مخاطبٌ ومخاطبٌ في آن.

وقد يستعصي علينا أن نستوعب كون الذات مخاطبةٌ ومخاطبةٌ في ذات الوقت، إلا أن هذا الاستعصاء لا يتجاوز حدود المنطق، لكنه لا يثبت في ميزان التعبير الشعري الذي قوامه الخيال والعاطفة، ومداره على الذات التي تستعصي بهواجسها، وما يختلج فيها، على أن تقع تحت طائلة المنطق ومقتضياته. فالمسألة في مثل هذه الحال، حال التعبير عن الذات هي أشبه بمن يخاطب نفسه في العمل المسرحي، وغالبا ما يحدث ذلك عند المسرحي في حالات القلق والاضطراب النفسي. فكأنني بالشاعر - والحال هي هذه - يريد أن يقنع نفسه برغبته في الموت وإغرائها به وإذن فالغرض من الفعل التعبيري في البيت إرضاء هذه النفس أولا، ولا عليه بعد ذلك ألاّ رضي أطرافاً أخرى.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضمّر (حل) المسند إلى فاعله (أنت) الذي هو ضمير متصل، إذ التقدير: حللت أهلا أيتها الغائلة.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعبير، التعبير عن الرغبة في الموت والتشوّق إليه، حتى وكأنه ضيف حل بالشاعر بعد شوق وطول انتظار، فهو لذلك يلقاه بأبلغ عبارات الترحيب والترحيب بالموت وإبداء الرغبة فيه إلى هذا الحد يعني أن الشاعر مأزوم نفسياً. ومرد أزمته إلى ضيقه بالحياة ونفاد صبره على احتمال تكاليفها. ونظرة الشاعر السلبية إلى الحياة ليست فعلاً عارضاً يزول بزوال لحظته، وإنما هي فعل يصدر عن فلسفة ظلت تنمو مع حياة الشاعر وإلى أن أفل نجمه. ولا يعنينا في هذا المقام أن نتحدث عن مصادر تلك الفلسفة.

د- فعل التأثير بالقول: وله جانبان: جانب يتعلق بالشاعر نفسه من حيث هو يجد في التعبير عن دخيلة فسه وما يختلج فيها من همٍّ وغمٍّ راحقاً تُدَفِّقُ أوجانباً يتعلق بالآخر الذي نتوقع منه، إذا هو ما تفاعل بإيجابية مع الخطاب، أن يتضامن مع الشاعر وجدانياً بأن يتألم لألمه وأن يرثي لحاله ويشفق عليه لما هو فيه من همٍّ وغمٍّ جراء ما جنته عليه الحياة التي ما فتئ يخاطبها في لزومياته بمثل قوله:

أخوك معذب يا أم دفر *** أظلمته الخطوب وأرهقته

ومن تمام الفائدة أن يفيد ذلك المخاطبُ الآخر من فلسفة المعري وتجربته في الحياة، بأن يصبر على أذاها ويغتتم بالعمل الصالح ما يتاح له فيها من الحظوظ، وليجعل من حظه فيها عدوّزاداً ليوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

اللزومية 936:1

أ- فعل القول:

مرحّباً بالموت فالعيشُ نجى *** وهام المرء كالفجر سدّ ط

1- أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 48-49.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المتصل بفعله (صادف) أو (لقي) أو (أتى) المضمّر، إذ التقدير: صادفت أو أتيت أو لقيت مرحباً، أي رحباً وسعة، والرحب والسعة ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الرُّهُوسُ مَلَبَرٌ حَبِطَتْ تُفُودُهُمْ فَلَمَّا ذُفِفَتْ مَنَافِقُهُمْ...﴾ الآية. التوبة/118. أي اتسعت وانداحت.¹

وذلك الذي يحيل عليه الضمير المتصل بالفعل المضمّر (أتيت) أو (لقيت) هو الموت المدلول عليه عقِب ذلك بظاهر اللفظ. والترحيب بالموت مجاز من باب إنزال الموت منزلة الضيف المطلوب - في عرف العرب الاحتفاء⁴ به غاية الاحتفاء، أو منزلة أخٍ أو صديقٍ بعد شوق وطول انتظار. إذن فالموت بغية المتكلم ومتمدّاه.

وهثَّ⁵ المخاطب الذي هو كل من قدر له أن يتلقى الخطاب ابتداء بأهل زمان الشاعر، فإنهم -بحكم واقع الحال- المعنيون قبل غيرهم. ثم لا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل غيرهم، قصد الشاعر أم لم يقصد.

والحق أن الشاعر هنا أقرب إلى من يخاطب نفسه منه إلى مخاطبة الآخر، ما دام الغرض هو التعبير عن دخيلة نفسه وما يختلج فيها من أوصاب الحياة وهمومها. تلك التي جعلت من الموت غاية يرغب فيها الشاعر ولو لا الحوائل لسعى إلى غايته تلك من دونما تردد أو تَوَانٍ.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

¹ - ينظر: ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، مادة (ر ح ب)، ص 482-483.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضمر (صادف) أو (أتى) أو (لقي) المسند إلى فاعله المخاطب (ت).

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الترحيب، الذي هو فعل تعبيرى، التعبير عن رغبة في الموت، وهي رغبة أملاها اضطهاد الحياة للشاعر وعمَّ قدرته على احتمال تكاليفها. ولهذا الاضطهاد دليل من ظاهر اللفظ وهو قوله: "فالعيش دجى أي ذكِّومُ كُف، وقد وصف ذلك العيش بأنه (دجى) أي ظلمة، لما في الدجى من السلبية، فهو مظنة الخوف وضيق الصدر وانقباض النفس وتوقع الأذى غيلةً ومن حيث لا يُعلم له مصدر.

د- فعل التأثير بالقول: وله جانبان: جانب يتعلق بالشاعر ذاته، فهو يتلقى شيئاً من تأثير فعل القول من حيث إنه يجد في التعبير عن دخيلة نفسه وما يختلج فيها راحةً ومتنفساً.

وجانب يتعلق بالمخاطب الآخر الذي يحس من نفسه -وقد تلقى الخطاب وتفاعل معه على نحو ما- أنه محمول بدافع داخلي على أن يتضامن مع الشاعر بالثناء لحاله وإشفاقه عليه، لما هو فيه مرهمٌ غمٌ. يضاف إلى ذلك أننا نتوقع من المخاطب -وكلنا ذلك المخاطب- أن يفيد من الخطاب بأن يوطِّن نفسه على احتمال الحياة وأن يغتتم ما يتاح له فيها من الحظوظ في العمل الصالح وإشاعة الفضائل بين الناس، وبذل ما تتسع له الطاقة في الإضافة التي بها ترتقي الحياة.

فالمأمول في المخاطب هو هذا، قصد الشاعر أم لم يقصد. ولا علينا أن ينحو المخاطب منحى غير الذي نتوقع ونأمل.

- فعل تعبري مستفاد من لفظ (التهنئة):

اللزومية 1412:1

أ - فعل القول:

فَهِئًا لِمَنْ مَضَى *** قَبْلَ أَنْ يَجِيَّ الْقَلْبُ
مَدُّ تَصَبُّ جِسْمِهِ الْكُلُّو *** مٌ وَلَا بَيْنَهُ كَلٌّ.

ف(فعل القول) يتكون من البيتين معا، لصلة الثاني بالأول، إذ الجملة الفعلية (لم) تصب جسمه الكلوم) في موضع نصب على الحال، وصاحب الحال هو (من) الموصولية في البيت الأول، والتي هي مرجع ضمير الغائب (ه) في قوله: "جسمه ... دينه".

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من مضى، ولكنه مخاطب بغير ضمير المخاطب المعتاد في الخطاب، وإنما هو مخاطب بالتأويل، بدليل أن التهنئة موجهة إليه، فهو المعني بها. فكأنني بالشاعر قد قال: "هنيئاً لك أيها الميت، أو يا من أنت على قيد الحياة إذا ما غدوت ميتاً. وذلك على سبيل المجاز، إذ هو في حقيقة الأمر خطاب موجه إلى الحي لئلا يأسى على مَنْ مَضَى من الأهل والرفاق، وليوطن نفسه على احتمال ما هو، يوماً، منتهٍ إلى أوّل من يعنيه الخطاب من الأحياء أهل زمان الشاعر، ثم كل من قدر له أن يتلقاه ولو بعد حين، وإن لم يقصده الشاعر. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن للشاعر نصيباً في هذا الخطاب على ما سنوضحه في التأثير بالقول.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 431، 432، 433.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول)** هو الفعل المتروك إظهار¹ ه الذي أغنت عنه الصفة (هنيئاً) التي أجريت مجرى المصدر المدعو² به ونابت منابه، والتقدير: ثبت ذلك له هنيئاً، أو هنأه ذلك هنيئاً.¹

وأجاز بعضهم في (هنيئاً) المصدرية² وبعضهم الحالية³، وسواء أكان (هنيئاً) صفة أجريت مجرى المصدر المدعو به أو مصدراً، أو حالاً، فإن الثابت في ذلك كله هو أن العامل مضمَر وهو المسند، والمسند إليه في البيت الذي نحن بصدد مضمَر كذلك، والتقدير: ليهنيئ هنيئاً لمن مضى ما انتهى إليه، أو موته تلك. فبهذا التقدير يكون فاعل الفعل (يهنيئ) المقدر هو الاسم الموصول (ما) أو (موته).⁴

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التهئة المستفاد من الفعل المضمَر (هَ نَ أَّ) (أَوْ يَ نَ أَّ) بلام الدعاء - الذي أغنت عنه الصفة (هنيئاً) التي أجريت مجرى المصدر المَدْعُوُّ به ونابت منابه جملة الفعل المتروك إظهاره مع مَعْمُولِهِ دعائية.⁵ وبذلك يكون (فعل القول) الذي نحن بصدد قد انطوى على فعلين انجازيين: فعل التهئة، وفعل الدعاء كلاهما ليس غرضاً لدى الشاعر بل هما ذريعة تدرّج بها إلى الفعل التعبيري الذي هو الغرض.

¹ - ينظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تعليق وتحشية وفهرست إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2009، ج1، ص 379.

² - ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج9، ص 182.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

و: إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص 442.

⁴ - ينظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، المرجع السابق، ج1، ص 380.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني

وإذا فالفعل الإنجازي هو الفعل التعبيري، الذي هو تعبير عن رغبة الشاعر في الموت، وإلا لما ساع له أن يهنئ به. وأن الرغبة في الموت إنما أملاها اضطهاد الحياة للشاعر ونفاد صبره على تكاليفها وألوان الأذى فيها.

د - فعل التأثير بالقول: وله شقان: أحدهما يتعلق بالشاعر ذاته من حيث إبداءه رغبته في الموت، وهي رغبة تترجمها تهنئة المخاطب، فلولا أن الموت مرغوب فيه لما ساع للشاعر أن يهنئ به غيره، إذ ليس من السائع ولا الوجيه أن يهنئ المرء غيره بما يكرهه لنفسه. وتهنئة الشاعر غيره بالموت يعبر عن نظرتة السلبية إلى الحياة وضيق صدره بها، وهو يجد في هذا التعبير راحة ومتنفسا.

وثاني الشقين يتعلق بالمخاطب الآخر الذي نتوقع أن يتضامن مع الشاعر بأن يتألم لألمه ويرثي لحاله، ويشفق عليه مما هو فيه، إذا هو ما تفاعل مع الخطاب بإيجابية، ثم هو بعد ذلك واجدٌ لا محالة في الخطاب ما يعود عليه بالفائدة، وأي شيء فأيّد للمرء من أن يدرك أن الحياة محفوفة بالمكاره والمزالق، ليتحرز من الوقوع في الأسوأ، وليوطن نفسه للتكيف مع الواقع أملا في تغييره بما هو أفضل بعد فهمه واستيعاب ما أمكن من معطياته وملابساته. ومن الحكمة أن يلهت المرء ما يتاح له من الحظوظ والفرص فيما هو أنفع وأصلح وأبقى. ذلك، إذن كله منتظرٌ من المخاطب، وهو من أثر فعل الخطاب.

الفصل الثالث

نماذج تطبيقية على الأمرات (الطبيات)

أولاً: الأمر

- توطئة

- تطبيق

ثانياً: الذّهي

- توطئة

- تطبيق

ثالثاً: الاستفهام

- توطئة

- تطبيق

رابعاً: الذّداء

- توطئة

- تطبيق

خامساً: التّمزي

- توطئة

- تطبيق

نموذجان تطبيقيان على الوعديّات

نماذج تطبيقية على الأمرات (الطلبات):*

أو لا: الأمر:

توطئة:

وأول أنواع الطلب الأمر: "وهو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام".¹

وله أربع صيغ مشهورة:²

1- فعل الأمر من قبيل الصيغة (افعل) وما جرى مجراها.

2- المضارع المقترن بلام الأمر.

3- اسم فعل الأمر.

4- المصدر النائب عن فعل الأمر.

وقد يعدل بالأمر عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من السياق والقرائن.

والحق أن (الطلبات) أوسع من الأمرات وأشمل، فهي تتسع للأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

تطبيق

مما ورد من أغراض الأمر في اللزوميات الآتي:

- الالتماس:

الْوَمِيَّة 05: ³

بَنِي الدَّهْرَ مَهْلًا رَلَّ مَنَّمْتُ فِعَالَكُمْ *** فَإِنِّي بِنَفْسِي لَا مَحَلَّةَ بَدَلٍ أُ

أ - فعل القول: مهلاً

ب - الفعل القضوي: ويتكون من:

* - أوردنا عند التصنيف أن الطلبات تتسع للأمرات ولغيرها، وإذن فالأمر من مشمولاتها.

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، مرجع سابق، ص 64.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 64، 65.

و: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1988، ص 141.

³ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 47.

1- فعل الإحالة: وينطوي على:

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه ضمير المتكلم في (ذممت)، وفي (فإني)، والمستتر في الفعل (أبدأ). غير أن هذا الفعل لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه، وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه الضمير (واو الجماعة) الذي سُنِدَ إليه الفعل المضمر (امهل). وقد أغنى عن هذا الفعل مصدره (مهلا) وناب منابه. والتقدير: امهلوا مهلا.¹

- **العبارة:** وهي الجملة الفعلية المتكونة من الفعل المضمر وفاعله. وقد أغنى عن المضمر معموله (مهلا).

- **القصد:** وهو توجه المعري بالمخاطب أو (فعل القول) إلى المخاطب، لإبلاغه غرضه فيه.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل المضمر (امهل) المسند إلى فاعله (واو الجماعة).

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل الالتماس، التماس الشاعر من مخاطبيه أن يمهلوه حتى يتبين لهم وجه الصواب فيما أخذوه عليه من إثمهم.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع المخاطب بكون المتكلم على صواب فيما ذهب إليه من ذمّ إياه، وأنه على حال تؤهله إلى الأحقية بالإمهال قبل إصدار الحكم عليه بالصواب أو الخطأ.

الطّوميّة 13: 2

فياسر بي لتدرك المَنايا *** ونحن على السّجّة أَصقله

أ- **فعل القول:**

فياسر بي لتدرك المَنايا

¹ - ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان 1960، ج5، مادة (م هل)، ص359.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 13، 10.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة: وينضوي تحته:

- المتكلم المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: هو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الفعل (ياسر) وجوبا. وهذا الضمير لا يحيل على شخص بعينه معروف لدينا. وعليه فإننا نرجح أن يكون المحال عليه بهذا الضمير أهل عصر الشاعر. فإنهم - بحكم الافتقار إلى القرينة اللفظية الصارفة - المعنيون بالخطاب قبل غيرهم. وقد خاطب الشاعر المجموع بما يخاطب به المفرد ليقينه أن ذلك المفرد جزء لا يتجزأ من المجموع المعني بالخطاب.

- العبارة: هي فعل القول الذي تعد صيغة الأمر (ياسر) فيه مركزية .

- القصد: وهو توجه المعري إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (ياسر) المسند إلى ضمير المخاطب المفرد المستتر (أنت).

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو التماس المتكلم من المخاطب أن يسعفه بالمياسرة، وهي الرفق والأخذ باللين، حتى إذا ما أدركهما الموت معا أدركهما وهما على أحسن حال يتمنّى المرء أن يفارق الحياة عليها.

د - فعل التأثير بالقول: وهو إقناع الشاعر مخاطبه بأهمية للرفق والملاينة وأخذ الغير بالحسنى فإن ذلك يقوي أواصر الأخوة والمحبة التي تقتضيها إنسانية الإنسان وفطرته التي فطر عليها. وهي دعوة لها ما لها من الأثر في حياة الناس، إن قدر لها أن تتجج.

- التسوية

الوهمية 883: ¹

سَلَقُطْبَمَا شَتَّتَ أَوْ طَيَّ غَرَابُ لَنَا *** فَإِنَّ مَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا مِنَ النُّقْطِ

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 14، 15.

أ - فعل القول:

اسقط بما شئت أو طر الخ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه الضمير (نحن) على اعتبار أن المعري هنا يتكلم باسم أبناء جنسه، والسياق الخارجي الذي دلنا على أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: هناك مخاطبان: مخاطب بالمعنى الخاص، محال عليه بالضمير (أنت) المستتر وجوبا في الفعلين (اسقط، طر) والذي يحيلنا على الغراب. وتوجيه الخطاب إلى الغراب على سبيل المجاز.

أما المخاطب الآخر فهو المتلقي الذي يعنيه المعري، وهو أهل زمانه أولاً، ثم كل من قدّر له أن يتلقى الخطاب ولو بعد حين.

- العبارة: هي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر بالخطاب إلى المتلقي، لإبلاغه غرضه فيه.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (أسقط) والفعل (طر) المسندين إلى ضمير المخاطب (أنت) الذي يحيل على الغراب، المستتر وجوبا في الفعل (أسقط) والفعل (طر). وهو مجاز توسل به الشاعر لإبراز حقيقة في عالم الإنسان.

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل التسوية، تسوية الشاعر بين أن يسقط الغراب على الأرض أو يطير في الفضاء. إذ فلا أثر لسقوط الغراب أو طيرانه في حياة الشاعر ومَن إليه من أبناء جنسه "فإنما نحن في الدنيا من السقط" والسقط في اللغة ما لا خير فيه من كل شيء.

وواضح من ذلك أن الشاعر، هنا، ينظر إلى الحياة نظرة سوداوية قاتمة، فهو ينظر إلى كل ما فيها على أنه مجرد سقط لا خير فيه. وتلك هي الحقيقة التي لا تتغير طار الغراب أم وقع.

د - **فعل التأثير بالقول:** والمعتبر في فعل التأثير بالقول ليس هو المخاطب بالمعنى الخاص والذي هو الغراب، كما بينا، لأنه غير مقصود بالخطاب لذاته، وإنما المقصود هو الإنسان الذي يتلقى الخطاب ويتفاعل معه بإيجابية قبولاً أو رفضاً.

وعليه فالشاعر يتوجه بالخطاب إلى المتلقي قصد إقناعه بوجهة نظره في قيمة الوجود الإنساني في هذه الحياة، ليحمله على الزهد فيها، وعدم الاغترار بها إذا هي ما أقبلت وبسطت سلطانها عليه، فلا فرح بالمقبول ولا أسى على المدبر منها. وهو رأي في الحياة ينسجم مع ما عرف عن المعري ووجهته فيها:¹

فِرْ مُجْدٍ فِي مَدَّتِي وَاعْتِقَادِي *** وَجْ بَاكِ وَلَا تَدَمُّ شُدَّ
وَشَبِيهَ صَوْتِ الْغَيِّ إِذَا قِيَيْنَ *** بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ

- الإرشاد:

اللومية 9: 09²

كُفِّ سَوَامَكَ فِي النِّبَا مَيَاسِرَةً *** وَطُرْضَنَ عَنْ قَوَافِي الشَّعْرِ تَكْفُهُ ١

أ - **فعل القول:**

أكفئ سوامك في الدنيا مياسرة

ب - **الفعل القضوي:**

1 - **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** هو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الفعل (أكفئ) وجوبا. وهذا الضمير لا يحيل على شخص معين بذاته. لذلك نرجح أن يكون المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر، وهو من باب مخاطبة المجموع بما يخاطب به المفرد لغرض بلاغي، يتعلق بصلة الفرد بالمجموعة.

¹ - أبو العلاء المعري، سقط الزند، مرجع سابق، ص7.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 50.

- العبارة: وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه المتكلم بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (أكفى) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** هو إرشاد المخاطب إلى ما يعتقد المتكلم أنه الأنفع والأضمن للظفر بالمبتغى. فهو يدعو إلى أن ينفع غيره، ويدله على الكيفية التي بها يتم ذلك النفع.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع المتكلم مخاطبه بأن ما يدعو إليه من أن الأمل في حياته أن يرفق بالآخرين من ذوي الحاجات وأن يعينهم على نوائب الدهر وتكاليف الحياة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وقد توسل المعري في دعوته تلك بهذا المجاز المنطوي على ما اعتاده العرب من (الإكفاء) الذي يعني أن صاحب الإبل يكفى من يراه مستحقاً من إبله لينتفع بلبنها، ووبرها، وأولادها مدة سنة. وهو ضرب من التضامن والتكافل كان معروفاً عندهم.

فالمعري إذاً يرشد مخاطبه إلى فعل الخير وإشاعته بين الناس، سعياً منه إلى توثيق أواصر المحبة بين الأفراد والجماعات. وعلى قدر اقتناع المخاطب بما يدعو غيره إليه يكون حظ الدعوة من النجاح في الحياة.

- **الغبط والتهنئة:**

الوَمِيَّة 1102: ¹

فَلْتَلْبَسِ الْوَحْشُ نَعْمًا لَا حِذَاءَ لَهَا ** يَقِي التَّرَابَ وَلَا لَهَا مَرَجِيلٌ

أ- **فعل القول:**

فلتلبس الوحش نعمى لا حذاء لها

¹ - أبو العلا المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 172، 173.

ب - الفعل القضوي:

1 - الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.
- المخاطب: وهو الوحش. على سبيل المجازة تَمَذَّاهُ آخر غير مدلول عليه بظاهر اللفظ وإنما يستخلص استخلاصاً، وذلك المخاطب هو أهل عصر الشاعر، وكل من قُدِّرَ له أن يتلقى الخطاب ولو بعد حين.
- العبارة: هي فعل القول.
- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضارع (فلتلبس) المقرون بلام الأمر، المسند إلى فاعله (الوحش).

- ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل الغبط والتهنئة، غبط وتهنئة الشاعر للوحش على تلك الحياة التي يحياها. وتوجيه الخطاب إلى الوحش مجاز، ابتغى به الشاعر وصف حال الإنسان في الحياة من حيث هو يَعْشَى نَفْسَهُ بما يشغلها به من الأمور التي هي من مقتضيات الحياة الإنسانية، كحاجة الإنسان إلى حذاء يقيه التراب، وحاجته إلى تسريح الشعر، وَيُلْقِي على هذين كلَّ ما تمليه طبيعة الإنسان، من مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن وما إلى ذلك مما يَكُنُّ عِلَاقَهُ الخاص الذي يميّزه عن عالم الحيوان، وشتان بين العالمين: عالم تقتضيه الغريزة. وعالم خاضع لسلطان العقل الذي به تفكر ونقدر وندبر ووُؤْمَل. عالم لا عناء فيه، وعالم كله شقاء وعناء. وحيثما وجد العقل الفاعل وجد معه العناء، قال المتنبي:¹

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ * وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي أَشْيَقَّ قَلْوَعٍ م

¹ - أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح وفهرست مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ج4، ص124.

كما أقر المعري نفسه بهذا العناء في الكثير من شعره، من ذلك قوله:¹

تَعَبَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا طُ . ***جِبْ إِيَّامِي رَاغِبٍ فِي إِزْدِيَادِ

فحياة الإنسان المَكْلَّةُ المِ تَعَبَةٍ هي التي جعلت المعري يَغْبِطُ الوحش على ما أنعم به الله عليه من حياة وادعة، لا تَكَلُّفٍ فيها.

د - **فعل التأثير بالقول:** إقناع المتلقي بأن الحياة مكلفة ومتعبة وأن ذلك مركز في طبيعتها وفي طبيعة البشر التي خلق عليها، وتزداد كلفتها كلما ألح الإنسان في طلبها وسعى جاهدا في اقتناص متعها ولذاتها وما تشتهيه وتميل إليه نفسه.

وإذا كان الأمر هو هذا فما على الإنسان إلا أن يوطن نفسه ليحتمل تكاليف الحياة ويصبر على ما فيها من ضروب الشقاء.

¹ - أبو العلاء المعري، سقط الزند، المرجع السابق، ص8.

- الإغراء بالفعل:

اللوحيّة 1139: ¹

لِيَذْمُ وَالِدًا وَلَدًا وَيُقْتَلُ *** عَلَيْهِ، فَبُئْسَ عَزْرِي مَا سَعَى لِي

أ - فعل القول:

ليذمم والدا ولد، ويقنت

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: هو الفاعل (ولد). ذلك أن المضارع المقرون بلام الأمر بمنزلة الأمر الصريح إذ التقدير ذمُّ أيها الولد والدك . في مقابل: ليذمم والدا ولد.

وهذا هو المخاطب بالمعنى الخاص المحال عليه بظاهر اللفظ. وهناك المخاطب بالمعنى العام، وهو المتلقي الذي يتاح له أن يتلقى الخطاب، وذلك المخاطب هو أهل زمان الشاعر، ثم الذين يلونهم.

- العبارة: هي فعل القول: ليذمم والدا ولد ويقنت

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضارع المقترن بلام الأمر (ليذمم) المسند إلى فاعله المؤخر (ولد).

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل الإغراء بالفعل وتزيينه في نفس المخاطب (ولد) للإقدام عليه. والتزييم تَلَكُّ من اعتبار الشاعر ذمَّ الولد والدِه أمراً غا

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 212.

الفصل الثالث

طالما كان ذلك الوالد قد جنى على ولده إذ كان سببا في وجوده. وتلك فلسفة المعري في الإنجاب:¹

على الوالدِ جنِّي والولودِ أَنَّهُمْ *** لَآءٌ عَلَى أَمْصَارِهِمْ ذُطَاءٌ

د - فعل التأثير بالقول: وهو إقناع المعري مخاطبه بصحة رأيه في الإنجاب، وفيما ينبغي أن تكون عليه علاقة الأبناء بآبائهم. وكأني بالمعري، هنا يلتمس العذر للولد حين يعقُّ والده. فجناية الإنجاب التي اقترفها الوالد في حق ولده كافية لتسويغ العقوق. ونستخلص من ذلك أن المعري يدعو إلى معالجة هذه المسألة من أصلها، وأصلها هو عدم الأخذ بأسباب الإنجاب ممثلة في الزواج.

- التئيس:

اللوميّة 1070: ²

سَجَّ وَصَلٌ، وَطُفُّ بِمَكَّةَ زَائِرًا *** تَتَّبِعِينَ لَا سَبْعًا، فَلَسْتُ بِنَاسِكٍ

أ - فعل القول:

سَبَّحَ وَصَلٌ، وَطُفُّ بِمَكَّةَ زَائِرًا *** تَتَّبِعِينَ عِلَّا لَمْ فَلَسْتُ بِنَاسِكٍ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: هو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر وجوبا في الأفعال (سبح، صل، طف). وهذا الضمير لا يحيل على شخص بعينه معروف. وقد صارى ما نعلم من أمر هذا الضمير أن المعري يخاطب شخصا هو عندنا إنسانٌ عصرِ المعري، إذ هو المعنيُّ بالخطاب أولا.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص44.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص142.

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الأفعال (سبح، صل، طف) المندك كل منها إلى ضمير المخاطب أنت (المستتر في الفعل وجوبا.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل التئيس، أي أن الشاعر ييسو^١ المخاطب من جدوى قيامه بهذه الأفعال فلا مطمع في أن يعد ناسكوا^٢ سبج وصلّى وطاف، لأن جرائمه أعظم من أن تجي معها هذه الأفعال.

د- **فعل التأثير بالقول:** إقناع الشاعر المخاطب بصدّة رأيفيما يأتي الناس من الممارسات في حياتهم. ذلك أن ما يقترفه الإنسان في حياته، أو البعض على الأقل، هو أعظم من أن يجي معه التسبيح والصلاة والطواف. ومعنى ذلك أن الطاعات لا يعول عليها في كل حال. فقد يبلغ الإنسان من الجرائم حدا لا تنفع معه طاعة.

ويمكن أن يؤخذ من قول الشاعر أن الباي من الطاعات ليس هو كل شيء. فكم متعب في ظاهره هو ليس كذلك في حقيقته الباطن توكم من م زق للكذب حتى يلوح للرأي أنه الصدق، وهو ليس كذلكوا^٣ إذن فالمطلوب هو النباهة والفتنة والتحري^٤ لئلا نخدع بمظاهر الأشياء وقشورها.

-التّهديد:

الووميّة 1139: ¹

تلرّي- وللياة لها صروف - *** بمأقياه حو ك يا ثاله
فمن ضارم زق عنه رفو *** وبع طي فذل ركه عه ج عاله
ومن صقر يقول لو: ويدا *** وفي شك يصيح به ت عاله

والشاهد في البيت الأخير وا^٥ نما أوردنا البيتين اللذين قبله، لإيضاح المعنى.

أ- **فعل القول:** ومن صقر يقول له: رويدا

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 212.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو الصقر فيما يدل عليه ظاهر اللفظ. والحق أن المتكلم الحقيقي هو الشاعر، فهو الذي أنطق الصقر بقوله: (رويدا). والصقر إنما قال ما قال بلسان الفعل والحال لا المقال.

- المخاطب: وهو (جروك) الذي جرى ذكره في البيت الأول. وبالتأمل ندرك أن المخاطب الحقيقي بذلك هو الإنسان، وإنما توسل الشاعر بـ(جرو ثعالة) على عادة الكتاب والشعراء في تذرُّعهم بالحيوان لطرح قضايا تخص الإنسان، كما فعل ابن المقفع في (كليلة ودمنة) وأحمد شوقي في أشعاره الموجهة أساساً إلى الأطفال. وغير هذين كثير قديماً وحديثاً.

- العبارة: هي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول) لتعيين فعل الإسناد لا بدُّ من التوضيح الآتي: واضح، هنا، أن المصدر المنصوب (رويدا) محلُّ فعله المضمر (أَدَّ) والمصدر (أَدَّ) ثم صدغَ هذا المصدر تصغيراً رتخيمٍ فصار بعد الحذف والتعديل (يَدَّ).¹

وعليه تكون عبارة فعل القول على هذا النحو: أرود، أي تمهل ثم عدل عن ذلك إلى المصدر المصغر فقليل: رويدا. وعليه يكون فعل الإسناد هو (أرود) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل التهديد، فقول الصقر لجرو ثعالة (رويدا) ليس الغرض منه طلب الإمهال أو الانتظار على الحقيقة وإنما الغرض هو التهديد على غرار قول من يتوجه بالكلام إلى صاحب جنابة ينتظر ولا شك أن الجاني يدرك من الصيغة المنتظر أنه مهَّدٌ بجنايته.

¹ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ج4، ص 149، 150.

الفصل الثالث

د - فعل التأثير بالقول: وهو إقناع المتكلم المخاطب الذي هو الإنسان على الذّٰحو الذي بيّنا - بكون الموجودات، وفي مقدمتها الإنسان، عرضةً لصروف الدهر وغيره، كما قالت الخنساء:¹

رَأَى الْهَوَّ يَرْمِي مَا ظَيْشُ سِهَامِهِ *** وَلَيْسَ طِنٌ قَدْ غَلَهُ الْهَوُّ مَرَجٌ

وأن سدنة الحياة تقتضي أن يفتك القوي بالضعيف. وعلى هذا يكون المطلوب من المخاطب الاعتبار بهذه السدنة والإعداد للطوارئ والتقلبات واستنفاد الأخذ بأسباب القوة على قدر الطاقة.

- الاعتبار:

الوهميّة 1140: ²

إِذَا مَا شئتَ مَوْعِظَةً فَعَرَجٌ *** يَثْبِثُ سَائِلًا عَنْ آلِ قَيْلَةٍ

وَقِفْ بِالْجِرَةِ الْبَيْضَاءِ وَانْظُرْ *** مَنَازِلَ نَذْرِ وَبَنِي بَقِيَّةٍ

أ - فعل القول:

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: هو مَنْ يحيل عليه ضمير المخاطب المفرد (أنت) المستتر وجوبا في كلِّ

فعلٍ من الأفعال (ج، قف، انظر).

ولئن كان الخطاب قد ورد بضمير المرففان الموحَّج أن يكون المحال عليه المعنيُّ

بالخطاب هو أهل زمان الشاعرو لا. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - الخنساء تماضر بنت عمر، ديوان الخنساء، دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت، ط6، 1969، ص 100.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 213.

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الأفعال (عرج، قف، انظر) المسند كلٌّ منها إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج- **الفعل الإنجازي (المتضمن في القول):** وهو فعل الاعتبار، الاعتبار بهؤلاء الذين مضوا ولم يبق من آثار الديار التي كانوا يسكنونها، ففي تأمل تلك الآثار عبرة للمعتبر.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل المتلقي على الاقتناع بأن النظر فيما كان من قبل وما هو ماثلاً حالاً، مدخلاً من مداخل حقيقة الوجود والحياة التي تليق بالإنسان الذي هو مطالب بعمارة الأرض بالخير والصلاح. ذلك أن المستقبل هو رؤية الحاضر، والحاضر لا ينهض إلا على أساس الماضي.

- **التحقير:**

الطوميّة 1543: 1

مَا يَبْقَى فِي الْعَالَمِينَ مِنْ نَهَبٍ *** وَنَا مَجْلُوسَ رَتَى شَبَهْ

دَعَهُمْ فَمَا قَطَعَتْ رِقَابَهُمْ *** جَدَعَا، وَلَمْ يَشْعُرُوا وَلَا يَهْلُ وَ

الشاهد في البيت الثاني وإنما ذكر البيت الأول للإيضاح.

أ- **فعل القول:**

دعهم فكم قطعت رقابهم *** جدعا، ولم يشعروا ولا أبهوا

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب المفرد (أنت) المستتر في الفعل (دع)

وجوباً. والمحال عليه بهذا الضمير - فيما نرجح - أهل زمان الشاعر. فإنهم - بحكم واقع

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 571.

الفصل الثالث

الحال - الأولى بأن يكونوا معنيين ابتداء. واعتماد الشاعر ضمير المخاطب المفرد هو من باب مخاطبة المجموع بما يخاطب به المفرد، لغرض بلاغي يتعلق بصلة الفرد بالمجموع الذي ينتمي إليه حتى لكانَّ المجموع هو ذلك الفرد المخاطب، والفرد هو المجموع المعني بالمخاطب. كلاهما يحيل على الآخر.

- العبارة: هي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (دع) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوبا.

ج- الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل التحقير، حيث يرى الشاعر أن من يتحدث عنهم هم أقل شأنًا وأحقر من أن يَنْفَتَ إليهم مُمْفَتٌ لحقارتهم وهوانهم على أنفسهم، ثم على الغير الذي استعبدتهم وأذلهم مِنْ وَنْمَا رَ دَفْعٌ يَذْكُرُ، يدفعون به عن أنفسهم ما لَحَقَ بِهِمْ مِنْ الْهَوَانِ.

د- فعل التأثير بالقول: وهو إقناع الشاعر مخاطبه بجدوى الإعراض عمَّن لا يحترم نفسه، وعدم إضاعة الوقت والجهد في مجاراته وتعقُّبِ سقطاته. وفي ذلك إيْثَةُ لِلذَّخْوَةِ في نفوس هؤلاء وأضرلهم إن بقي للنخوة في أنفسهم بقيَّةٌ.

-التّ مني:

الّوميّة 1600: 1

وَدَيَّ، يَا خَبِيئَةً لَا هَلْمِي *** قَوْلٌ إِذَا نَأَيْتِ، وَلَا تَعَالِي

أ - فعل القول:

تولي، يا خبيئة، لا هلمي *** أقول إذا نأيت، ولا تعالي

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: هو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في الفعل (أقول). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: الدنيا على سبيل المجاز، لأن الأصل في الخطاب أن يُوجَّهَ إلى العاقل. فالدنيا مخاطبٌ مدلول عليه بظاهر اللفظ. وهناك المخاطب الذي هو أهل زمان الشاعر أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: هي فعل القول.

- القصد: توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو إسناد كل من الفعلين (تولي - لا هلمي) إلى فاعله الذي هو ياء المخاطبة.

ج - الفعل الإنجازي (المتضمن في القول): وهو فعل التّ مني، فالشاعر يتمنى زوال هذه

الدنيا التي أرهقته بتكاليفها وأعبائها، وهو القائل في موضع آخر: 2

أُخَوِّكَ مَعْنَبٌ يَا لَمَدَّ فَرٍ *** ظَلَّهَ الْخُطُوبُ رُوهَقَتَهُ .

1 - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 624.

2 - المصدر نفسه، ص 557.

د - فعل التأثير بالقول: وهو إقناع المخاطب أو المتلقي بهوان الدنيا، وأنها مصدر شقاء وعناء، لذلك فالمطلوب ممن قُدَّ له أن يكون من هُلها ويعرَمَ فيها أن يُوطن نفسه على تكاليفها ويلتمس العذر لمُ تضجِّ الم تُسَخِّط منها، لأنها بطبيعتها فوق أن تُحتَلَّ ل وَاِنْ أَبْدِينَا الصبر والمصابرة.

- حقيقة الأمر:

الْوُومِيَّة 1245:

ر لَى حَبَلًا حَدَثًا فِي النِّسَاءِ *** حَبَلٌ ذَاةٌ بِهِ اتَّصَلُ
تَنَاقُ وَ لَدَّ بَدِجِلِ الْعَنَاءِ *** قِيَا لَيْتَ وَارِيْمَا وَ صَدَلُ
وَقَالَ لَهُ صَدَّ لَدَّ عِيَالِي الْهَدَى وَ قَالَتْ لَهُ مَ لُحْدٌ لَا قُدَلُ .
أ - فعل القول:

وقال له: "صل" داعي الهدى

وَاِنَّمَا أوردنا البيتين السابقين لتعلق الغرض بهما.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو الملحد بشهادة ظاهر (فعل القول). والحق أن المتكلم الحقيقي هو المعري، لأنه هو الذي اخْتَقَى الْمَ لُحْدَ اختلاقاً، وأنطقه بما قال لميتسني له عرض ما يريد مَ سْتَفْهَماً واقع عصره الذي يعجُّ بالمذاهب الكلامية، والملل والنحل، والأهواء، وألوان اللهو والمجون، لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وانضواء الأعاجم تحت لوائها، وانصهارهم في المجتمع العربي الجديد انضواءً هَوَلَاءَ تحت مظلة الخلافة بِإِلَهِمْ وَخِلَافِهِمْ، وأهوائِهِمْ، وما شاء الله لهم أن يحملوه من شوائب العُجَّة.

-المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الفعل (صل) وجوباً.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 297.

الفصل الثالث

وهناك المخاطب الذي يكون المعري قد استحضره في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب .
ونرجح أن يكون ذلك المخاطب المستحضر أهل زمان المعري ابتداءً . ثم لا مانع من أن
يتسع الخطاب لكل من قُدَّ له أن يتلقاه ولو بعد حين. قصد الشاعر ذلك أم لم يقصد.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه
فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (هل) المسند إلى فاعله الذي هو ضمير
المخاطب (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج- فعل الإنجاز:

وهو حقيقة الأمر، لاستناد الأمر الذي هو (داعي الهدى) في سلطته على المأمور
إلى مؤسسة خارجة -لسانِيٍّ- فهو، إذًا، يستند إلى مؤسسة دينية، بحكم أن الأمر بالصلاة
ناطقٌ باسم الثلث ع وبمقتضى تعاليمه. وقد مَيَّ الشاعر ذلك الأمر (داعي الهدى)، وهو
نقيض داعي الهوى وإلى الاجتهاد الذاتي المستند فيه غالباً إلى المؤسسة اللسانية.

د- فعل التأثير بالقول:

وهو وضع المخاطب أمام حقيقة وجودية مفادها أن الإنسان تتقاذفه في هذه الحياة
أمواج من التيارات، تشتد وتضعف تبعاً لعوامل كثيرة. وقد بلغت هذه التيارات ذروتها في
العصر العباسي الذي هو عصر الشاعر. ففي مقابل داعي الهدى داعي الضلال والزيف
والانحراف. ولكليهما أتباع.

نقول بهذا استناداً إلى وضع (فعل القول) في سياقه الداخلي والخارجي. وعلى
المخاطب أن يدرك ذلك وأن يعيه ويتفاعل مع الحياة بمقتضاه.

ثانياً: النَّهْيُ:

توطئة:

«وهو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام»¹. وله صيغة واحدة وهي الفعل المضارع المقترن بلا الناهية.² وقد يُعْدَلُ بالنَّهْيِ عن غرضه الأصلي إلى أغراض بلاغية أخرى، تستفاد من السياق والقرائن.³

تطبيق

مما ورد من أغراض النهي في اللزوميات الآتي:

- النَّصَحُ وَالْإِشَادَةُ:

اللُّؤْمِيَّةُ 04:4

فَلَا تَطْلُبْ نَيْلَهُوَا إِن كُنْتَ نَاشِئاً *** فَإِنِّي عَنْهَا بِالْأَخْلَاءِ بِرَأٍ

أ- فعل القول:

فلا تطلب الدنيا

ب- الفعل القضوي: ويتألف من الفعلين:

1- فعل الإحالة: ويتكون من أربعة عناصر متضامنة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي. وليس لدينا من ظاهر لفظ (فعل

القول) ما يدل على متكلم بعينه عدا الضمير (أنا) في (فإنني) وفي الفعل (أربأ)، في الجملة

"فإنني عنها بالأخلاء أربأ".

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 69.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 69.

و: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 170.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 143.

⁴ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 47.

الفصل الثالث

وحتى هذا الضمير الذي ذكرنا يبقى غير كاف لأنه لا يحيل على شخص معين. لذلك يتعين القولُ على السياق الخارجي، فإنه، وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون سواه.

- العبارة: وهي فعل القول الذي هو جملة فعلية مضارعية طلبية .
- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخطّبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضارع (تطلب) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

وهو فعل النصح والإرشاد، إللمتكلم يُرشد المخاطب بعدم السعي في طلب الدنيا، فإنها أقل شأناً من أن تُطلبَ أو يُنصَحَ بطلبها.

د- فعل التأثير بالقول: إقناع المخاطب بالإعراض عن الدنيا والزهد فيها.

الْوَمِيَّة 06:1

أ- فعل القول:

فلا يَغْرُنْكَ شَدْ مُنْ جِبَالِهِ *** وَغَوَّةٌ فِي زَمَانِ لِمَ لَكَ قَسَاءُ

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.
- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (ك) وهذا الذي يحيل عليه ضمير المخاطب هو أهل عصر الشاعر، من باب مخاطبة المجموع بضمير المفرد.
- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 47، 48.

الفصل الثالث

- **القصود** هو توجه الشاعر إلى مخاطبه المستحضر في ذهن لحظة الإنشاء، بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (غُرِّ) (المسند إلى فاعله الظاهر **شَمَّ**) وما عطف عليه **عِزَّة**

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):**

وهو فعل الإرشاد. إرشاد المخاطب إلى الإلْقِ لِلْأَثَى، وعدمِ لِحْنَاتِ النَّفْسِ في السعي إلى تحصيل الملك الذي حازه خلق كثير في هذه الدنيا، فأشقاها، بل وأوردهم المهالك.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع المتكلم مخاطبه **جِدُّ**ى الإعراض عن السعي في طلب الدنيا وحياسة الملك فيها.

- **التَّيْنِيس:**

الْوَمِيَّة 10:1

أ- **فعل القول:**

لَا يَكْذِبَنَّ رَأُوْهُ جَهَّوْلٌ *** مَا فِىْكَ لَشْوِ الْوَالِيهِ

وهذا البيت الذي يمثل (فعل القول) يتعلّق بالبيت الذي قبله:

يَا عَمَلِ السُّوءِ مَا عَدَنَّا *** أَنْ مَّصْدَلِيكَ تَقْأِيْهِ

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- **المخاطب:** هو الفاعل **مِرْؤُ** (الموصوف بالجهل، إذ التقدير: لا تكذبن أيها الجاهل، مدعيا أن في هذا العالم أولياء. وهناك المخاطب الذي هو أهل زمان الشاعر أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 51.

- **القصد:** توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (يكذب) المسند إلى فاعله (امرؤ)

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):**

وهو فعل التّ يئسوّ التّ يئسّ من أن يكون في هذا العالم أتقياء.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع الشاعر مخاطباً برأيه في الحياة رجاء أن يتحول ذلك

الاقتناع إلى سلوك فاعل يكون له أثره الإيجابي في حياة الناس.

اللّوميّة 95:1

مَلّا يَقرُّ اللهُ تَهْذِيباً لِّعَالَمِنَا *** فَلَ تَروُمَنَ لِّلْأَقْوَمةِ تَهْذِيباً

أ- **فعل القول:**

فلا ترومنّ للأقوام تهذيباً

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو من يحيل عليه الضمير (نا) في (لعالمنا). وهذا الضمير لا يحيل على

متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي فإنه، وحده، الكفيل بأن

يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري متكلماً باسم أبناء جنسه.

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الفعل (تروم) وجوباً.

وهو من باب مخاطبة المجموع بما يُخاطَب به المفرد. وذلك المجموع هو أهل عصر

الشاعر أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه

فيها.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 114.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (تروم)، المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

وهو فعل التئیس، تئیس المخاطب من إصلاح هؤلاء القوم الذين هم سكان هذا العالم. فقد جرى القضاء بما هم عليه من الشرور والعدوانية، والضلال والانحراف عن الجادة.

د- فعل التأثير بالقول:

وهو فِئاعُ المتكلمِ خبطَ بعدم جدوى أن يُتعبَ نفسه في محاولة إصلاح المجتمع وتهذيبه، هو حاول ذلك فقد رامَ إبطالَ مارقتهُ اللهُ. وليس في المقدور إبطالُ القدرِ أو دفعه.

ويفهم من ذلك أن المجتمع الإنساني في نظر الشاعر قد بلغ من الضلال والفساد والإفساد ما لا يـُـجدي معه إصلاح. وليس حتمياً أن يكون ذلك قضاءً مبرماً كما يـُـهـُــظـُـهر اللفظ .

- الالتماس:

اللزومية 108:1

يا سَاكِيَّ اللّٰحْدِ عَرَفُ. ***نَحْيِ الحَامَ وَابِهَ
وَلَا تَضِنَّ فَإِنِّي ***مَالِي بِذَلِكَ رُبَّهْ.

أ- فعل القول:

ولا تضنَّ فَإِنِّي ***مَالِي بِذَلِكَ دريه

وإنما أوردنا البيت الأول لارتباط معنى البيت الذي يمثل (فعل القول) به.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 121.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) في (فإني) و (مالي). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: هو ساكن اللحد في البيت السابق، الذي يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر وجوباً في الفعل (تضن).

ومناجاة الشاعر ساكن اللحد ليخبره من أنباء الحياة الثانية التي انتهى إليها من انتهى تجدد قلقه من السرّ المخبوء في ضمير الغيب، والذي لا يدري على أي وجه يتكشف له في يوم، يرى أنه لامحالة آت وإن طال الأجل. فهذا، إذاً، هو المخاطب بمقتضى ظاهر اللفظ. وهناك المخاطب الذي يكون الشاعر قد استحضره في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب، والذي يرجّح أن يكون أهل زمانه أولاً، ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (تضن) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

وهو فعل الالتماس، فهو يلتمس من ساكن اللحد - على سبيل المجاز لا الحقيقة - أن يفيدته نبأ ما عنده من أسرار عالم ما بعد الموت.

د - فعل التأثير بالقول:

وهو التّأثير في نفس المتلقي، قناعه بجدوى الاعتبار بمن مَضَى من الأموات وإنّه لهاجس من شأنه أن يبعث على الاستقامة والإفادة من الحياة والإعداد لذلك اليوم الموعود.

اللزومية 461:1

لا تَكُونُوا جَسَدِي ذَا مَا حَلَّ بِي *زَيِّبُ الْمَنُونِ، فلا فضيلة لجسدٍ

أ - فعل القول: لا تكرموا جسدي

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) في (جسدي) و (بي). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه، وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه هو المعري.

- المخاطب: هو من يحيل عليه الضمير المتصل (واو الجماعة). وذلك المخاطب هو أهل زمان الشاعر، وكل من قدّر له أن يتلقى الخطاب ولو بعد حين.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول) لإبلاغه غرضها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (تكرم) المسند إلى فاعله (واو الجماعة).

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

وهو فعل الالتماس، التماس الشاعرين مخاطبه عدم تعظيم جسده بعد الموت. ولعله يشير بذلك إلى ما اعتاده الناس في دنياهم من تعظيم الأموات تعظيماً، يجد تجلياته في العناية بالأضرحة بناءً ومكاناً وزيارة واحتفاءً .

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 369.

د - فعل التأثير بالقول:

وهو إقناع المخاطب بعدم جدوى الاحتفاء بالجسد بعد أن ويلرَى تحت التراب. وكأذّي به أراد أن يقول: لئلا الاحتفاء المعتبر هو ذاك الذي يكون للشخص قبل أن تفارق روحه جسدَه.

- لَتَمْنِي

الْوَمِيَّة 130:1

الدَّهْرُ يَنْدَخُّ لَوْلَا أَوْخُمٌ *** فَلَا يُطِيلُ بِهَذَا اللَّوْمُ إِنْصَابِي

أ - فعل القول:

فلا يطيلن بهذا اللوم إنصابي

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري يحيل عليه كلُّ من الضمير (أنا) في (إنصابي)، والسياق الخارجي.
- المخاطب: وهو الذي يحيل عليه الضمير العائد (هو) المستتر في الفعل (يطيل)، إذ التقدير: لا تطل إنصابي. والملاحظ، هنا، أن إسناد الفعل إلى ضمير الغائب (هو) الذي يعود على الدهر، إسناد شكلي.

وهناك المخاطب الذي يكون المعري قد استحضره في ذهنه لحظة إنشائه الخطاب. وذاك المخاطب لا يعدو أن يكون أهل زمانه. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (يطيل) المسند إلى فاعله (هو) المستتر فيه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 138.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

وهو فعل التمني، تمذّي الشّاعر أن تنتهي معاناته التي سلطها عليه الدهر، بمفارقة الروح الجسد. وذلك لأن الحياة بتكاليفها ومستحققاتها تبقى أقوى وأغلب. ومن ثم فلسان حالها لا ينفكّ يلوم ساكنيها على التقصير، هما كان صنيعُهم فيها حتى يؤنّ للأرواح أن تفارق أجسادها.

د - فعل التأثير بالقول:

وهو إقناع المتكلم مخاطبه بفكرة أو الشقاء قرينُ الحياة، لا ينفكّ عنها ولا تتفكّ عنه إلا بالموت، إذا كان الأمر كذلك فليس للجزع والشكوى من أوصاب الحياة وجهٌ من الصواب، ولا هو بالسلوك الأمثل، بل الأمثل الصبر والمصابرة وحمل الذّفس على التكيف مع الواقع كيفما كان.

- المدح:

اللزومية 254:1

أ - فعل القول:

ولا تعجبن من سدّ ألمٍ، إن سألماً ١ *** ظلّو غمرة في زارٍ يتهوَّجُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه الضمير (أنت) المستتر وجوبا في الفعل (تعجب) وهذا الضمير لا يُحيل على شخص معين بذاته. ونرجح أن يكون المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون أولا. وهو من باب مخاطبة المجموع بما يخاطب به المفرد ولا مانع بعد ذلك من أن يتّسع الخطاب ليشمل كل من قدّر له أن يلتقاه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 230، 231.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول).

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (تعجب)، المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوباً.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول):

وهو فعل المدح. فالشاعر يمدح سالماً هذا بالكرم والسخاء وكثرة المعروف.

د- فعل التأثير بالقول:

وهو إقناع المتكلم مخاطبه بكون المقام الذي يستحق عليه الإنسان الثناء هو ثمرة العطاء والبذل والإحسان إلى الآخرين من ذوي الحاجات. وفي هذا إغراء بالفضيلة واقتفاء أثر أصحابها والتشبه بهم.

- التَّ رَغِيب:

اللُّومِيَّة 322:1

أ- فعل القول:

لَا يَفْقَنُ يَخْرُكُ مَا جَالِدُكُمْ *** وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ سَبَخُوا

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (كم) و(واو الجماعة) في (لا تكونوا).

ونرجح أن يكون المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتَّع الخطاب لكل مٌ تلقَّوا إن لم يقصد إليه الشاعر قصداً على وجه التعيين.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 279.

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه المتكلم إلى مخاطبته بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (يفقد)، والمسبوق بـ(لا) الناهية للمُسند إلى فاعله المؤخر رمجالس (كم).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):**

وهو فعل الترغيب للترغيب في إعمار المجالس بفعل الخير، وتوجيه الناس للناس التي هي أقوم في حياتهم.

د- **فعل التأثير بالقول:**

وهو إقناع المخاطب بأهمية المجالس الغاية التي ينبغي أن تسعى هذه المجالس إلى تحقيقها وهي إشاعة الخير في الأمة وترغيب الناس فيه.

الر فق:

الووميّة 382:1

أ- **فعل القول:**

لا تَدْمَلْ ثَقْلًا عَلَيَّ فَإِنَّ بِي *** وَهَذَا، وَقَدْ الرّكّب صَعُودُ

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا) في عليّ () و(بي)، والسّياق الخارجي.

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر وجوبا في الفعل (تحمل) ونرجح أن يكون المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر. من باب مخاطبة المجموع بما يخاطب به المفرد، ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب إلى كل متلق.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 315-316.

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (تحملن) المؤكد بنون التوكيد، والمجزوم بـ(لا) الناهية المسند إلى فاعله (أنت).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو طلب الرفق. فالشاعر يطلب من مخاطبه أن يرفق به، فإن ضربه في رحلة الحياة الشاقة كفيلاً باستنفاد قواه. لذلك فهو لا يحتمل عبئاً إضافياً.

د- **فعل التأثير بالقول:** إقناع المخاطب من جهة التأثير، بأهمية الرفق وليس أدل على أهميته من أنه كان ولا يزال مبتغى من أثقلت كواهلهم أعباء الحياة، **وَجَدَّاهُ الضَّبُّ** فيها، كما هي الحال عند المعري في رحلته التي ألمح إليها في قوله: "وقدام الركاب صعود".

- **حقيقة الذّهي:**

الذّوميّة 1245:1

وقال له صدّالٌ لكعي الهُ دى، *** وقاله لم لُحدٍ: لا صدّالٌ

أ- **فعل القول:**

وقال له ملحد: لا تصل "

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلّم:**

المتكلّم في عبارة (فعل القول) متكلّمان:

الأول: هو الملحد، وعليه من ظاهر لفظ (فعل القول) دليل فالملحد يهّى الولد

المذكور في أبيات قبل هذا البيت.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 297، 298.

الفصل الثالث

الثاني: وهو المعري، وعليه من السياق الخارجي، أيضا، دليل. والحق أن المعري هو الذي أنطق الملحد بما نطق به لغرض في نفسه أراده.

لغالبُ دُعُ أن يُوظَّفَ - اعتمادا على قدرته الإبداعية ما يراه مناسبا، فله أن يوظَّفَ أشخاصا يختلقُهم اختلاقا من نظرائهم في الواقع المَعِيشِ لكنه قد يعلُّ في هؤلاء الأشخاص بالزيادة أو النقصان بالقدر الذي يراه كافيا لتحقيق الغرض.

- **المخاطب:** هو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الفعل (تصل) المجزوم بـ(لا) الناهية، وهذا الضمير (أنت) يحيل على الولد المذكور في البيت السابق من اللزومية نفسها:¹

حَيَّأْ وَ لَدَّ بِدِجْلِ الْعَذَاءِ *** هَيَّا لَيْتِ وَارِثِمَا وَ صَدَلْ

وهناك المخاطب الذي يكون المعري قد استحضره في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب. ونرجح أن يكون ذلك المخاطب أهل زمان الشاعر. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قُدِّرَ له أن يتلقاه، قصد إليه الشاعر أم لم يقصد.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (تصل) المجزوم بـ(لا) الناهية، المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوبا.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو حقيقة النهي، ولذَّهِي، هنا، غير معدلي به عن غرضه الأصلي وذلك لسلطة الملحد المُسْتَمَثِّ من إلحادِيَّةِ التي استند إليها في نهيه للولد عن الصلاة. ذلك أن النهي يحتاج إلى سلطة تستند إلى (مؤسسة خارج - لسانية).

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع المخاطب بعدم جدوى الصلاة من وجهة نظر المتكلم الإلحادية. وأما من جهة أن المتكلم هو المعري فقد أراد من مخاطبه أن يدرك أن هناك

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 297.

تيارات فكرية وعقدية تزخر بها الحياة، لكلٍّ منها داعٍ يدعو غيره إلى ما يؤمن به. ومن الصَّعب أن يتماسك الإنسان أمام هذه التيارات ما لم تكن له حصانة من دين ونحوه، تصدُّ عنه غوائل دُعاة الضلالة والأهواء، وهم كثر في كل عصر ومصر ولا شك في أن المعري قد استوحى ما وُضَّحَ له، هنا، من الحياة في العصر العباسي، وما بدا له على سطحها من المَلَل والنَّحْل وما دار بشأنها من محاضرات مناظرات بين العلماء والفقهاء والفلاسفة وأصحاب المذاهب وزعماء الفرق.

ثالثاً: الاستفهام:

توطئة:

الاستفهام من الإنشاء الطلبي، « وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ».¹ وعرفه صاحب التلخيص بقوله: « وحقيقته طلب الفهم بألفاظ معروفة ».² وللاستفهام أغراض بلاغية يعدلُ به إليها عن غرضه الأصلي الذي هو طلب فهم ما لم يكن مفهوماً لدى المتكلم - يرشد إليها السياق والقرائن.³ منها: الأمر، النهي، التسوية، النفي، الإنكار، التشويق، التقرير، التهويل، التعظيم، التحقير، الاستبعاد، التعجب، الوعيد، الاستبطاء، التحسر، ... الخ.⁴

¹ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، مرجع سابق، ص 71.

² - الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، المرجع السابق، ص 153.

³ - ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، المرجع السابق، ص 77.

⁴ - المرجع نفسه، ص 77 إلى 79.

و: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، المرجع السابق، ص 163 إلى 168.

تطبيق

مما ورد من أغراض الاستفهام في (اللازوميات) الآتي:

-التقرير:

اللّوميّة 01:1

أَجِدْكَ لَا تَرْضَىٰ لِعِبَادَةِ مَلْبَسًا *** وَلَوْ بَانَ مَا تُسَدِّيه لَقَبَّ عِبَاءُ

أ - فعل القول:

أجدّك لا ترضى العباة ملبسا

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب في (أجدك)، والضمير المستتر (أنت) في الفعل (ترضى).

والمحال عليه هو من اتصفت بصفة عدم الرضا بما هو كائن، الم كَتَّى عنها ب(عدم الرضا بالعباءة ملبسا). وذلك من المخاطب يجافي الإنصاف، إذ لو تُلِحَ له أن يحاسب نفسه لملأ يده إلى غيره لأدركَ أن ذلك منه لا يَعْ دُشِينًا إذا ما قُورِنَ بما أسداه إليه غيره، وبما هو تَطَلَّعَ إليه.

والمعري يتوجه بالخطاب إلى الإنسان من حيث هو إنسان، بغرائزه، ونوازعه ورغباته، التي ما فتئت تدفعه إلى المزيد من الحرص على الكسب والتحصيل. وأوّلُ مستهدف بالخطاب أهل زمان الشاعر. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع ليشمل غيرهم من قُدَّ له أن يتلقاه.

وقد خاطب المعري، هنا، المجموع بما يخاطب به المفرد.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 43، 44.

- **القصد:** وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل المحذوف (أقسم) أو (أحلف)، المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً، إذ التقدير: أقسم بجدك على أنك لا ترضى العبادة ملبساً؟ ثم دَفَّ الفعل وأبقى على الجار والمجرور (بجدك) المتعلقين به، ثم أسقط حرف الجر وأبقى على مجروره (جدك)، ¹وَذُقِكَ هَمْزَة الاستفهام من موضعها الذي هو صدر جملة القسم (أقسم بجدك) إلى صدر معمول فعل القسم (أجدك). وعليه يكون المَقْرَأُ هو فعل القسم. فقد استفهم الشاعر (أقسم...) وهو على حال القسم. وتقرير فعل القسم يفضي حتماً إلى تقرير المقسم عليه، والذي هو عدم رضا المخاطب بالعبادة ملبساً. فتقرير هذا من ذاك وإِذَا فالشاعر ينكر على مخاطبه ما هو عليه من عدم الرضا بما أُتيح له من الحظ، مؤكداً هذا الإنكار بالاستفهام التقريري.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التقرير، تقرير القسم بالحظ (د) على أن حال المخاطب هي هذه، وهي حال ينكرها الشاعر على مخاطبه لافتقارها إلى الإنصاف. فليس من الإنصاف في شيء أن تطمع في المزيد ولا تحاسب نفسك على ما أسديته إلى غيرك. وتقرير المقسم عليه من تقرير فعل القسم. وبذلك يكون الشاعر قد جمع بين التقرير والإنكار على النحو الذي رأينا.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو حمل المخاطب على الإقرار بعدم إنصافه فيما تأى من استقلال الحظ، وعدم الرضا بالمتاح منه، على المخاطب أن يدرك أننا بالتربية القويمَة ومحاسبة النفس محاسبةً فيها عدل وإِِنْصَاف - تستقيم حالنا وإِذَا فهناك دعوة غير مباشرة لتربية النفس وتهذيبها.

¹ - ينظر: طه حسين بالاشتراك مع إبراهيم الأبياري، شرح لزوم ما لم يلزم لأبي العلاء المعري، دار المعارف بمصر، ج1، ص 55.

الْوَمِيَّة 37:1

أ - فعل القول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَجْدَ تَفَاكَ تَوْنُهُ *** تَشْدَائِدُهُ أَمْثَالُهَا وَ جَبَّ الرَّعْبُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (أنت) المستتر في الفعل (تر) وجوبا.

وما دام هذا الضمير لا يحيل على شخص معين بذاته، فإننا نرجح أن يكون المحال عليه بهذا الضمير أهل زمان الشاعر. من باب مخاطبة المجموع بما يخاطب به المفرد. ولا مانع

بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قُدِّرَ له أن يتلقاه.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (تر) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التقرير، تقرير حقيقة مفادها أن المجد

دونه عواقب، فهو لا ينقاد لكلِّ مَنْ أَرَادَهُ مَا لَمْ يَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ بِأَسْبَابِهِ الْمَفْضِيَةِ إِلَيْهِ، وفي مقدماتها الإرادة، والحزم والعزم، والجد والاجتهاد، وحسن التدبير والتقدير، والصبر والمصابرة.

د - فعل التأثير بالقول: وهو إقناع الشاعِرُ خَاطِبُهُ بِرَأْيِهِ فِي الْمَجْدِ وَتَبْعَاتِهِ، وَكَوْنُ مَا نَبْتَغِيهِ فِي حَيَاتِنَا مَرْهُونًا بِأَسْبَابِهِ الَّتِي ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْهَا مِنْ قَبْلُ.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 79.

- التَّمَنِّي:

الْوَمِيَّة 01:1

أ - فعل القول:

وكيف تَلَفِيَّ الذي كان بعدما *** ذَلَعَ نَرَانِي الدَّ رِقِي بَالَهُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا) في (تَلَفِيَّ)، والسياق الخارجي.

- المخاطب:

المخاطب هنا مخاطبان:

الأول تكأني بالشاعر يخاطب نفسه محاولاً إقناعها بعدم تدارك ما فات فيها م ذلك من إضافة المصدر إلى ياء المتكلم في (تَلَفِيَّ). ومَقْطَلَبُ شَاعِرِ نَفْسِهِ تَعْبُرُ عَنْ حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ يَعِيشُهَا.

أما الثاني فهو مَنْ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَتَلَقَّى الْخَطَابَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِ الشَّاعِرِ أَوَّلًا. وَلَا مَانِعَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَتَسَعَ الْخَطَابَ لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة، التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو إسناد المصدر (تَلَفِيَّ) الذي قام مقام فعله المضارع (تَلَفِيَّ) إلى فاعله في المعنى الذي هو (ياء المتكلم) الواقعة مضافاً إليه في (تَلَفِيَّ) من باب إضافة المصدر إلى فاعله. وكأنه قال: كيف لي أن أتَلَفِيَّ ما فات.

ج - فعل الإنجاز (تُضَيِّقُ فِي الْقَوْلِ) وهو فعل التَّمنِّي المشوب بالتعجب. ذلك أن الشاعر يتمنى لو أن ما حصل له لم يحصل، وهو أمر غير ممكن، وإن أوهمته نفسه

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 44.

الرَّاحَةُ تحت واقعها الأليم مِلْكَانَ حَصُولِهِ. ذلك أن النفس قد تحدث صاحبها بما لا سبيل إلى تحقيقه، ومع ذلك فهي تقبل على الفعل، محاولة منها للهروب من واقع هي عاجزة عن احتماله أو الصبر عليه، ولأنها تجد في هذا الإيهام راحة ومتنفساً لها.

د - **فعل التأثير بالقول:** وهو محاولة إقناع الشاعر مخاطبه بأهمية اهتبال الفرص السانحة في أوانها، إدراكاً منهنَّ عجلة الزمن لا تعود إلى الوراء.

الْثَّوْمِيَّة 118:1

أ - **فعل القول:**

فَمَنْ لِي بِأَرْضِ رَحْبَةٍ لَا يَدُلُّهَا *** تَوَايَ ، تَضَاهِي أَوْ عَالَمٍ تُقَارِبِ

ب - **الفعل القضوي:**

1 - **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا) في (لي) و (سواي)، والسياق الخارجي.

- **المخاطب:** وهو من تحيل عليه (من) الاستفهامية، وهو الشخص الذي يتمنى الشاعر وجوده لمساعدته على ما يريدوثمَّتْ مُخَاطَبٌ آخر وهو مَنْ قُدَّ له أن يتلقى الخطاب من أهل زمان الشاعر، أولاً مانع بعد ذلك من أن يتَّسع الخطاب ليشمل من قدر له أن يتلقاه وإن لم يكن مقصوداً بالخطاب ابتداءً.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل المضمر الذي تقديره (يتعهد) أو (يأخذ على نفسه أن يأتيني) ونحو ذلك، المسند إلى فاعله (هو) المستتر فيه، والذي يعود على م(ن)

1 - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 129.

الاستفهامية. وبهذا التقدير تصير عبارة (فعل القول) هكذا: فمن يتعهد لي بإيجاد أرض رحبة... الخ.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول) وهو فعل التمدّي. فالشاعر يتمنى أن تكون له أرض رحبة يعيش عليها لا تسع سواه بل يعيش عليها وحيداً، وحدةً تُشبه وحدة بحر المتقارب في دائرته التي لا تسع غيره قبل أن يضيف إليها الأخفش بحر المتدارك.

د- فعل التأثير بالقول: يحاول المعري إقناع مخاطبه بفلسفته في الحياة، والتي منها إثارة الوحدة على حياة الجماعة ولعل ما يُغري بالوحدة ويتهماً في النفس امتلاءً الحياة بالشور والوان الأذى، التي يتسبب فيها الإنسان نفسه.

والمتتبع لفلسفة المعري في (لزومياته) يجده يتأرجح بين الميل إلى الوحدة بإطلاق ومن حيث المبدأ، وبين الوحدة التي تلجئ إليها تكاليف الحياة وعدم بلوغ المآرب. وعقب البيت الذي هو (فعل القول) يورد المعري قوله:

فما للفتى إلا انفرداً ووحدةً *** إذ هو لم رزق بلوغ المآرب

ولا سبيل عنده لحل وسط. فإما بلوغ المآرب وتحقيق الأهداف وإما الوحدة واعتزال الناس غير أن هذه الفلسفة قد تصح نظرياً لكن إجراءاتها في حياة الناس العملية هو من الصعوبة بمكان، بحكم أن الإنسان مدني بطبعه.

اللويميّة 1095:1

أ- فعل القول:

لأهلنا تَهْذِي الْفَرَاقُومِيَّةُ *** فَرَاقُومِيَّةٌ مِنْ وَحْشٍ عَلَى الْوَحْشِ آزِلُهُ

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (نا) في (رمينا) العائد على المعري متكلماً باسم أبناء جنسه، والسياق الخارجي.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 166.

الفصل الثالث

- **المخاطب:** هو من استحضره المعري في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب، رجح أن يكون ذلك المخاطب أهل زمان الشاعر. فإنهم المعنيون ابتداءً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (رأى) المسند إلى فاعله (هذي).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التمني، تمنى الشاعر لو أن هذه الفراقد التي يهتدي بها المسافرون في ظلمة الليل رأت الإنسان وهو يرمي أولاد البقرة الوحشية. لو رأت الكواكب ذلك لشهدت بظلم الإنسان وفضاظته.

د- **فعل التأثير بالقول:** إقناع الشاعر مخاطبه بفلسفته في الحياة التي ترى أن الإنسان ظلوم بطبعه وأن البقاء في الحياة للأقوى والأفتك ولا ريب للظالم عن ظلمه إلا تربيةً قديمة أو قوة قاهرة تُخشع. ومن مقتضيات هذه التربية أن يرفق القوي بالضعيف، وأن تسخر تلك القوة القاهرة الغالبة للأخذ على يد الظالم وردّه عن البغي والعدوان.

اللوُمِيَّة 1517:1

مَنْ لِي بَتَرِكِ الطَّعَامِ جَمَعَ إِنِّ *** الْكُلَّ سَأَقْلَرِي إِلَى الْغَدِ

أ- **فعل القول:**

من لي بترك الطعام أجمع...

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا) في (لي)، والسياق الخارجي.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 529.

- المخاطب:

المخاطب، هنا، مخاطبان:

الأول: مخاطب تحيل عليه (من) الاستفهامية والتي يُسأل بها عن العاقل، وذلك العاقل هو مَنْ يَتَمَنَّى الشاعرُ أن يهتدي إليه ليعينه على ترك الطعام أجمع.

وأما الثاني: فهو من يتلقى الخطاب من أهل زمان الشاعر أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة، التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المضمر الذي يتعلق به الجار والمجرور (لي)

وتقديره (يتعهد)، المسند إلى فاعله (هو) المستتر فيه، والذي يعودُ على (من) الاستفهامية.

وبذلك تصير عبارة (فعل القول) هكذا: من يتعهد لي بالإعانة على ترك الطعام أجمع؟

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل للمني، تمضي الشاعر ترك الطعام ما دام

ضررُ الأكلِ راجحاً، إذ كثيراً يؤخذُ الإنسان من جهة بطنه.

د- فعل التأثير بالقول: وهو إقناع لمخاطب بضرورة احترازه من أن يَفِيَّ من قِلِّ بطنه،

وقد قيل: مصارع الرجال تحت بروق الطمع.

-التعجّب ب:

الْوَمِيَّة 11:1¹

أ - فعل القول:

فمَالِي لَا أَكُونُ وَ صَدِيَّ نَفْسِي *** وَلَا تَعَصِدِي أُمُورِي وَلِأَصِيَاءُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا) في (مالي) و (أكون) و (نفسى) و (أموري)، والسياق الخارجي.

- المخاطب: وهو الشاعر إذ يخاطب نفسه متعجبا من غفلتها. وهناك مخاطب آخر، وهو من قُدَّ له أن يتلقى الخطاب من أهل زمان الشاعر. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الوصف المحذوف (حاصل) الذي يتعلق به الجار والمجرور (لي) والتقدير فما حصل لي من عني من أن أكون وصي نفسي سيق ذلك مساق التعجب، فقد بلغ الشاعر من الغفلة مبلغاً من وض له عارض منعه من أن يفعل ما ينبغي فعله. فهذا الوصف (حاصل) المحذوف إذاً، يكون قد سُند إلى فاعله (هو) المستتر فيه، والذي يعود على (ما) الاستفهامية. أو أن يقال بإسناد الوصف المحذوف إلى المبتدأ الذي هو (ما) الاستفهامية وإن كان أحمد المتوكل يصف المحمول في مثل هذه الحالة ضمن ما يسميه بالمركب الحرفي.²

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 51.

² - ينظر: أحمد المتوكل، من قضايا الربط في اللغة العربية، منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 86، 85، 15.

ولا خلاف في ذلك، فقد أخذ المتوكل بظاهر اللفظ المتمثل في الجار والمجرور (لي). في حين أخذنا في تقديرنا للوصف (حاصل) بكون الجار والمجرور يحتاجان إلى ما يتعلقان به، وهذا الذي يتعلقان به هو الوصف المحذوف الذي قدرناه بـ(حاصل) بسجماً¹ مع السياق والغرض الذي سيق له الكلام.

وظهيرنا في هذا التقدير ما قال به النحاة العرب من أن شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) يحتاج إلى (تَعَلُّق)، يتعلق به، من فعل أو نحوه، كالأسماء المشتقة الحاملة للضمير.¹

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول) وهو فعل التعجّب، تعجب الشاعر من غفلته، أو ذهوله عن أن يكون وصي نفسه بدّل أن يأخذ بوصايا غيره.

د- فعل التأثير بالقول: وهو إقناع المخاطب بأهمية التفات الإنسان إلى نفسه ليحاسبها على ما كان منها. لا سيما وأن سبل إقناع النفس وردّها عن غيها متاح لكل ذي عقل به يفكّر، وعينين بهما يبصر الموجودات.

فمتى التفت الإنسان إلى نفسه محاسباً ومقوماً، والتفت إلى الموجودات من حوله راصداً ومحللاً، ظفر بما يغنيه عن الرجوع إلى سواه، في الكثير من القضايا التي تتصل بالحياة. وله بعد ذلك أن يستعين غير فيما يستعصي عليه فهمه، ويخفي وجه الحكمة فيه. ويعزّز رأي المعري في مسألة التعويل على النفس كون الآخر ليس بالنفّة، فهو مظنة الغش والتغرير. وهذا يتسق مع فلسفة المعري التي تقوم على العقل وتحكيمه في كل شيء بدل التعويل على الآخر.

¹ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج1، ص 462. و: ج2، ص 445 إلى 449.

الْوَمِيَّة 16:1

أ - فعل القول:

كيف لا يَشْرِكُ الْمُضِيقِينَ فِي الدَّعَاةِ قَوْمٌ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: نرجح أن الشاعر يخاطب أهل زمانه، فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة، التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (يشرك) المسند إلى فاعله (قوم).

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التعجب، التعجب من عدم إشراك الأغنياء فيما نعلم الله به عليهم فقراء وذوي الحاجات. ولمثل التعجب في أن يعدل بالمال عن موضعه الذي ينبغي أن ينقح فيه، إن على سبيل الوجوب وإن على سبيل التفضل والإحسان.

د - فعل التأثير بالقول: إقناع المخاطب، لا سيما ذوو اليسار بأن المال مال الله، هو الذي يمد به من يشاء من عباده، لا للتفضيل فحسب ولكن للابتلاء في الوقت ذاته أيضاً. والوضع الطبيعي في المال أن يتجاوز نفعه مالكه، وأن يعود صاحب المال بشيء من ماله على من لا مال له دفعا للكرب، وغائلة الجوع واستئلاً لسخائم الذفوس.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 59.

- الذّفي:

الْوُمِيَّة 16:1

رَقَمَ ظَ الْأَيَّامُ هَلْ رَثَ النَّدَّ . ***حَمَ لَمَّا . ثَوَى بهارقماءُ

أ - فعل القول:

هل رثت الندَّ ام لما ثوى بها قرماء

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري يحيل عليه كل من الضمير (نا) في (قرمتنا) العائد على المعري متكلماً باسم أبناء جنسه، والسياق الخارجي.

- المخاطب: نرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر. فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتّسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه المعري إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (رثى) المسند إلى فاعله الظاهر (قرماء - اسم موضع)

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو نفي فعل الرثاء. ف (قرماء) التي افتقدت النحام، (وهو نعيم بن عبد الله أحدُ المبشرين بالجنة)، لم ترثه حرُّنا عليه. فالأرض هي الأرض، لا تتأثر بنا مقيمين أو راحلين.

د - فعل التأثير بالقول: إقناع المخاطب بأن الإنسان على ظهر هذه الأرض كائنٌ من الكائنات، علت منزلته بين القوم أو نزلت، فلا بد من الرحيل، طال الأجل أم قصر وأن الحياة ماضية لا تتأثر برحيل الراحلين ولا بإقامة المقيمين. وكأنّي بالمعري قد استلهم في هذا

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 56 إلى 59.

الفصل الثالث

البيت قوله تعالى في قوم فرعون: ﴿فَأَمَّا كُتَالْعِمْيَالِ﴾ والارضُ وما كذا ولم نُظنَّ ❦.
الدَّخَان 29.

فالأرض لا تبكي على أحداً إذا كان الأمر كذلك فليكن العاقل على نفسه ما دام
حيّاً، وفي حياة البكاء والمراجعة والتصحيح مَسْعٌ ، وليتذكر دائماً أنلها ما فارقت الروح
الجسد انقطعت صلة الدنيا بالآخرة ولم يعد يجني البكاء ولا الغيب ، ولأنات والنزّ فرات.

الْوَمِيَّة 22:1

أ - فعل القول:

وهل يَبْقَى الإنسانُ في مَلْئِكَةٍ *** فَيَذْجَمَ مِنْ رَأْسِهِ وَسَمَاءِ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.
- المخاطب: وهو من يكون المعري قد استحضره في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب. وذلك
المخاطب لا يعدو أن يكون أهل زمانه أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.
- العبارة: وهي فعل القول.
- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه
فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (يأبى) المسند إلى فاعله الظاهر (الإنسان).

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو نفي فعل (يأبى) الإنسان من ملك ردّه. فليس
في مقدور الإنسان المخلوق الضعيف أن يتمرد على خالقه، فيعلن الخروج من أرضه
وسمائه. إنه محكوم بحتمية الوجود في هذا الكون لا يتجاوزه. فهو أسير على ظهر هذه
اليابسة.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 62.

د - فعل التأثير بالقول وهو تذكير المخاطب بأنه أسيرٌ حتميةً الوجود في هذا الكون، حتمية أملت لها حكمة الله وإرادته. وما على الإنسان -والحال هي هذه- إلا أن يَحِلَّ نفسه، بالتَّربية والتوجيه، على التَّكْيُف مع الموجودات كما هي وعلى ما هي عليه.

الطُّومِيَّة 74:1

أ - فعل القول:

مَنْ لِيْنَ لَا يُلْقَ فِي بَلِّ *** كُلُّ فِيْ بَغِيرٍ لِمِجِبْ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا) في (لي) و(أقيم) و(أذكر)، والسياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من تحيل عليه (من) للاستفهامية، وإن كانت لا تحيل على معين، وإنما تحيل على من في وسعه أن يتكفل بتلبية رغبة المتكلم كائنا من كان.

وهناك المخاطب الذي يكون الشاعر قد استحضره في ذهنه لحظة إنشاء (فعل القول). وذلك المخاطب لا يعدو أن يكون أهل زمان الشاعر. فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من في وسعه أن يتلقاه ولو بعد حين.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو (عُتِّقَ) الجار والمجرور (لي) المحذوف، والذي يمكن تقديره بـ(يضمن) أو (يتكفل) ونحو ذلك مما يتسق مع السياق والغرض الذي سيق له الكلام.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 100.

واِذْأ، اَقْرُ (تَعْلَقُ) المحذوف الذي قدرناه بـ(يضمن) أو (يتكفل) هو المسند إلى فاعله (هو) المستتر فيه. ومرجع ذلك الضمير الفاعل هو (من) الاستفهامية.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو نفي أن يكون هناك من يتكفل بتلبية رغبة المتكلم المتمثلة في أن يدلَّ على بلد قيمٍ فيه، لا يذكره فيه أهله بغير ما يجب أن يذكره به.

د- فعل التأثير بالقول: إقناع المخاطب بأن لا سبيل إلى إرضاء جميع الناس. فلئن ذكره بعضهم بخير ذكره آخرون بغير ما يجب أن يُنكَرَ به. ولئن أنصفه بعضهم جار عليه البعض الآخر ولا وجود لمقامٍ يحظى فيه المرء برضا الجميع وتلك هي سذاجة الحياة وعلى العاقل أن يعيها.

الطَّومِيَّة 77:1

وَلْيَذِئِ الْاَيْمُ يَحْمَدُ قَائِلٍ ؟ **وَمَنْ جَرَّبَ الْأَقْوَامَ وَلُغَهُمْ ثَبْلًا

أ- فعل القول:

وأي بني الأيِّ أم يحمد قائل؟

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من استحضر المعري في ذهنه أيُّ خاطبه. ولا شك أن ذلك المخاطب أهل زمان الشاعر. فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون ابتداء. ولا مانع بعد ذلك من أن يكون هُناك مخاطبون آخرون، وإن لم يكن الشاعر قد استحضر لحظة إنشاء الخطاب أنه يعنيهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 102، 103 .

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** هو الفعل (يحمد) المسند إلى فاعله الظاهر (قائل)، باعتبار أن الجملة التي هي (فعل القول) جملة فعلية تقدم فيها معمول الفعل (يحمد) الذي هو اسم الاستفهام (أي) المضاف إلى ما بعده، على أنه مفعول به.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو نفي أن يكون هناك قل يذكر بخير أيًا من بني الأيام. ذلك أن الإنسان بمقتضى الجبلة لا يخلو من عيب، يحول بينه وبين أن يثني عليه غيره:¹

عُيُوبِي، إِن سَأَلْتَ بِهَا، كَثِيرٌ *** وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ بِعُيُوبٍ
وَلِلْإِنْسَانِ ظَاهِرٌ مَا يَرَاهُ *** وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا تُخْفِي الْغُيُوبُ

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع الشاعر مخاطبه بفلسفته في الحياة وتجربته فيها، وهي تجربة أرته أن الإنسان لا يخلو من عيوب هي وليدة الطبع، أو الاكتساب، أو هما معا. وهو برأيه هذا يدعو مخاطبه إلى التحرز ممن خالط بوعاشره وإلى الصبر وتوطين النفس على احتمال ما قد يصدر عن الآخر من الأذى وإذًا فهي دعوة إلى الحكمة والتيقظ واحتمال تبعات المعاشرة التي لا بديل عنها إلا الاعتزال، لو قدر للحياة أن تستقيم بالانسحاب من مُعْتَرَكِ الاجتماع. والمعري نفسه يقر بهذه الحتمية:²

وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ مِنْ حُضُرٍ بَعْطِيَّةٍ *** لِبَعْضٍ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا، خَدَمَ

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 95.

² - المصدر نفسه، ج2، ص 326.

- الاعتبار:

الْوَمِيَّة 75:1

أ- فعل القول:

أَيْنَ بِقُرَاطُ الْمَقْلَدُ جَالِيَّةٌ * * * هَيْهَاتَ نَأْيُ عِيشِ طَبِيبُ

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من استحضره المعري في ذهنه لحظة الإنشاء. وذُرَّجَ أن يكون المستحضر أهلَ زمانه، ثم الذين يلونهم ممن قُدَّ لهم قُلي الخطاب وإن لم يكونوا معنيين به ابتداءً.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو (تَعَلَّقَ) الظرف (أين)، ويمكن تقدير هذا (تَعَلَّقَ) بالوصف (موجود) أو (مستقر) أو نحو ذلك مما يَدَسُّقُ مع السياق والغرض الذي سيق له الكلام ثم حُذِفَ هذا (المتعلق) وأُبْقِيَ على الظرف الذي يتعلق به. وعليه يكون هذا (المتعلق) المحذوف هو المسند، والمسند إليه هو الضمير (هو) المستتر فيه، ومرجع الضمير المسند إليه (بقراط).

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الاعتبار، الاعتبار بهذين الطَّيِّبين، إذ لم يدفع عنهما طهيمًا الموت. ذلك أن للأسباب مدى لا تتجاوزه. والطبُّ جِدٌّ ولكنه لا يقوى على دفع الأجل.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 100، 101.

الفصل الثالث

د - فعل التأثير بالقول: وهو إقناع المعري مخاطبه بحقيقة، مفادها أن للأسباب التي تتسع لها طاقة الإنسان مدى لا تتجاوزه. ولحكمة أرادها الله في تلك الأسباب قيدها بمداها. وعلى الإنسان ألا يأسف إذا ما خانت تلك الأسباب. وحسبه أن يجدو ويجتهد ، ويفكر ويقدر. ولا عليه بعد ذلك ألا يصل .

اللومية ٨٦٨: ١

هـ كط. ي تان ذات هس **ز د. ، والسح والبيط
يياك الصدي بالمال ذاك ي **لن الم وحش اله بيط

والشاهد في البيت الأول وإنما أوردنا عقبه هذين البيتين تكملة، وزيادة في الإيضاح

أ - فعل القول:

أين امرؤ القيس والعدار ي **مال من تحته الغ بيط

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من استحضر المعري لحظة إنشائه الخطاب أنه يخاطبه. فوَرَّجَ أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر أو لا. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو (تعلق) الظرف (أين) المحذوف. وهذا (المتعلق) يمكن تقديره بالوصف (موجود) أو (مستقر)، أو نحو ذلك مما يتسق مع السياق والغرض الذي سيق له الكلام.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 6، 7.

وموضع الظرف (أين) الذي هو أداة الاستفهام (أين) يأتي بعد المبتدأ (مرؤ القيس) لأحقية المبتدأ بالتقدم على الخبر. غير أنه تقدم على المبتدأ لأحقية بالصدارة. وعليه يكون المسند هو هذا (تعلق) المحذوف، والمسند إليه هو طه مير (هوالم) ستتر فيه، أي في (المتعلق). والمحال عليه بهذا الضمير هو (امرؤ القيس).

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الاعتبار. فقد ذكر المعري امرأ القيس في الذاهبين، وهو أمير شعراء الجاهلية بلا منازع، يضاف إلى شاعريته حياته العابثة التي كانت مشغلة أهل زمانه ومن بعدهم ولو لم يكن لدينا من دليل يقفد¹ على حياته العابثة الماجنة إلا قصدته التي عرض لها في (المعلقة)، لفتت² عن غيرها ولت³ تصويراً لتلك الحياة. إن حياة كهذه لهي جديرة باعتبار كل ذي عقل ولب⁴، فيما يرى المعري.

د- فعل التأثير بالقول: وهو إقناع الشاعر مخاطبه بلفت انتباهه إلى أن الإنسان ابن لحظتين، ما مرت تلك اللحظة انقلبت الحياة كنأ لم يكن شيء ممّا كان. واللابيب من اعتبر بمن مضى، واهتدّل ماتلج له من الفرص وليعلم أن ماتلج له اليوم قد لا يتاح له غداً. وكأنني بالمعري قد استوحى فلسفته هذه من فلسفة طرفة بن العبد في الحياة:¹

فإن كنت لا تطيع دفع مَن نيتي *** قد عني بلأدّها بما مَلَكَت يَدِي
أرى الموتَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وممّا *نقصُ الأيمِ هو الدَّيْدَفُ.
علمك ما الأيامُ إلا مفصّارُهُ *نعت من معروفها فتزود

ولنا أن نفهم رأي المعري، هنا، على أنه دعوة للتعلّق، وإعمال الرّوية، كما أسلفنا.

¹ - الزوزني أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، مرجع سابق، ص 138، 141.
و: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط 4، 1981، ج 1، ص 139، 140، 141.

الْوَمِيَّة 1274:1

هَلْ لَهْمَتْ يَثْرِبُ يَوْمًا مَثْرِبًا *** أَنْ لَيْسَ يَخْدُ مِنْ آطَامِهَا لُطُ
كَانَتْ تَضُمُّ رِجَالَاتٍ تَحْتَ عَيْنِهَا *** مَعَاطِيٍّ مِثْلَ تَلَلِ عَرْهَا الذُّطُ

أ - فعل القول:

هل ألهمت يثرب يوما مثربها *** أن ليس يخذ من آطامها أطم

وإنما أوردنا البيت الثاني حصيداً على إيضاح الغرض الذي سبق له البيت الأول (فعل القول).

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من استحضر المعري في ذهنه لحظة إنشائه الخطاب أو (فعل القول) أنه يخاطبه. ونرجح أن يكون ذلك المخاطب أهل زمانه. فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يستعجّل الخطاب لكل متلقٍ. قصد إليه الشاعر أم لم يقصد.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (ألهم) المسند إلى فاعله (يثرب).

ج - فعل الإنجاز (التضمين في القول): وهو فعل الاعتبار، اعتبار المخاطب بمدينة (يثرب) وما أنشأ عليها ساكنوها من قصورٍ ناطقةٍ بترفٍ مفرّفين، وبذخ الباذخين، وأقاموا فيها من حصون ومعسكرات بها يحتمون، ليها وقت الحاجة يلجأون.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 325.

تلك هي (يثرب) فيما مضى من أيّامها، ثم ما لبثت الأيام أن أدارت لها ظهرها فإذا بالذي عليها ومن عليها يصبح أثرا بعد عين، حتى لكان أولئك الذين بنوا وشادوا، وبسطوا سلطانهم وسادوا لم يغدّوا بالأمس. إن في ذلك لعبرة لأولي الأحلام والنهى.

د- فعل التّأثير بالقول: واللافت هو أن الشاعر، هنا، جمع بين التأثير والإقناع، بحيث يجد المخاطب نفسه محمولا على الاعتبار بمن مضى، وما مضى، بمجرد احتكامه إلى العقل أو الوجدان أو للهما معاً. ففي مثل هذه الأحوال، أحوال الماضين، تختلط المشاعر والأحاسيس بالأفكار فالتأمل يثير الفائن، ودفائن النفوس تبعث على التذكّر الذي من شأنه أن يورث المعوّل غداً يتّته هذه مخرّطه.

-التّحقير:

اللوّميّة 909:1

أ- فعل القول:

ما نحنُ أمّا برأيا عالمٍ كثرٍ *** في قدّ تبعضه الألاك تبّلعُ ؟

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلّم: وهو من يحيل عليه الضمير (نحن). فهذا الضمير يحيل على المجموع الذي هو الجنس البشري، والذي يتحدث باسمه المعري. وعليه يكون المتكلّم هو المعري باسم أبناء جنسه، الذين تربطه بهم الحقيقة الإنسانية ووحدة المصير.

- المخاطب: وهو من استحضره المعري في ذهنه لحظة الإنشاء. و نرجح أن يكون المستحضر، هنا، أهل زمان الشاعر أولاً. وقد يتجاوز المستحضر أهل الزمان. لا سيما وأن الشاعر يعبر عن حقيقة وجودية، تعني الجنس البشري كلّّه، بصرف النظر عن المكان والزمان.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 31، 32.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو، هنا، الضمير (نحن) الذي يحيل على الحقيقة الإنسانية المسؤول عنها بـ(ما)، إذ التقدير: ما حقيقة الإنسان أو البشر؟ هل هي شيء أكثر من هذا الذي أذكر؟ وعليه يكون الضمير (نحن) الذي هو الخبر المسند إلى (ما) الاستفهامية التي هي المبتدأ (المسند إليه).

وكذا يقال في الجملة الاستفهامية: ما برايا عالم كثر في قدرة بعضها الأفلاك تبتلع؟. فالمسند هو الخبر (برايا عالم)، والمسند إليه هو (ما) الاستفهامية الواقعة مبتدأ.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التحقير، فالمخلوقات، ومنها الإنسان، على كثرتها، واختلافها فيما بينها لا تعد شيئاً إذا ما قيسَتْ بقدرة الله التي من تجلّياتها ابتلاع الأفلاك حتى كأنّها لم تكن مِصداً لقوله عز وجل: ﴿وَالضُّجُجُ جَمِيعاً قُبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّوْمُ أَوَّاتٌ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ...﴾ الآية الف 67.

د- فعل التأثير بالقول: لفتُ انتباهِ المخاطَبِ إلى موقع الإنسان في الموجودات، وأنه أحقر مما يدّعيه لنفسه بما لا يقاس، وأنه في ميزان قدرة الله لا يعدُّ شيئاً يستحق الذكر. وإنما ساع للشاعر أن يُنكّر بهذه الحقيقة حرصاً منه على أن يعرف المخاطَبُ حجمه الحقيقي. ذلكم الكثير مما يتوهمه الإنسان إنَّما هو تَلَكُّ من الذُّهول عن هذه الحقيقة. ومن ثمَّ يجد نفسه قد أخطأ في التقدير.

-التّسوية:

الْوَمِيَّة 32:1

أ - فعل القول:

ومادراً يهْلَن. فوق المَطَايَا *** لَأَبْ لِيَا ذَرَطْتُ مَالْمَارَهَى

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) و(تاء الفاعل) في كل من (أدري) و(نظرتهم) السياق الخارجي الذي أرانا أن المَحَالَّ عليه بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو من استحضر المعري في ذهنه لحظة إنشائه الخطاب أو (فعل القول)، أنه يخاطبه ونرجح أن يكون ذلك المخاطب أهل زمان الشاعر ابتداء. ولا مانع بعد ذلك من أن يتّسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو (تَعَلَّقَ) الظرف (فوق). ويمكن تقدير هذا (المتعلّق) ب(كائن) بمعنى موجود، أو (راكب)، ونحو ذلك من التقديرات التي تتسق مع السياق والغرض الذي سبق له الكلام. والتقدير أمن كائن أو موجود أو راكب فوق المطايا ألب أم... الخ. ثم حذف (المتعلق) ويَقِيَّ على الظرف (فوق) الذي يتعلق به. وأما المسند إليه فهو الضمير (هو) المستتر في الوصف المحذوف (تعلّق). ومرجع هذا الضمير (من) الموصوليّة.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 69، 70، 71.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التسوية، إذ لا فرق عند الشاعر بين من هواكب المطايا ومن هو راكب المَهاري في الذكاء. فهما عنده في الذكاء سِيان.

د - فعل التأثير بالقول:

وهو حمل الشاعر مخاطبه على الإقرار بما آل إليه أمر هؤلاء الحجيح، فقد بلغ بهم العنتُ مبلغاً¹، أزال الفرق ما بين راكبي المطايا وراكبي المهاري لتَعَفُّ النذَّة في حقِّهم. ومرد سوء حال الحجيح إلى هذا الحد، فسادُ السَّنة، وهم القائمون على خدمة الحجيح بمقتضى ميثاق إسناد الوظائف.

وتصوير الحال على هذا النحو يَحْمِلُ على الاحتراز والنَّبْتِ، لا سيما مع دعاة الشعاراتِ المدوِّجِ الأُلْهُدَة، إذ الكثير منا يؤخِّد بزواهر الأشياء، حتى إذا ما تجاوز الظاهر إلى ما في الباطن غيَّر رأيه، وندم على ما كان منه. وفي هذا دعوة غير مباشرة من الشاعر إلى تحكيم العقل.

الْوُمِيَّة 34:1

سَوَاءٌ عَلَيَّ إِذَا مَا هَلَكَ. ***تَمُنْ شَادِمَرَكْهَتِي أَوْ زَي
وَفُلْدَى هَلَنْ سَبَقُمِ طَدَرَ ***وَوُلْدَى هَلَنْ رَعِ قَضَا
أَبْلِجْلُ دُرْكَ أَم بِالرَّ مَا ***حَ نِيدَ سَلْدَتْهَا وَالسَّرَا

أ - فعل القول:

أَبَا النُّبَلِ أَدْرَكَ أَم بِالرَّ مَا ***حَ بَيْنَ أَسْنَتِهَا وَالسَّرَا

وإنما أوردنا البيتين السابقين لتعلق الغرض بهما.

ب - الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) الذي أسند إليه الفعل (أدرك). وشهادة السياق الخارجي تجعل المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 72 إلى 76.

الفصل الثالث

- **المخاطب:** الأرجح أن المعري يخاطب أهل زمانه، فهم أولى بالخطاب ممن سواهم ابتداء. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لكل من قدّر له أن يتلقاه.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (أدرك) المسند إلى نائب الفاعل (أنا) الذي هو ضمير مستتر فيه وجوبا.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التسوية، حيث إن ما يصيب الشاعر واحد في نتيجته وأثره، فما دام الهلاك هو الناتج المدقق، فلا يهم بعد ذلك ما إن كان الهلاك بشفرة رمح أو بسهم قصير. فالأمران سيان في أثرهما. والعبرة بأثر الفعل لا بالفعل ذاته أو آله.

د- **فعل التأثير بالقول:** الراجح أن يكون المعري قد قصد صرف اهتمام المخاطب إلى أهمية تحكيم العقل في الظواهر والأفعال، فهو إن حكم اعتبر في الظواهر بواطنها وفي الأفعال آثارها الناجمة عنها. ويؤكد هذا الفهم نصرة المعري للعقل، في آثاره لا سيما اللوميات منها.

- **حقيقة الاستفهام:**

اللوميات 1248:1

أ- **فعل القول:**

سيد سلّاس "نما قش ومكة؟" *كما قال ناس "ما جيس" وما هم

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** المتكلم هنا متكلمان: الأول: من يحيل عليه اللفظ (ناس).

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 1248.

الثاني: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- **المخاطب** هو مَنْ استحضره الشاعر في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب. وذلك المخاطب المعني أهل زمان الشاعر فيما نرجح. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لكل من قُدِّر له أن يتلقاه.

- **العبارة**: وهي فعل القول.

- **القصْد**: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول)**: وهو الخبر (قريش) و(جديس) و(طسم)، الذي حلَّ محلَّ المسؤول عنه الحقيقي الذي هو (حقيقة). فالسائل لا يجهل هذه الأسماء (قريش، مكة، جديس، طسم) بدليل أنه ذكرها في نص السؤال، إنما يجهل حقيقتها وهو يتَّنها. وعليه يكون المقصود من السؤال: ما حقيقة قريش؟ وما حقيقة مكة؟ وما حقيقة جديس؟ وما حقيقة طسم؟ وأما المسند إليه فهو (ما) الاستفهامية.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول)**: وهو فعل الاستفهام، والاستفهام، هنا، جُيَّ على حقيقة ولم يعدَ ل به عن هذا الأصل، وهو ما يعني أن السائل يريد جواباً يجهله.

د- **فعل التأثير بالقول**: وهو إقناع المخاطب بأن المعرفة الإنسانية ليست ثابتة، ولا هي سواء عند الجميع، بل متغيرة بتغير الزمان وتعاقب الأجيال. فقريش، ساعة سأل السائل، معروفة حقيقةً هاو هيوتها، لكن هذه الحقيقة معرّضة للطمس والزوال بعد حين. ويستدل الشاعر بالواقع والتاريخ، فهو يرى أن هناك من يسأل: ما حقيقة جديس هذه التي يذكر التاريخ اسمها؟ وما حقيقة طسم؟ ومن أين للسائل أن يعرف عن هؤلاء الأقوام، وقد تطاول الزمن؟ ولا سبيل إلى المعرفة -والحال هي هذا- بالرجوع إلى التاريخ واستنتاج الرّوايات وغربلتها وتمحيصها، لتمييز حقيقة ما يتصل بهؤلاء الأقوام مما هو أقرب إلى الأوهام منه إلى الحقائق لتطاول الزمن. فالمتوقع من المخاطب أن يدرك هذا قصده الشاعر أم لم يقصده.

- الاستبطاء:

الْوَمِيَّة 13:1

أ- فعل القول:

بَعَادٌ وَقَعَ فَمَتَى التَّدَانِي *** يَبِينُ شَاسِعٌ فَمَتَى الْقَاءُ

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو من استحضره الشاعر لحظة إنشاء الخطاب. ونرجح أن يكون ذلك المخاطب أهل زمانه. ولا مانع من أن يتسع الخطاب بعد ذلك لكل من قُدِّر له أن يتلقاه، ولو بعد حين.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو (تَعَلَّقَ) الظرف (متى). ويمكن تقدير هذا (المتعلق) ب(واقع) أو (حاصل)، أي متى واقع أو حاصل التداني ثم حذِفَ (المتعلق) وأُبقِيَ على الظرف (متى). والمسند إليه هو المبتدأ (التداني) المؤخر، إذ الأصل في المبتدأ أن يتقدم، ولكنه هنا تأخر لأحقِّق الاستفهام بالصدارة.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الاستبطاء. فالشاعر يستبطئ اليوم الذي يدنو فيه الأحياء من الأموات وذلك الدُّؤُوبُ لا يحصل إلا بالموت. وفي استبطاء الشاعر للموت دلالة على ضيقه بالحياة ونفاد صبره على أعبائها وألوان الأذى فيه. يؤكد الشاعر استبطاءه الموت بقوله: "فمتى للقاء" يقصد لقاء مَنْ سبق من الأموات في العالم الجديد،

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص52، 53.

عالم ما بعد الموت. ولهذا التأكيد دلالة أخرى، وهي عمق الشعور بمأساة الحياة وشدة وطأتها علي الشاعر.

د - **فعل التأثير بالقول** وهو إقناع المخاطب بما مفاده أن حدثاً شياً قد لا يعني الرغبة فيه ابتغوا إنما هو حب أم لله كراهة النقيض. فعلى قدر كراتها للشيء تكون رغبة نا في نقيضه وحبنا له. وهذا يتسق مع رغبة المعري في الموت، رغبة يدل عليها الاستبطاء الذي هو غرض الاستفهام وهي رغبة لا يمكن عزلها عن حياة المعري وما ابتلي به فيها. وثمرت تأثير آخر على المعري نفسه. إذ التأثير ليس على المخاطب فحسب، بل قد يكون للمتكلم منه نصيب. فالمعري حين يعرب عن همومه بإبداء الرغبة في الرحيل عن طريق الاستبطاء، يكون قد نفّس عن نفسه بنفثه ما يَحْكُمُ في نفسه من الكرب والضرّيق. **الوهميّة 875:1**

كَلَّا لَاحَتِ الشَّرَاطِفِي جُنْحُ الْجُحَى ** قَدْ تَبَيَّنَ لِبَعْثِنَا الشَّرَاطُ؟.

أ - **فعل القول:**

فمتى تبين لبعثنا أشراف؟.

ب - **الفعل القضوي:**

1 - **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (نا) في (لبعثنا) العائد على المعري متكلماً باسم أبناء جنسه، والسياق الخارجي.

- **المخاطب:** وهو من استحضره المتكلم في ذهنه لحظة إنشائه الخطاب. وذلك المستحضر لا يعدو أن يكون أهل زمان الشاعر فيما نرجّح. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لكل من قدّ له أن يتلقاه.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 10، 11.

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (تبيين) المسند إلى فاعله (أشراط).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو الاستبطاء. ذلك أن الشاعر يستبطن القيامة،

مستلهما قوافيهما **تَلْجِيءُ إِلَى ظُنُّنْ** وَتَنَادِي إِيْلَامْ أ بِغُتَّةٍ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ... {

الآية. محمد/18، والأشراط العلامات، ومنها علامات القيامة، والقيامة تعني قول نجم

الإنسانية ضمن الموجودات، بعد أن يأذن الله لهذا العالم بالخراب والفناء.

وأراد المعري بالأشراط هنا نهاية الحياة، وهو يستبطن هذه النهاية، ولهذا الاستبطاء

دلالاته النفسية التي أمضينا القول فيها آنفا.

د- **فعل التأثير بالقول:** فالتأثير في مثل هذه الحال ضربان: تأثير على المخاطب، وتأثير

على الشاعر نفسه.

أما التأثير في المخاطب فيتمثل في لفت انتباهه إلى أن الحياكثير لما تلجئ الإنسان

إلى ما يكره أن يلجأ إليه، فيولد ذلك في نفسه الرغبة في الموت. لا لأدنا نحب ابتداءً وإنما

نبتغيه مكرهين هرباً من واقعنا الأليم، الذي لم نطق أن نصبر عليه.

وأما ما يتعلق بالشاعر، فلأنه عندما ينفث بالتعبير عن مكنونات النفس، يكون قد أراح

نفسه بتنفيسه عنها.

اللوحيّة 1034:1

أ- **فعل القول:**

مَتَى أَنَا تَالِي الرِّكْبِ فَوْقَ مَطِيٍّ ** عَلَى مَهَلٍ يَغْنِي عَنِ الْمَاءِ تَدَكُّ

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا)، والسياق الخارجي.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، الصدر السابق، ص 118.

- **المخاطَب:** وهو من استحضر المعري في ذهنه أنه يخاطبه. ونرجح أن يكون ذلك المخاطَب أهل زمانه. وذلك هو الأصل في كل خطاب لا يدل على المخاطَب فيه دليلٌ من ظاهر اللفظ. ولا عدول عن الأصل إلا بقريضة، ولا وجود لهذه القريضة ها هنا فتعيّن، إذّا، أن المخاطَب أهل زمان الشاعر. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قُدَّ له أن يتلقاه ولو بعد حين.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو اسم الفاعل (تالي) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه، ومرجع هذا الضمير المستتر في اسم الفاعل (تالي) هو الضمير المنفصل (أنا).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل الاستبطاء، استبطاء الموت. وذلك يدل على أن الشاعر ناقد على الحياة، وكان قد عبر عن هذه النقمة في غير ما موضع من (اللزوميات).

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو تذكير المخاطب بحقيقة الحياة كما يفهمها الشاعر. وتلك الحقيقة هي أن الإقدام على ما تكرهه النفس تمليه قساوة الحياة. وفي ذلك دعوة من الشاعر غير صريحة للشبُّ في إصدار الأحكام على الآخرين، حين نأخذهم بما يأتون من الأقوال والأفعال من دون أن نكلف أنفسنا عناء البحث في الخفيات والبواعث. ثم إن الشاعر نفسه يجد في التعبير عن هذه الحقيقة راحة ومتفسا.

رابعاً: النداء:

توطئة:

وهو من الإنشاء الطلبي،¹ واعتبر بعضهم إضمار الفعل مع فاعله وإِحلال (حرف النداء) محله أحد أسباب إنشائية (جملة النداء)، لأن إظهار (الفعل) يوهم الخبرية. وطالما كان قصد المتكلم هو الإنشاء وجب الإضمار الذي بمقتضاه تكون الجملة قد انتقلت من الخبرية إلى الإنشائية.²

«و النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء».³

وهو تعريف يبدو عليه أثر التأثير بما قاله النحاة في (النداء)، من إقبال المخاطب على المتكلم بمقتضى الدّعوة الموجهة إليه « وفي اصطلاح النحاة هو الدعاء بأحد الحروف...»،⁴ وإِضمار الفعل « اعلم أن النداء، كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره ».⁵ وله الحروف الآتية: الهمزة مقصورة (أ) ممدودة (آ)، يا، أيّا، هيا، أي مقصورة، أي ممدودة، وا.⁶

وما يعيننا من (النداء) كونه فعلاً لغوياً،⁷ تتضوي تحته أفعال هي محل اهتمامنا فيما سنأتي على ذكره.

¹ - ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص 64.
² - ينظر: ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن منالك ومعه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج4، ص 3.
و: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط5، ج4، ص 7.
³ - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 88.
⁴ - ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن منالك ومعه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج4، ص 3.
⁵ - سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تعليق وتحشية وفهرست إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2009، ج2، ص 184.
⁶ - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، المرجع السابق، ج4، ص 1، 2.
⁷ - ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 161.

الفصل الثالث

وقد يعرض للمتكلم ما يدعوه إلى العدول عن الغرض الأصلي للنداء إلى أغراض أخرى، يرشد إليها السياق والقرائن.¹

ولا يستقيم الحديث في (النداء) إلا بالجمع بين الجملتين: (جملة النداء)، وجملة (جواب النداء)، ولا جدوى من جملة النداء بمعزل عن جملة الجواب، إذ هي لا تدل على أكثر من التنبيه، وهذا ما نبّه إليه شكري المبخوت حيث قال: «...لذلك نراه يتصدر الأقوال تصريحاً وتقديراً ولكنه لا يؤدي، في أصل وضعه، من الأغراض إلا التنبية توطئة لعمل لغوي لاحق به».²

فهو، أي فعل التنبيه، يكاد يكون ثابتاً في (جملة النداء)، بخلاف فعل (جملة الجواب) فإنه يتغير بتغير السياق والغرض الذي يساق له الكلام. واللافت أن علماء البلاغة العرب كثيراً ما يطلقون لفظ (الغرض من النداء)، ويعممونه على الجملتين، مع أن ما يذكرونه مستفاد من جملة (جواب النداء) لا من (جملة النداء). فهم بذلك يغضون الطرف عن (جملة النداء)، وبالأحرى يصرفون عنها اهتمامهم، لأنها تُتركّز تمهيداً لفعل (جملة الجواب). كما نبّه إلى ذلك المبخوت في النص السابق. لذلك فنحن في حديثنا عن (النداء) أمام جملتين، لا جملة واحدة. وهو المنهج الذي سنسلكه في تعاملنا مع ما أمكن إيرادها من النماذج.

تطبيق

- الالتماس:

الْوَمِيَّة 05:3

بَذِي الْهَرَمِهَا رَأَيْتُ هَذَا كَمْ *** فَاذْبَنْفَسِي لَا مَحَالَةَ بَدَأُ

¹ - ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 88.

² - شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص 209.

³ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج1، ص 47.

أو لا: جملة النداء:

أ - فعل القول:

بني الدهر

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر وجوبا في الفعل المضمر (أنادي) أو (أدعو). فهذا الضمير يحيل على متكلم مفرد، وذلك المتكلم المفرد هو المعري بشهادة السياق الخارجي.

- المخاطب: وهو (بني الدهر) ويشمل جميع أفراد الجنس البشري ابتداء بأهل زمان الشاعر، فإنهم المعنيون بالخطاب في المقام الأول.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المضمر، المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التنبيه، تنبيه المخاطب إلى ما سيورده عليه المتكلم لاحقا.

د - فعل التأثير بالقول: وهو مجرد التنبيه. وهنا يتطابق الفعل الإنجازي مع فعل التأثير بالقول في الغرض.¹

¹ - ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 209.

ثانيا: جملة (جواب النداء):

أ - فعل القول:

مهلا ...

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم في البيت ابتداء من الضمير (أنا) المستتر وجوبا في الفعل المضمر (أنادي) أو (أدعو) و (تاء الفاعل) و(ياء المتكلم) والضمير المستتر في (ذمت، بنفسي، أبدأ) على الترتيب. ويمكن أن نضيف إلى ذلك (ياء المتكلم) الواقعة مفعولا به للعامل المحذوف، إذ التقدير: امهلوني مهلا «... ولله والمه والمه لة، الكسنة والنؤدة والرَّفْق...»¹. والفعل (مهل)، ثم حذف هذا الفعل، وحذف معه فاعله ومفعوله، وناب منابه مصدره (مهلا).

غير أن هذا الضمير الذي يحيل على المتكلم لا يكفي، لأنه لا يحيل على معين بذاته. وعليه لا بد من التعويل على إلى السياق الخارجي الذي من شأنه أن يدلنا على أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه الضمير (واو الجماعة) المتصل بالفعل المحذوف (امهلوني)، والذي أغنى عنه مصدره (مهلا) وناب منابه. ومرجع هذا الضمير هو المنادى (بني الدهر). والخطاب يشمل أهل زمان الشاعر وغيرهم بحكم أن الصفة التي وصف بها الشاعر المنادى (بني الدهر) تعلق بالجنس كله على ما يفسر من فلسفة المعري ورأيه في الناس.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق وتعليق وتحشية عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج11، مادة (مهل)، ص 754. وينظر: ص 757.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل المحذوف (امهل) المسند إلى فاعله (واو الجماعة) المتصل به. وقد أغنى عن هذا الفعل مصدره (مهلا) كما أسلفنا.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو إنجاز فعل الالتماس، التماس المهل والتؤدة قبل إصدار الحكم.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع المتكلم مخاطبه بصحة رأيه في الإنسان الذي هو شرير وعدواني بطبعه، وليس مل دَعِ أن يدعي ما لا تسمح به هذه الطبيعة.

ويترتب على الإقرار بهذه الحقيقة الإنسانية أمورٌ ، منها حتمية التماس العذر لمن نراه على غير الجادة، بعد أن يكون قد استنفذ ما في الوسع للاحتراز من الوقوع في المحذور، وعلى الناس أن يحتمل بعضهم بعضا بعيدا عن التشذج والمؤاخذه والتعقب وتصيد العثرات، بل وأن يؤخذ بيد الضال إلى الحق وإعانتة عليه.

وإذا ما اقتفينا أثر علماء البلاغة في تعاملهم مع (النداء) اعتبرنا الفعل الإنجازي (فعل القول) المؤلف من الجملتين (جملة النداء وجملة الجواب)، هو الالتماس. لأنهم كثيرا ما يستمدون غرض النداء من (جملة الجواب) وما يتصل بها، لا من (جملة النداء) وكأذهم بذلك ينظرون إلى (جملة النداء) على أنها ليست غرضا قائما بذاته، أو أنها بمعزل عما بعدها لا غناءَ فيها وإنما جيء بها في الكلام تمهيدا لما بعدها.¹

¹ - ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية – مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 209.

الْوَمِيَّة 88:1

قَدْ يَسُوُّوْا لِدَفِينِ حَانَ مَصْدَعُهُ ***بَيْتًا مِّنَ الْخُشْبِ لَمْ يُرْفَعُوْا رَحْبًا
يَا هَوْلَاءِ رَاتُكُمْ وَلَدَّتْ يَ هُيْ ***تَنَلُّ بِهِ، وَهُوَ أَلِي صَدَاحٍ صَدْحًا

لا بد من التنبيه إلى أن غرضنا يتعلق بالبيت الثاني لا الأول. وإنما أوردنا البيت الأول لتعلق البيت الثاني به.

أولاً: (جملة النداء).

أ - فعل القول:

يا هؤلأء

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) المستتر في فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المضمرة. غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. وعليه لا بد من الرجوع إلى السياق الخارجي الذي من شأنه أن يدلنا على أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو من يحيل عليه اسم الإشارة (هؤلأء). وهذا الذي يحيل عليه اسم الإشارة هو من يتولى تجهيز وتشييع ودفن الميت. فالمحال عليه باسم الإشارة مدلول عليه بظاهر اللفظ في البيت الأول ونرجح أن يكون الخطاب موجهاً إلى كل من يتولى خدمة الميت إلى غاية دفنه بل يشمل الخطاب كل من قُدَّ له أن يتلقاه ما دامت السنة في البشر هي الموت إن آجلاً وإن عاجلاً، فاللاحق منهم يقوم بخدمة السابق وتجهيزه وتشييعه ودفنه وقد يحضو المعريَّ حينَ خاطبَ معيَّن لحظة الإنشاء، إلا أن هذا الخصوص إن وجد لا يمنع عمومته.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 110.

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المضمر، المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التّنبية.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو شدّد الشاعر انتبأً المخاطب إلى ما سيُوردُ ه عليه وفي التّنبية دليل على أهمية اللاّ حق.

ثانياً: جملة (جواب النداء).

أ- **فعل القول:**

أتركوه والذّرّى، فله *** أنس به،

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري بشهادة السياقين الداخلي والخارجي كما عرفنفي جملة الذّ داء.

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه ضمير المخاطب (واو الجماعة الفاعل) في (أتركوه) فهذا الضمير يحيل على من أحوال عليه اسم الإشارة من قبل.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (أتركوا) المسند إلى الضمير (واو الجماعة) الذي هو فاعل فعل التّرك المأمور به.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل الالتماس، التماس فعل التّرك. ذلك أن

الشاعر يرى أن ترك الميت ومصيره الذي هو آيل إليه أولى من هذا الذي اعتاده الناس من الاحتفاء بالميتّ تجهيزاً، وتثيلاً، وإقبّاراً.

ولعل رأي المعري هذا لا يؤخذ على ظاهره بل الأولى به أن يحمّل على كون الميّت

يستحقّ أن يهدأ على أنه تخلص من دار العناء، كما قال في موضع آخر:¹

تَبَّ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَاطٌ - ***جَبَّ لِإِنِّي رَاغِبٌ فِي ازْدِيَادِ

ضَدَّ عَمَلَةَ الْمَوْتِ رَقْدَةً يَسْتَرِيحُ لِلْجَنَّةِ* فيها والعيش مثل السُّهَادِ

وأنه أي الميت إنما كان في حاجة ماسّة إلى هؤلاء المشيعين قبل مماته، وأنهم إذ

ذاك لم يكونوا يعبدون، فما لهم اليوم -وقد صار في غي عنهم- يقيمون من حوله هذه

الهالة من التعظيم وتكلف ألوان الحزن والأسى!.

د-فعل التّأثير بالقول:

وهو إقناع المخاطب بما مفاده أن المرء أحوج ما يكون إلى أن يعتنى به ويؤخذ ذ بيده

ما دام حيّاً، ولا جدوى من خدمته والاحتفاء به بأي شكل من الأشكال إذا ما فارقت روحه

جسد ه.

والمعري برأيه هذا يصدّب انحرافاً وقع فيه الناس من جهة احتفائهم بالأموات، بعد

أن كانوا سبباً في شقائهم وتعاستهم ظلماً وعدواناً:²

وليسَ الثُّبُّ يَكُلُّ حُلْمَ ثَبِّ ***يَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً عِيَاناً

فالفعل الإنجازي للجمليتين: (جملة النداء) و(جملة الجواب)، هو فعل الالتماس، المستفاد من

(جملة الجواب) بعد أن مهّد لها المتكلم بجملة النداء).

¹ - أبو العلاء المعري، سقط الزند، مرجع سابق، ص 8.

² - الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، ديوان الشافعي، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي، المكتبة الثقافية ببيروت، ص

- الذم:

اللويمية 06:1

خَسَتْ يَا لَمْنَا الدُّنْيَا فَلَئَا لَنَا *** جَنُورُ الذَّيْسَةِ الْوَشَى حَسَا

أولاً: (جملة النداء):

أ - فعل القول:

يا أمَّنا الدنيا

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر وجوباً في الفعل المضمر (أنادي) أو (أدعو). إذ أصل الجملة: أنادي أو أدعو أمنا الدنيا. ثم أضمر الفعل (أنادي) أو (أدعو) مع فاعله المستتر فيه. وبمقتضى هذا الإضمار تحولت الجملة من خبرية إلى إنشائية. وكنا قد أوضحنا ذلك من قبل.

وبحكم أن هذا الضمير (نا) المستتر في الفعل المضمر (أنادي) أو (أدعو)، لا يحيل على معين بذاته، كانت الحاجة إلى السياق الخارجي مُلحّة، لأنه وحده الكفيل بالإحالة على المتكلم الذي هو المعري دون سواه. واعتمد الشاعر الضمير (نا) لغرض بلاغي وهو حتمية الانتماء إلى المجموع الذي هو الجنس البشري وما يترتب على هذا الانتماء من تبعات.

- المخاطب: وهو المنادى (أمنا).

وهناك المخاطب الذي يكون المعري قد تلهضه في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب. وذلك المخاطب لا يعدو أهل زمان الشاعر أولاً. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 48.

الفصل الثالث

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المضمّر، المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التنبيه.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو تنبيه الشاعر المخاطب إلى ما سيؤثره عليه لاحقاً.
ثانياً: جملة (جواب النداء).

أ- **فعل القول خست**

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلم:** وهو المعري، يحيل عليه كل من الضمير (أنا) المستتر في فعل النداء المضمّر، والسياق الخارجي.

- **المخاطب:** وهو من يحيل عليه الضمير (ت) المتصل بالفعل (خست) وذلك المحال عليه هو (أنا الدنيا).

ثم هناك المخاطب بالمعنى العام الواسع وهو كل من قد له أن يتلقى خطاب ابتداءً بأهل زمان الشاعر.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (خست) المسند إلى فاعله (ت) الضمير المتصل.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل الذمّ قد دأب الشاعر على ذمّ الدنيا في

مواضع كثيرة من اللزوميات، بل إن ذمّ المعري للدنيا يشكل الجزء الأكبر من فلسفته.

د- **فعل التأثير بالقول:** إقناع المخاطب بأن الدنيا تستحق أن تدم، لأنها مصدر أذى للإنسوان إذا ما أقرَّ المخاطب بذلك تعيّن عليه أن يعذر الشاعر في ذمّه للعنلنا، وأن يوطّن نفسه على أن يتكيف مع تكاليف الحياة وتبعات الضرب فيها، طالما كان ذلك فيها قضاء مبرما، لا سبيل لإنكاره أو صرفه. والتكيف مع الواقع لا يعني الاستسلام والأخذ بالأيسر الذي لا كلفة فيه، وإنما يعني الجد والاجتهاد والمغالبة في حدود ما تتّسع له الطّاقة، رجاء التخفيف من شدة وطأة الحياة، وليطمئن المرء نفسه بكونه لم يقصد ر ولم يتسبب فيما قد يعرض له من المصائب والخطوب.

والفعل الإنجازي للجملتين: (جملة النداء) و(جملة الجواب) معاهو الذمّ . ولئن كان الذمّ قد استنفيد من (جملة الجواب) لا من (جملة النداء)، فمن السائغ -والحال تلك- اعتبار (جملة الجواب)، بحكم أن النداء، كما ذكرنا لحيء به تمهيدا لما هو غرض في الكلام. والغرض الذي سيق له الكلام يتعلق ب(جملة الجواب) وما يتصل بها، لا ب(جملة النداء).

-التنغيص:

الووميّة 16:1

فارقني يا عصماء وما ولو أنذ. ***أنفني ر أس شاهق عصماء.

أولا: (جملة النداء).

أ- فعل القول:

يا عصماء

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في الفعل المضمر (أنادي) أو (أدعو) وجوبا. وبحكم أن هذا الضمير لا يحيل على معين بذاته، كان لا بد من التعويل

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 56 إلى 59.

الفصل الثالث

لغى السدّ ياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

- **المخاطب:** وهو عصماء، وهي الممتعة في الجبال، أملا في أن يعصمها ذلك المكان من أن تتألم يدُ القدر بمكروهه. وعصماء، هنا، رمز لكلِّ من اعتدَّ بقوته وجبروته كما قال رب العالمين في أهل الكتاب: ﴿ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّاعِزُّهُمْ أَهْلُ اللَّهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا

يَدُ تَسِدُ بِوَا...﴾ الآية/ الحشر 02.

وربما كان أوضح وأقرب إلى معنى البيت قوله تعالى: ﴿يَلْمِزُكَ أَتُكُونُ أَجْدُرَ الْكَوْنِ﴾ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ...﴾ الآية/ النساء 78.

(عصماء) إذاً، هي المخاطب المدلول عليه بظاهر اللفظ وثمَّت المخاطب الذي هو كلٌّ من قدَّر له أن يتلقى الخطاب ابتداء بأهل زمان الشاعر. ولا مانع بعد ذلك من أن يتَّسع لغيرهم.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المضمر، المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو فعل التقييد تنبيه المتكلم مخاطباً به إلى ما سيورده عليه لاحقاً.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو شأ المتكلم انتباه المخاطب إلى ما سيورده عليه.

ثانيا: جملة (جواب النداء).

أ - فعل القول:

فارقبي يوما

والأصل في التركيب: يا عصماء ارقبي يوما. لأحقية النداء بالصدارة في الكلام. ثم تقدم المفسر الذي هو الجملة الفعلية (ارقبي) دلنا على جملة (جواب النداء) المحذوفة والتي هي من لفظ الجملة المفسر وهو ما يعرف عند النحاة بالحذف على شريطة التفسير.¹

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المحذوف، والذي أغنى عنه حرف النداء (يا) وناب منابه. غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه لذلك فإننا نعوّل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: وهو الذي يحيل عليه ضمير المخاطبة (فارقبي) الذي يعود على (عصماء). وثمت المخاطب الذي يكون المعري قد استحضر في ذهنه أنه يخاطبه. ونرجح أن يكون ذلك المخاطب أهل زمان الشاعر، فإنهم المعنيون ابتداء. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لغيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (ارقبي) المسند إلى فاعله (ياء المخاطبة).

¹ - ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 209.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التّ نغيص، أي تكدير صفو الحياة على المخاطب، بالتهوين من شأنها، وتبيين عاقبة العيش فيها، كبها لجماح النفس وحملها على الاستقامة والتهيد¹ و لما هو آت.

د- فعل التّ أثير بالقول:

وهو حمل المخاطب على الاستقامة من جهة تذكيره بالمصير المحتوم الذي هو آيل إليه لا محالة. واستقامة الحياة من استقامة النفس وما تحمله وتتحمّل به من القيم:¹
 صَلَاحُ أَمْرِكَ لِأَخْلَاقٍ مَرْفُوعَةٍ أَلْفَقَسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسَدُّ تَقَرُّمِ
 واستقامة النفس وصلاحها في كبح جماح هواها، وحثّها على الإمعان في التّأمّل. ولا يزال التّذكير بالموت أبلغ واعظ وأصدق.

والفعل الإنجازي الجامع بين الجملتين: (جملة النداء) و(جملة الجواب)، هو فعل التّ نغيص بالمعنى الذي أوضحنا. وفعل التّ نغيص ينسحب على الجملتين معاً، على اعتبار أن فعل التنبيه المستفاد من جملة النّ داء فعل تمهيدية لا غنّاء فيه معزولاً عما بعده. وذلك لإمكان استغناء فعل الجواب عن فعل النّ داء، وعدم إمكان الاستغناء بفعل النّ داء عن فعل الجواب، إذ لا جدوى من النّ داء بغير جواب. ومن هنا كاد علماء البلاغة يهملون جملة النّ داء عند تقديرهم للغرض. ذلك أنهم عادة ما يقتصرون على الغرض المستفاد من جملة الجواب ومليّة صل بها ويعمّ مونه تحت ما يسمونه بالغرض من النّ داء). وهم يعنون بالنداء لجملة النّ داء) و(جملة الجواب) معاً.

¹- أحمد شوقي، الشّوقيات، دار العودة- بيروت، ج1، ص 194.
 - 261 -

- الإقرار:

الْـؤُمِيَّة 16:1

نُكَّ يَا آدَ، آمَّ لِسْبِ هَوَّ ا ***وُكَّ فَيَحْدَلُوَّ أَوْهَآءُ

أولاً: (جملة النداء).

أ - فعل القول:

يا آد، آدم السَّ رب

على أن (آدم) الثانية بدل من (آد) الأولى والتي هي ترخيم (آدم).

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) المستتر وجوباً في فعل النداء (أنادي)

أو (أدعو) المحذوف والذي أغنى عنه حرف النداء (يا) وناب منابه. غير أن هذا الضمير

لا يحيل على متكلم بعينه. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل

بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير إنما هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو المنادى (آد) المرخم، و(آدم) هنا رمز لكل إنسان. وثمت المخاطب الذي

هو كل من قُدِّرَ له أن يتلقى الخطاب ولو بعد حين. ويمكن بهذا الاعتبار أن يكون هذا

المخاطب الثاني من جملة المخاطب الأول وامتداداً له.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه

فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المحذوف المُسند إلى

فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 56 إلى 59.

الفصل الثالث

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التنبيه، تنبيه المتكلم المخاطب إلى ما سيورد ه عليه لاحقاً.

د- فعل التأثير بالقول: لفت انتباه المخطب إلى أن ثمّ تشيئاً يستحقّ أن يحصر الاهتمام فيه.

ثانياً: جملة (جواب النداء).

أ- فعل القول:

أنت حوّ أوّك فيه حوّاء أو أدماء

والضمير (ه) في (فيه) يعود على (الدّ رب) المذكور في البيت.

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، بشهادة السياقين: الداخلي المتمثل في الضمير (أنا) المستتر في الفعل (أنادي) أو (أدعو)، والخارجي المتمثل في معرفتنا من خارج (فعل القول) أن اللزوميات للمعري.

- المخاطب: وهو (آدم) له حال عليه بضمير المخاطب (أنت) و(الكاف) في (حواؤك).
وتمّت المخاطب الذي هو كل من قدر له أن يتلقى الخطاب. ويمكن بهذا الاعتبار أن يكون هذا المخاطب الثاني من جملة المخاطب الأول وامتداداً له.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد وهو توجّه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الجملة الاسميّة (أوّك حوّاء) فهذه الجملة سدت مسد المحمول المفرد، وقد أسندت هذه الجملة الاسمية إلى المبتدأ (أنت).

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الإقرار، وهذا على اعتبار أن الجملة الاسمية المركبة (حواؤك حوّاء) التي هي جواب النداء جملة خبرية، والمعنى أنت يا من

الفصل الثالث

سميت آدم من الأدم الذي هو السدّ (و) لا يعدو أن يكون نصيبك في الحياة هو أحد هذين: حواء أو أدماء فجاء من الحواء التي هي اسوداد إلى العروة أو حمرة ضاربة إلى السدّ (و) في مقابل الأدم الذي هو السوداء والمؤنث أدماء.

فالحواء تشير إلى ما هو إيجابي في الحياة، من خير ونحوه مما هو إيجابي والسدّ مرة تشير إلى السلبية التي هي الشر وما دار في فلكه. والمقصود هو أنوداء التي هي مطلب آدم ومبتغاه، ولعلّها هنا دنيانا هذه التي نبتغيها ونجدّ في طلبها على ما فيها من العناء كما قال فيها المعري نفسه:¹

نُحِبُّ العيشَ بِغُضٍّ أَلَمْ نَأْوِلْهُ * بِمَاءٍ هَوَّيْنَا الْأَشْقِيَاءَ

وهي لا تعدو أن تكون خيرا أو شرا، أو هما معا وكلاهما في الحياة مرحليّ وليس بالسرمديّ ولا تزال حياة المرء متأرجحة بين هذا وذاك إلى أن يؤذن له بالرحيل.

د- فعل التّأثير بالقول:

وهو حمل المعري مخاطبه على الإقرار بما يراه في الحياة إذا هو ما أقرّ بذلك فما عليه إلا أن يوطئ نفسه وردّ وضمها على احتمال الخير والشر معا. فلا بطر ولا جزع. والفعل الإنجازي الذي تحمل عليه الجملتان: (جملة الذّداء) و(جملة الجواب) هو فعل الإقرار المسفد من جملة الجواب والذي من أجله شدّ أنتباهُ المخاطب بجملة الذّداء التي مهّد بها الشاعر لتقرير فعل الجواب.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 52.

-الإرشاد والتوجيه:

اللوامية 52:1

يا صاح ما لك الإعجاب من نفر *** لا وهم رل ووس القوم عجاب

أولا: جملة النداء.

أ - فعل القول:

يا صاح

والأصل: يا صاحب. ثم حذفت الباء ترخيما.²

ب - الفعل القضي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في الفعل المضمر (أنادي) أو

(أدعو) وجوبا. غير أن هذا الضمير لا يحيل على معين بذاته. لذلك نحتاج إلى السياق

الخارجي، فإنه الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون غيره.

- المخاطب: وهو المنادي المرخم (صاحب). وليس بالضرورة أن يكون صاحبا حقيقيا، بل

يمكن أن يفهم على أن الشاعر ذهب فيه مذهب التمثل ليصل إلى غرضه من النداء.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه

فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المضمر، المسند إلى

فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التنبيه، تنبيه المخاطب إلى ما سيلقى

عليه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 52.

² - ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المرجع السابق، ج2، ص 256.

و: عباس حسن، الدحو الوافي، المرجع السابق، ج4، ص 115.

الفصل الثالث

د - فعل التأثير بالقول: وهو لفت المتكلم انتباه المخاطب إلى أن ما سيورده عليه يستحق الاهتمام والتركّ ب وكلفة الانتظار.

ثانيا: جملة (جواب النداء).

أ - فعل القول:

... ما أَلَف الإِعجاب من نفر *** إلا وهم لرؤوس القوم أعجاب

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في فعل النداء المحذوف، والسياق الخارجي.

ولا يؤخذ علينا أن جعلنا المتكلم محالا عليه بظاهر لفظ (فعل القول). وذلك لأننا تعاملنمع جملة النداء التي حذف فيها الفعل مع فاعلو كأنها قائمة لفظا.

- المخاطب: وهو المنادى (صاح) ولا يقصد الشاعر صاحبا معينا، وإنما نرجح أن يكون قد ذهب في ذلك مذهب التمثل كما ذكرنا. ولا يمتنع أن يكون المعري قد قصد مخاطبا معينا لحظة إنشاء الخطأ لأننا نرجح الرأى الأول اعتمادا على الغرض الذي سيق له الكلام. وثمّت الخاطب الذي هو كل متلق قدر له أن يتلقى الخطاب ابتداء من أهل عصر الشعراء.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (ألف) المنفي بـ(ما) المسند إلى فاعله (نفر) المجرور بحرف الجر الزائد (من).

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الإرشاد والتوجيه، فالشاعر ينفر من (الإعجاب) الذي هو الزهو والكبر والخيلاء بكون من كان كذلك فهو أخرى بأن يكون (عجزا) أي ذنبا تابعا لسيده ياتمر بأمره. ولا شك في أن التفسير من هذه الصفة من شأنه أن

الفصل الثالث

يحمل على الاستقامة التي تعني، هنا، التواضع والثبات على المبدأ، وإن قل المظاهر والنصير.

د- فعل التّأثير بالقول: وهو إقناع المخاطب بصحة ووجاهة ما يدعوه إليه من التواضع وتقدير النفس حق قدرها بعيداً عن الادعاء والتكلف، لأنّ ادّعاء المرء ما ليس فيه يورثه التبعية لمن هو أقوى وأكمل وأمثل في اعتقاده.

وفعل الإنجاز لـ (جملة النداء) و (جملة الجواب) هو فعل الإرشاد والتوجيه الممهّد له بفعل التّنبية المستفاد من جملة النّداء).

- التّحذير:

الوهميّة 96:1

يا راعيِ المَصْرِمَا سَهَتَ في رَغْبٍ *** وَرَعْدُكَ الشَّلَاةُ فَاحْرُذْ جَارَكَ النِّيْبَ ا
تَوَمَّ تُهْذِيبَ هَذَا الذَّلَقِ مِنْ دَنَسٍ، *** وَاللَّهُ مَا شَلَّهَ لَأَقْوَامٍ تَهْذِيبًا

ولا بدّ من التّنبية إلى أن غرضنا يتعلق بالبيت الأول لا الثاني وإنما أوردنا البيت الثاني تكملةً وزيادة في الإيضاح.

أو لا: (جملة النّداء).

أ- فعل القول:

يا راعي المصّر

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) المستتر في فعل النداء (أنادي) أو (أدعو) المحذوف، والذي أغنى عنه حرف النداء (يا)، وناب منابه. غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك تعيّن التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يربط الموحّد حال بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 114.

الفصل الثالث

- **المخاطب:** وهو المنادى (راعي المصّر)، والمصّر هي الناقة التي يستر ضدّها بقماش يمنع ابنها من الرّضاة فهو ينادي راعي هذه النّاقة منبّهاً إلى ما هو عازمٌ على أن يورده عليه.

ومخاطبة الشّاعر راعي المصّر خطابٌ إلى كلّ من هو بمنزلته في أيّ موقع من مواقع الحياة.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو فعل النّداء (أنادي) أو (أدعو) المحذوف، والمسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوباً.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمّن في القول):** وهو فعل النّبيه.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو لفظ المتكلّم انتباه المخاطب إلى ما يورده عليه.
ثانياً: جملة (جواب النّداء).

أ- **فعل القول:**

... ما سومت في رعد، *** وعرسك الشاة، فاحذر جارك الذيبا

ب- **الفعل القضوي:**

1- **فعل الإحالة:**

- **المتكلّم:** وهو المعري بشهادة السياقين الداخلي والخارجي على النّحو الذي عرفنا.

- **المخاطب:** وهو (راعي المصّر) الذي يحيل عليه ضمير المخاطب في سلوّم، فاحذر). وهذا المخاطب مدلول عليه بظاهر لفظ (فعل القول) وثمّت المخاطب الذي لا دليل عليه من ظاهر اللفظ، وهو كل من قدّر له أن يتلقّى الخطاب ابتداءً من أهل زمان الشّاعر.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

الفصل الثالث

- **القصْد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (احذر) المسند إلى فاعله (أنت) المستتر فيه وجوبا.

ج- **فعل الإنجاز (التضمّن في القول):** وهو فعل التحذير، حيث إنّ الشاعر يحذّر

المخاطب من أن يؤتى من جهة الاشتغال بالدنيا والسعي وراء الكسب. فالإمعان في الدنيا

عادة ما يشغل عن الأهل والولد والحريم والسديد في ذلك أن يرعى المرء أهله، وولده

وحريمه كما يرعى دنياه ورزقه الذي إليه يسعى. ويمكن أن يحمل الفعل هنا على النصيح

والإرشاد.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو إقناع المخاطب بجدوى التّوازن في الحياة، فلا إفراط ولا

تفريط.

وأما الفعل الإنجازي لجملة الذّداء) و(جملة الجواب)عاً، فهو فعل التحذير المستفاد

من (جملة الجواب) والذي مهّد له المتكلم بفعل التّنبية المستفاد من جملة الذّداء).

- **الاعتبار:**

اللّوميّة 97:1

يا آلَ غَسَّانَ وَفُؤَىٰ مِنْكُمْ هَيَّ *** تَغْشَىٰ الْعُفَاةُ بِهِ الشُّبْنَ وَالشَّيْءَ ١

يَسْقُونَهُمْ مِنْ حَلِيبِ الْجَفْنِ صَدَافِيَةً *** يَأْرِدُ كَلِيبُ الْجَفْنِ مَا شَدِيدًا

وغرضنا يتعلق بالبيت الأول، وإِنما أوردنا البيت الثاني تكملة وزيادة في الإيضاح.

أولاً: (جملة الذّداء).

أ- فعل القول:

يا آلَ غَسَّانَ

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 115.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري المحال عليه بالسياقين: الدّخلي والخارجي وقد أوضحنا ذلك فيما سبق بالقدر الذي يغني عن الإعادة.

- المخاطَب: وهو المنادى (إلا غسّ ان) والوجه في مخاطبة آل غسّ ان وقدوتّ طّا ولم يبقَ منهم إلا ما حفظه التاريخ- هو إرادة الاعتبار، فضلاً عن أن الوضع الطبيعيّ في حياة الإنسان أن تقوم على وصل الماضي بالحاضر.

لذلك يمكن اعتبار الخطاب في جوهره موهجاً إلى كل من قدّر له أن يتلقاه ابتداء بأهل زمان الشاعر.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول) وهو فعل النّداء (أنادي) أو (أدعو) المحذوف والمسندُ إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول) وهو فعل التّنبية.

د - فعل التأثير بالقول: وهو لفعل المتكلم انتباهَ المخاطبِ إلى ما يُوردُه عليه.

ثانياً: جملة (جواب النّداء).

أ - فعل القول:

... أقوى منكم وطن *** تغشى العفاة به الشبان والشيبا

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري يحيل عليه السّدّ ياقان: الداخلي والخارجي.

الفصل الثالث

- **المخاطب:** وهو المنادى (إلا غسان)، الذي يحيل عليه ضمير المخاطب (كم)، في (منكم) وقد أشرنا من قبل إلى الوجه في مخاطبة مَنْ مَضَى من الأَقْوام، وتولَّى عهدُهُ. ومخاطبة مَنْ مَضَى هي، في جوهرها خطاب للحيِّ الذي يسمع، ويرى، ويفكر ويقدر.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (أقوى) أي خلا من سكاّنه، المسندُ إلى فاعله (وطن).

ج- **فعل الإنجاز (المتضمّن في القول):** وهو فعل الاعتبار، الاعتبار بآل غسان الذين كانت لهم الصولة والجولة في بلاد الشام، فكان يؤمهم الشعراء من جزيرة العرب لينالوا عطاياهم ثم دَلَّتْ دَوْلُهُمْ، فَلَنَجْمُهُمْ أَصْفَحُوا مجرد خبر يرويه اللاحق عن السابِق ليعتبر به أولوا الأحلام والنذهي.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو تذكير المخاطب بأن الحياة دول، وأن اللبيب مَنْ اعتبر بغيره. وآية الاعتبار أن يكون للعقل على الحياة وتجاذباتها سلطانٌ قاهر يحدّ من غلوائها:¹

هي الدنيا تقولُ ملءُ فيها *** دَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
فلا يغررُكُمْ حُسْنُ ابتداءِمي *** ففَقَلِي مَضْحَكُ والفعلُ بُكِي

وأما الفعل الإنجازي للجملتين معا (جملة النداء) و(جملة الجواب)، فهو فعل الاعتبار المستفاد من جملة الجواب، والذي مهد له الشاعر بفعل التنبيه المستفاد من (جملة النداء).

¹ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط3، 1983، ج1، ص324.

- الذّنبَة:

الْوَصِيَّة 198:¹

وَارْحَمَ تَا لَلَّامِ كُلَّهُ. *** فَلَيْمَ مِنْ وَهَى الْحَيَاةِ تَأْوَ

أ - فعل القول:

وارحمتا الأنام كلهم *** ...

وما ينبغي التنبيه إليه هو أننا سنتخلى، هنا، عن التقسيم الذي دأبنا عليه في النداء، لأننا سنتعامل، هنا، مع (فعل القول) على أنه واحد كما سنرى.

ب - الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد (أنا) المستتر وجوبا في فعل الذنبَة (أندب) المضمر، والذي أغنت عنه ونابت منابه الواو التي هي حرف نداء خاص بالندبة. وبحكم أن هذا الضمير (أنا) المستتر لا يحيل على نادب معين. كان لا بد من التحويل على السياق الخارجي فإنه، وحده، الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون سواه.

- المخاطب: وهو المندوب (وارحمتاهن) باب إنزال الرّحمة منزلة الفقيد المتفجّع عليه، مبالغة في فداحة الخطب، وشدة وقع النازلة. ونداء الهالك أو ندبته قد تكون حقيقة أو حكما.²

وهو في حقيقة الأمر خطاب موجه إلى الأحياء، وصرفه إلى الميت أو الهالك أملتة حالة المتكلم أو النادب النفسية. لذلك يمكن اعتبار الخطاب في مثل هذه الحال خطابين، خطابا موجهها إلى النفس إرضاء لها وتنفيسا عنها، وخطابا موجهها إلى الآخر، قصد إليه

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 192.

² - ينظر: عباس حسن، الذّحو الوافي، المرجع السابق، ص 89، 90.

الفصل الثالث

المتكلم أم لم يقصد، وذلك المخاطب هو كل من قدر له أن يتلقى الخطاب ابتداء من أهل زمان الشاعر.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول) للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل الندبة (أندب) المضمر، والذي أغنت عنه (واو الندبة) والمسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الندبة المتمثل في التفجع على المندوب الذي هو الرحمة، فكأنَّ الرحمة التي نرى أن الأنام في هذه الحياة أحوج ما يكونون إليها قد ماتت، فلم يعد لها أثر في حياة الناس، وإنما صد الناس عن أن يرحموا شغفهم بالحياة وتعلقهم بها.

د- فعل التأثير بالقول: وللتأثير بالقول هنا جانبان: جانب يتعلق بالنادب نفسه، فهو بندبه الهالك ينفس عن نفسه ويخفف من حدة آلامها، والهالك هو الرحمة كما بينا وجانب يتعلق بالمخاطب، ويتمثل في حمله على أن يشارك النادب تفجعه وآلامه، وهو ضرب من التضامن تقتضيه الطبيعة البشرية، بيد أنه يحتاج إلى مثير.

التعجب ب:

اللوامية 199:1

أ - فعل القول:

فِيَا لَهَنَّا رِي إِذَا أَمْسَدَكُ وَا *** وَا لِيْلَهُ يَهُودِ إِذْ لَسَّابَتْ وَا

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) المستتر وجوبا في الفعل (أتعجب) المضمر، والذي أغنى عنه حرف النداء (يا) وناب منابه. وهذا الضمير لا يحيل على معين. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: وهو المنادي (النصاري) و(اليهود)، فهو ينادي النصاري واليهود متعجبا منهم، ومحلّ التعجب في (النصاري) هو صيامهم وسكونهم. وأما محلّ التعجب في (اليهود) فهو إسمائهم أي انقطاعهم للعبادة يوم السبت.²

وهناك المخاطب الذي هو غير مدلول عليه بظاهر لفظ (فعل القول)، وذلك المخاطب هو كل من قدّر له أن يتلقى الخطاب ابتداء من أهل زمان الشاعر.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل التعجب (أتعجب) المضمر، والمسند إلى فاعله (النصاري) في العبارة الأولى، و(اليهود) في العبارة الثانية.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 193.

² - ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج 15، ص 36.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول) وهو فعل التعجب، التعجب من عبادة النصارى واليهود، و مسلّكهم فيها.

د- فعل التأثير بالقول: و هو حمل المخاطب على الاقتناع برأي الشاعر في النصارى واليهود. و هو رأي يقضي بعدم وجاهة ما يأتونه من العبادة إما لأن ذلك ليس جدياً منهم، وإنما هو اصطناع وانعاء لأغراض دنيوية، انطوت عليها أنفسهم ما إنكاراً للتعبد على الوجه الذي يأتون. ولا يستبعد أن يكون الإنكار من الشاعر للأمرين معا. بل ما جاء عقب البيت الذي هو محل النظر، يرجح هذا الذي ذهبنا إليه من سبب إنكار المعري على النصارى واليهود ما أتوا نعني قوله:

وَقَدْ دُلُّوا عَنْ عِبَادَاتِهِمْ *** فَمَا أَيُّهَا وَلَا تَبْتَ تَوَا

-التحسّر ر:

الْوَمِيَّة 470:1

أ- فعل القول:

يَا هَلْفَ نَفْسِي عَلَى أَنْ تَرَجَعْتُ إِلَى *** هَذِي الْبِلَادَ ، وَلَمْ هَلْكَ بِيغْ دَاذَا

ب- الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم (أنا) المستتر في فعل النداء (أنادي) أو (أندب) المضمر، وفي (نفسى) و(أني) و(رجعت) و(أهلك). بيد أن هذا الضمير لا يحيل على معين. لذلك يتحتم التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: وهو المنادى (لهف نفسي) من باب إنزال النفس منزلة الآخر الذي يستحق أن يُجَّأ إليه الخطاب. وهذا ليس بالجديد، فقبرّ د الشاعر العربي من قبل مخاطباً من نفسه،

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 375.

الفصل الثالث

توجه إليه بالخطاب، استجابة لحالة نفسية يعانيتها. وسموا ذلك الأسلوب (الخطاب على سبيل التجريد). ومن نماذج قول عنتره في معلقته:¹

هَلْ غَادَ الشُّرَاءُ مِنْ مِرْتٍ لَمْ *** أَهْلَ عَرَفَتَ الدَّ بَعْدَوْتَ هُ .

ووجه الاستشهاد في هذا هو أن المعري أنزل (لهف نفسه) منزلة الآخر المندى أو المخاطب، مثلما كان عنتره من قبل قد أنزل نفسه منزلة الآخر، الذي هو في موضع المخاطبة. والمخاطبة التي هو لي من قُدِّر له أن يتلقى الخطاب ابتداء بأهل زمان الشاعر.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو فعل النداء (أنادي) أو (أندب) المضمَر، والمسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التحسر، تحسُّر الشاعر على رجوعه من بغداد إلى المعرة. وكان يتمنى لو أن منيته أدركته وهو ببغداد. وهذا يدل على أن المعري عاد إلى بلاد الشام مكرهًا^١. ويمكن أن يكون قد قدم على الرجوع بعد أن استقرَّ وذَبَّ أباهِ المقام.

د- فعل التأثير بالقول: وهو شقٌّ أن شقَّ يتعلَّق بالشاعر نفسه، فهو ينفس عن نفسه بعبارة (فعل القول) وشقٌّ خاص بالمتلقي الذي يتوقَّع منه أن يتضامن مع الشاعر فيما هو فيه من الهمَّ للغمَّ .

¹ - الزَّوْنِي أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، دار البقعة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت 1969، ص 273.

وينظر التبابعة الذبياني، ديوان الذابغة الذبياني، مرجع سابق، ص 184.

خامساً: التّ مني:

توطئة:

هو من الإنشاء الطلبي.¹ وإن خالف بعضهم فارتأى أنه غير طلبي.² وقد عرفه بأنه «طلب حصول الشيء بشرط المحبة ونفي الطماعية».³ وميزوا بينه وبين الترجي، بكون محتوي التمني مرغوباً فيه. أما التّ رجي فقد يكون غير مرغوب فيه. وأن المُتَمَنَّى غير مطموح في تحقيقه، لا فهورتَ جٌ، تستعمل فيه (لعل) و(عسى).⁴ والإقرار بعدم طلبية التّ مني، على من يرى ذلك يفضي - فيما يرى المبخوت - إلى «أنه أقرب إلى أعمال التأثير بالقول أو هو في أحسن الحالات مشترك بين الأعمال في القول وأعمال التأثير بالقول».⁵ ولهذا السبب أو قريب منه اعتبر سورل Searle التّ مني الحرفي فعلاً تعبيرياً.⁶

والحرف الموضوع للتّ مني هو (ليت) وقد يُقَرَّبُ تّي بـ(هل)⁷، إلا أن التّ مني بـ(هل) يمكن إدراجه ضمن الاستفهام المعدول به عن غرضه الأصلي، كما هو معروف في باب الاستفهام.

والتمني بصيغته وأساليبه المختلفة كثير في (اللزوميات). وما نورده منه، هنا، يقتصر فيه على التّ مني بالحرف، حتى لا ضلّ في تأويلات قد تخيد بنا عن الجادّة، فضلاً عن أن

¹ - ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوق، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ص 151.

² - ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 20. و: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، ص 90.

³ - الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، المرجع السابق، ص 151. و: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 90.

⁴ - ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، المرجع السابق، ص 151-152.

⁵ - شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 220.

⁶ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 149 وما بعدها.

⁷ - ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، المرجع السابق، ص 151-152.

الفصل الثالث

التمني بغير الحرف (ليت) الذي هو له بالأصالة، فتمت الإشارة إليه ضمن صيغ وأساليب أخرى، كل في موضعه من هذه الدراسة.

تطبيق

اللوميّة 21:1

وَلَيْتَ وَلِيدًا مَاتَ سَاعَةً وَضَعَهُ *** وَلَمْ يَرْتَضِعْ مِنْ لَهَّ الْقَدَاءِ
يَقُولُ لَهَا مِنْ قَبْلِ نَاطِقِ لِسَانِهِ *** تَفْيِيزٍ بِي أَنْ تَكُونِي وَتُدْأَيِي

ولئن كانت الجملة أو العبارة المركزية في البيت هي قوله: "وليت وليدا مات ساعة وضعه"، فإن فعل التّمني في صورته الكاملة مرهون بتضامن مكوّنات البيتين معا.

أ - فعل القول:

وليت وليدا مات ساعة وضعه

ب - الفعل القضوي:

1- فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو المعري، يحيل عليه السياق الخارجي.

- المخاطب: لا يوجد من ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على مخاطب بعينه. وعليه فنحن مضطرون إلى التّخمين. وتخميننا، لا محالة، يفضي بنا إلى أن المخاطب المعني أهل زمان الشاعر ابتداءً فإنّهم -بحكم واقع الحال- المعنيون بالخطاب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب لكل من وُدد له أن يتلقاه ولو بعد حين.

وإذا كان التّمني أقرب إلى التعبير عن حالة نفسية معينة منه إلى مطلوب بعينه، فإن تعذّر تحقيقه، فإن المخاطب بهذا المعنى يكون قد وجه الخطاب إلى نفسه، تعبيراً عنها وإرضاء لها، لما يجده في التعبير عن تلك الحالة من الراحة وانشراح الصدر، بعد الذّفت والتعبير عن الدّفين الذي تنطوي عليه النفس.

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 61.

الفصل الثالث

ولهذا السبب تردّد البعض في طلبية التمني. واعتبره سورل Searle فعلا تعبيريا.¹

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (مات) المسند إلى فاعله (هو) المستتر فيه، والذي يعود على (وليدا).

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التمني، أي تمنّي ما لا سبيل إلى تحقيقه. إذ هو مجرد تعبير عن حب المقيّ نوالرّ غبة فيه.

والمقّ نّي المرغوب فيه، في هذا الموضع هو موت الوليد ساعة خروجه من بطن أمّه إلى الحياة الدنيا. وهي رغبة تتحقّق مع فلسفة المعري في النّسل وتكرار تّه.

د- فعل التأثّر بالقول: الم تكلّم م خاطبه على الإقرار برأيه في الإنجاب، ومن ثمّ الأخذ ذهب إليه الشاعر في فلسفته تلك، والتماس العذر له في اعتباره الآباء قد ج ذوا على أبنائهم بأن كانوا سببا في إيجادهم، والإلقاء بهم في معتكّ لقي، البقاء فيها للأصلح والأقوى. ومن ثمّ حقّ للأبناء أن يعقوا آباءهم إذ كانوا سببا في عنائهم.

الوهميّة 176:2

يَلْتِي هَبَاءٌ فِي قَلْبِي. لَأَيَّ *** أَوْ قَوَظَةً بَيْنَ جَنَاحِي عُقْبٍ

أَوْ كُتُّ كُرٍّ يَاطَأُ رَقْفَةً *** شَبَهُ مِنْ آخَاتِ الْوَقْبِ

والبيتان متكاملان يشكلان معا (فعل القول) في صورته الإجمالية، وإن كانت الجملة

المركزية هي جملة (ليت واسمها وخبرها) الباقي م كمل.

¹ - ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، المرجع السابق، ص 149 وما بعدها.

و: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، المرجع السابق، ص 220-223.

² - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 176.

أ - فعل القول:

ليتي هباء في قلبي على

ب - الفعل القضيوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد الذي هو (ياء المتكلم) الواقعة اسما لحرف التمزي في (ليتي). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون غيره.

- المخاطب: لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على مخاطب معين. وقد ارى ما في الوسع أن نخمن. ولا شك في أن التخمين يدلنا على أن المخاطب المعني أهل زمان الشاعر ابتداء، لأنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون بالمخاطب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قد له أن يتلقاه ولو بعد حين. الرأجح أن الشاعر يخاطب ذاته من جهة التعبير عن الذات، لأنه يجد في التعبير عنها راحة ومُتَنَفِّهًا.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو خبر ليت (هباء) المسند إلى اسمها الذي هو الضمير المتصل (ياء المتكلم) في (ليتي).

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التمني (تمني) ما لا سبيل إلى تحقيقه أو تحققه. وهو تمني الشاعر أن يكون قذاة في ماءٍ يشرشور، فينتهي إلى بطنه. ثم إلى ما

نعلم، أو قطرة ماء بين جناحي عقاب، أو أنه خلق كُدر ليلقت به الأقدار في صحراء مقرة، غاية حظه فيها مجع ماء آسن علة يطفئ به ظمأ .

إن تمى الشاعر ما تملنه لا يعدو أن يكون مجرد رغبة هـ ضيق صدره بالحياة على أن يعبر عنها، ومن ثم فتمذيه هذا هو أقرب إلى (الفعل التعبيري) منه إلى الفعل المنطوي على قضية).

د - فعل التأثير بالقول: وهو فعل التضمن، التضامن الوجداني مع الشاعر ذلك أن ضيق صدر الشاعر بالحياة أملى عليه تمى ما تملنى.

وفضلاً عن المشاركة الوجدانية فإن المنتظر من المخاطب، أو ما يمكن أن يكون عليه وقد استمع إلى قول الشاعر وتلاً هـ هو الإقرار بصحة وجهة رأي الشاعر في الحياة وفلسفته في الوجود علة بذلك يلتمس له العذر في نقمته على الحياة. بل وليعذر بعضنا بعضاً فيما قد يبدر من الهنات والسقطات، طالما كانت الحياة بهذه المثابة.

اللومية 301:1

أ - فعل القول:

فَلَيْتَنِي عَشْتُ بِأَوِيٍّ *** جَاؤُهَا فِي عَوْدِي شَحُ

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم الذي هو اسم ليت في (ليتني). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته. لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي، فإنه وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري.

- المخاطب: لا يوجد في ظاهر لفظ (فعل القول) ما يدل على مخاطب معين. لذلك فلا مَحِيدَ لَنَا عن التّخمين ولا شك في أن التّخمين يدلنا على أن المخاطب المعني أهل زمان

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 301.

الفصل الثالث

الشاعر. فإنهم – بحكم واقع الحال - المعنيون بالخطاب قبل غيرهم. ولا مانع بعد ذلك من أن يتسع الخطاب ليشمل كل من قدر له أن يتلقاه ولو بعد حين.

وقد يكون المعري استحضر في ذهنه لحظة إنشاء الخطاب أو عبارة (فعل القول) مخاطبا معيناً، إلا أن ذلك لا قيمة له عندنا ما دام مطويا في نفس الشاعر، وليس لدينا من ظاهر لفظ (فعل القول) وما يكتنفه من القرائن والملابسات، ما يدل على ذلك المخاطب، وليس في الوسع أن نبلغ من العلم بالمخاطب أكثر مما انتهينا إليه.

والأظهر، كما أسلفنا من قبل، أن الشاعر يخاطب نفسه، لأنها المعنية بالخطاب من جهة أن تمنّي ما تمنّي يعبر عن ضيق صدره بالحياة. وهو يجد في هذا التعبير راحة ومتفسلاً يعنيه بعد ذلك في كثير أن يكون هناك من يتلقى خطابه، ويتفاعل معه على نحو ما أو لا يكون.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، للتعبير عن غرضه فيها.

2- فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل (عاش) المسند إلى فاعله الذي هو ضمير المتكلم المفرد (تاء الفاعل) في (عشت).

ج- فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل التمني، تمنّي الشاعر لو أنه عاش بما قرأه، لا أنيس بها ولا ماء.

وحسب تلك الحياة قساوة أن الدباء، بهذه المفازة تلجأ شدة العطش إلى الالتصاق بعود اللبث إلى أن تشدّ مهلاًها تجد فيقطرة ماء أو ندى، ثم به صداها فالشاعر يتمنّى لو كان في هذه المفازة بمنزلة الحرياء على ما هي عليه من سوء الحال.

ومثل هذا التّمني يكشف عن مدى ضيق الشاعر بالحياة وتعبّر مه بها، وشعوره بالغبن فيها. وهو ما يعني أن فعل التّمني، هنا، هو أقرب إلى (الفعل التعبيري) منه إلى فعل (القضية).

د - فعل التأثير بالقول: وهو حمل الشاعر مخاطبه على المشاركة الوجدانية، والتّضامن معوالرّ ثاء لحاله ولا يّ ستبعثان تكون النية في الخطاب معقودة على لفت انتباه المخاطب إلى قساوة الحياة وما تعجّ به من الشّروور وألوان الأذى، التي ليس في وسع الإنسان أن يحتملها أو يصبر عليها.

ومؤي ذلك أن يوطّن المخاطب نفسه على احتمال تكاليف الحيلة وأن يلتمس العذر للشاعر إذ أعرب بهذا التّمني عن نفاذ صبره وعلى النّاس أن يعذر بعضهم بعضا حين تزل بهم الأقدام في معترك الحياة.

نموذجان تطبيقيان على الوعديات:

اللزويّة 05:1

أ - فعل القول:

بَذِي الْهَرَمِهَلًا رَلْ مِنْمَتْ هِ الْكَمْ *** فَإِنِّي بِنَفْسِي لَا مَدَالَةَ بِلْ أ

والجملة أو العبارة التي يتعلق بها الغرض تعلقا مباشرا هي (فإني بنفسي لا محالة أبداً). وهذا لا ينفي صلتها الوثيقة بما قبلها. وحسبها من الصلة أنها تعليل للطّب، طلب الإمهال.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد في (إني) و(بنفسي) و(أبدأ). غير أن هذا الضمير لا يحيل على متكلم معين بذاته وإنما الذي نعول عليه في تعيين المحال عليه

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ص 47، 48.

الفصل الثالث

بهذا الضمير هو السياق الخارجي الذي هو وحد للكفيل بأن يريد أن ذلك المحال عليه هو المعري دون سواه.

- **المخاطب:** وهو المنادى (بني الدهر). والمقصود هو الإنسان على إطلاقه، ابتداء بأهل زمان الشاعر. فإنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم.

- **العبارة:** وهي فعل القول.

- **القصد:** وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2- **فعل الإسناد (المحمول):** وهو الفعل (أبدأ) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج- **فعل الإنجاز (المتضمن في القول):** وهو (فعل الوعد) الذي يقتضي إلزام الشاعر نفسه أن يفِّئ بما أخذه عليها من ذمِّه إياها فيما تأتيه من الأقوال والأفعال قبل ذم الآخرين على ما يأتونه من تلك الأفعال. وبمقتضى ذلك فهو مطالب منذ الآن بألا ينال من أحد على قبيح أتاها إلا بعد أن يكون قد أحصى على نفسه أخطاءها، وحاسبها عليها قبل محاسبة الآخرين.

د- **فعل التأثير بالقول:** وهو أن ينال المتكلم ثقة المخاطب فيه إذا ما تم إنجاز الفعل على الوجه الموعود به.

اللويميّة 1515:1

أ- **فعل القول:**

لَا رُشْبُ الرَّاحِ وَلَوْ ضُفْتُ *** نَهَابَ وَلَعَاتِي هَذَا نِي

مُخَلِّمِيزَانَ حَلِمِي بِهَا *** كَأَنِّي مَا خَفَّيْزَانِي

ووجه الطة بين البيتين كون كلمة (مخففا) حالا، صاحبها هو الضمير (أنا) المستتر وجوبا في الفعل (أشرب). ووظيفة الحال أن تبين هيئة صاحبها عند وقوع الفعل، والفعل هنا هو فعل الشرب (أشرب).

¹ - أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، المصدر السابق، ج2، ص 527، 528.

ب - الفعل القضوي:

1 - فعل الإحالة:

- المتكلم: وهو من يحيل عليه الضمير (أنا) المستتر في الفعل (أشرب)، و(يأء المتكلم) المفرد الواقعة مضافا إليه في (لوعاتي) و(أحزاني).

غير أن هذا الضمير لا يحيل على معين بذاته. ولذلك يتعين التعويل على السياق الخارجي الذي هو وحده الكفيل بأن يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو المعري دون غيره.

- المخاطب: إذا ما سلمنا بأن المخاطب هو المعني بـ(الخطاب) أو (فعل القول)، تبين لنا أن المخاطب، هنا، هو الشاعر نفسه باعتباره عن نفسه حين أخذ عليها أن تفعل بما وعدت به من إنجاز الفعل الموعود بإنجازه. وثمت المخاطب الآخر الذي ينتظر من الشاعر أن يفي بما وعد به، وذلك الآخر هو المتلقي على إطلاقه، ابتداء بأهل زمان الشاعر، لأنهم - بحكم واقع الحال - المعنيون قبل غيرهم.

- العبارة: وهي فعل القول.

- القصد: وهو توجه الشاعر إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول)، لإبلاغه غرضه فيها.

2 - فعل الإسناد (المحمول): وهو الفعل المنفي (أشرب) المسند إلى فاعله (أنا) المستتر فيه وجوبا.

ج - فعل الإنجاز (المتضمن في القول): وهو فعل الوعد. فالشاعر يأخذ على نفسه ألا يشرب الخمر ولو كان شربه لها يذهب عنه همومه وأحزانه. يذكر الشاعر ذلك لأن الكثير ممن يتعاطى الخمر يعللون تعاطيهم إياها بكونها تنسيهم همومهم وأحزانهم، كمال قال أحدهم:¹

¹ - أبو نواس الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس، دار بيروت للطباعة و النشر - بيروت، ص7.

الفصل الثالث

دَعْ عَذْكَ لَوْمِي فَإِنْ لَلَّمْ غِرَاءُ *** دَاوْنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ اللَّهُ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ لِحُرَّانٍ سَادَحَةً ١ *** لَوْ مَهْلًا حَجْرًا مَسَّ سَدْرَاءُ

د - فعل التأثير بالقول: وهو اطمئنان المخاطب إلى المتكلم وجعله موضع ثقة إذا ما أنجز الفعل الموعود به على وجهه وفي تعهد الشاعر بالامتناع عن شرب الخمر معطاً لا امتناعه بإذهابها للعقل الذي هو من أجل ما أنعم به الله على الإنسان توجيهه منه إلى المخاطب باجتنب ما يَشِيءُ إلى ما يَزِينُهُ ويحفظ عليه مقامه وفضله وركمته وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للتخمين أن تصرف الإنسان بمعزل عن قواه المدركة الواعية كان ولا يزال وراء كل شريئركَ وصدلة تقطع، وأرْمَزَ قُوجُمَاتِ تَهْكَ، وبنية اجتماعية متماسكة تفكك، وبناء مَشْدُوحٍ يَنْهَى دُوبَهُدَ مَوْعَلِيهِ فَاَلَمْ نَنْتَرْظِ لِمِ الْمَطْلُوبِ من المخاطب أن يُلْغِي ذلك كُلَّهُ في خطاب الشاعر وتوجيهه.

خاتمة

إلى هنا نكون قد انتهينا إلى ما كان مقدرا أن ننتهي إليه فيما أخذناه على أنفسنا، ابتداءً، من بذل ما تتّسع له الطاقة، لإعطاء موضوع البحث بعض ما يستحق من العناية والاهتمام إذا ما تعذر الوفاء بالكل. عسانا بذلك أن نغري بالإقبال على الموضوع من في مقدوره الذهاب إلى أبعد مما ذهبنا إليه. وهذا الذي انتهينا إليه يمكن إيجازه فيما يلي:

(1) استجابة المدونة (ديوان لزوم ما لا يلزم) لمقتضى الدراسة التداولية من جهة (أفعال الكلام) التي هي من أهم فروع التداولية.

فلمقتضى هذه الدراسة، من الجهة التي اخترنا، استجاب الديوان في يسر بعيدا عن التعامل والتعسف. وآية استجابته أننا انتهينا في دراستنا إلى الوقوف على جوانب مثيرة ومتميزة من فلسفة المعري كما نطقت بها أو انضوت عليها لزومياته.

(2) قصور تصنيف سورل Searle لـ(أفعال الكلام) الذي تقيدنا به عن أن يستوعب جميع الأفعال في اللزوميات. فثمت أفعال كثيرة نرى أنها بقيت خارج هذا التصنيف، وإن أمكن احتواؤها بشيء من الإكراه الذي يأباه البحث العلمي بما يقتضيه من الجدية والصرامة والوضوح والمعقولية والوجاهة من دونما ليّ أو قول بظنّ ، لا يسنده دليل أو قرينة محترمة.

ومن أمثلة هذه الأفعال التي نراها خارج التصنيف ما يعرف في البلاغة العربية بـ(الإنشاء الطلبي): التعجب، الترجي، المدح والذم بـ(نعم) و(بئس) وما إليهما من الأفعال الخاصة بهذا الغرض، (كم) الخبرية، ربّ) التي هي حرف شبيه بالزائد.

وإنّا لنجد مثل هذه الجمجمة وعدم الحسم برأي واضح، يقطع الشك باليقين، في أفعال من قبيل أعمال التحية والتهنئة وما شابهها. فهي من (الإيقاعات) عند بعضهم، ولم يحسم فيها برأي واضح عند البعض الآخر.

ولا حل -في تقديرنا- لهذه المشكلة إلا في إطار القول بوجود (التعبيريات) ضمن الأفعال الأخرى، أي أن (التعبيرية) تتقاسمها أفعال شتى لا تعد من (التعبيريات) بمقتضى ظاهر التصنيف، وقد أوضحنا ذلك في موضعه من البحث بما نراه كافيا.

كما نلاحظ في السياق ذاته أن حدود (الإيقايات) غير واضحة بالقدر الكافي الذي به نميز بين ما هو إيقاعي مما هو ليس كذلك، ودليلنا أن بعضهم يحصر (الإيقايات) في (صيغ العقود) كالبيع والشراء والزواج... الخ. ولا يكاد يتجاوز بها ذلك إلا على استحياء وتردد.

(3) كون (أفعال الكلام) جدت في الكثير من خصائصها، فيما تكلم به الأقدمون، وقبل أن ينظر لها المنظرون حديثاً. ووقفنا على هذه الأفعال في (اللزوميات) ملتزمين ما قال به التداوليون – يقوم شاهداً مضافاً إلى شواهد كثيرة على أن وجود هذه الأفعال بـ(القوة) كان قبل وجودها بـ(الفعل). ذلك أن المعري لم يكن قد خطر بباله شيء يسمى (التداولية) على ما هي عليه في يومنا هذا، ومع ذلك فقد وجدنا بغيتنا في (لزومياته) حين قصدنا إلى البحث عن هذه الأفعال في ضوء المنهج التداولي وانطلاقاً منه، وهو ما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه من القول بأسبقية الوجود بـ (القوة).

(4) ومما وقفنا عليه هذا الغموض الذي اكتنف (الفعل الكلامي) من جهة أن بعضهم تقيد بصيغة (افعل) أو نحوها بأزمنتها المختلفة، وبعضهم تجاوز هذه الصيغة إلى الجملة أو العبارة برمتها.

والحق أن الفعل يتجاوز صيغة (افعل) ونحوها، وهو ما اعتمدناه في عملنا التطبيقي. فقد نتعامل مع جملة اسمية من قبيل (الأرض كروية) على أنها فعل تقريرى لاعتبارين الأول: أنها (فعل قول) أو (عمل قولى). والثاني: اتساق الغرض من القول مع تقديرنا للفعل (أقرر) بالتأويل. وعليه يكون التقدير: أقرر أن الأرض كروية. وهو تقدير سليم ما لم تكن هناك قرينة صارفة.

ولا عبرة بالقول: الأرض كروية. بمعزل عن القائل (المقرر) الذي هو ضمير مستتر وجوباً في الفعل (أقرر) المقدر.

كما يمكن أن نمثل لذلك بقول المعري: أولو الفضل في أوطانهم غرباء. إذ لا وجود هنا لفعل بصيغة (افعل) ونحوها، لكننا لا نجانب الصواب إذا قلنا: إن فعل هذه الجملة

الإنجازي - فضلا عن أنها فعل قول - هو التقرير، تقرير غربة أولي الفضل كما عاينها الشاعر في الحياة.

ومرد هذا الغموض بين الفعل والجملة إلى كون الفعل الإنجازي ليس شرطاً أن يكون في بنية الجملة أو العبارة السطحية بل قد يكون كامناً في البنية العميقة.

(5) الصلة القوية التي ما فتئت تشد (التداولية) ومنها (أفعال الكلام) على وجه الخصوص إلى المنطق، إذ ما انفكت مفردات المناطق (الإحالة، الحمل، القضوي...) تسجل حضورها بقوة في الدراسات التداولية لا سيما في (أفعال الكلام)، وقد لاحظ بعض الدارسين هذه الصلة.

ويبدو حضور مثل هذه المفردات (المصطلحات) في عملنا التطبيقي شاهداً على ما نقول.

(6) الخلط بين (المحتوى القضوي) و(الفعل القضوي)، وآية هذا الخلط إسناد بعضهم (الحمل) و(الإحالة) إلى (المحتوى القضوي). والحق أنهما يسندان إلى (الفعل القضوي) لا إلى (المحتوى القضوي)، كما نبه إلى ذلك سورل Searle بتعديله الذي قال به أوستن Austin والذي بمقتضاه انتهى إلى (الفعل القضوي) بدل (المحتوى القضوي).

(7) لقد أرانا النظر فيما وقفنا عليه في (اللزوميات) أن المعري اتخذ من لزومياته تلك وعاء شحنه بالكثير من الآراء والقضايا الفلسفية التي كان للحياة والموت فيها الحظ الأوفر.

وإننا لواجدون لهذه الفلسفة أثراً ظاهراً فيما أتينا على ذكره واستشهدنا به في عملنا التطبيقي.

(8) وكان مما وقفنا عليه في (اللوميات) ظاهرة الغموض، إن على مستوى اللغة، وإن على مستوى المعاني والآراء، فكانت محاولة استيعاب ما وراء الغموض مما لا بد منه، لتعيين الفعل المنضوي تحت (فعل القول)، قضوياً كان ذلك الفعل، أم إنجازياً، أم هو فعل تأثير بالقول.

وهو غموض فتح باب التأويل على مصراعيه، غير أننا حاولنا في تأويلنا أن نهتدي بالسياق الخارجي فضلا عن بنية (فعل القول)، ومراعاة دلالات الألفاظ، والقواعد التي تحكم هذه البنية نحوا وصرفا وبلاغة - إلى الفعل الذي يقصد إليه الشاعر. كما أننا وظّفنا معرفتنا بالمعري ووجهته في فلسفته، والمصادر التي كان يصدر عنها، وهي كثيرة ومتنوعة.

9) النزعة العقلية: فقد استبدت النزعة العقلية بالمعري في (لزومياته)، ومن مظاهر هذه النزعة (الأفعال التقريرية) التي يُعَدُّ إكثارنا من التمثيل لها في عملنا التطبيقي مؤشرا على غلبَتِها في (اللزوميات)، غلبة يمكن الاستدلال بها - من جملة ما يمكن الاستدلال به - على هذه النزعة التي ذكرنا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

1- الكتب العربية:

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط3، 1983، ج1.

(2) ابن برد بشار: ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، (ج1، ج4)

(3) ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، شرح وضبط وتصحيح وعنونة وترتيب أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.

(4) ابن عقيل بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك و معه كتاب "منحة الجليل" بتحقيق شرح ابن عقيل، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ج1.

(5) ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (ج1، ج4).

(6) ابن هشام الأنصاري جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعرايب، تحقيق وتعليق مازن المبارك ومحمد حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

(7) أبو نواس الحسن بن هاني، ديوان أبي نواس، دار بيروت للطباعة و النشر - بيروت.

(8) أدراوي العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان - الرباط، ط1، 2011.

9) اييوط بنعيسى عسّو، الخطاب اللساني العربي -هندسة التواصل الإضماري- (من التجريد إلى التوليد) مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط1، 2012، ج2.

10) الاسترأبأذي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، تقديم وتحشية وفهرست إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، (ج3، ج4)
11) أمين أحمد ، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط10، ج1.
12) باقر مرتضى جواد، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002.

13) بعيطيش يحيى وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط1، 2011.

14) البغدادى عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، دار صادر، بيروت، ج3.

15) بوجادى خليفة، فى اللسانيات التداولية (مقاربة بين التداولية والشعر) -دراسة تطبيقية، بيت الحكمة، ط1، 2012.

16) حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979.

17) الحسن شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية فى اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001.

18) الحموي الرومى أبو عبد الله ياقوت، معجم الأدياء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2011، ج1، باب الألف.

19) الخنساء تماضر بنت عمر، ديوان الخنساء، دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت، ط6، 1969.

(20) دراقي زبير، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر.

(21) الذبياني النابغة، ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر.

(22) الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (ج1، ج7، ج9، ج15، ج19، ج20، ج28).

(23) الرويلي ميجان، والبازعي سعد، دليل الناقد الأدبي - إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً - المركز الثقافي العربي، ط4، 2005.

(24) الزجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط5، 1986.

(25) الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، تحقيق سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط1، 2003.

(26) الزموري عمر بن أبي حفص، في فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1991.

(27) الزّوزني أبو عبد الله الحسين، شرح المعلقات السبع، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت 1969.

(28) سرحان إدريس وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إريد-الأردن، ط1، 2001.

(29) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان،

- الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار القلم، 1966، ج1.

- الكتاب، تعليق وتحشية وفهرست إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2009، (ج1، ج2)

- (30) السيساوي يوسف وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط1، 2011.
- (31) السيوطي جلال الدين:
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح وعنونة وتعليق وتحشية محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987، ج1.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت، (ج1، ج5)
- (32) الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، ديوان الشافعي، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي، المكتبة الثقافية بيروت.
- (33) الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب - بيروت، ج1.
- (34) الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004.
- (35) شوقي أحمد، لشذوقيات، دار العودة - بيروت، ج1.
- (36) صالح حسن بشير ، علاقة المنطق باللغة عند فلاسفة المسلمين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية - ط1، 2003
- (37) صبطي عبدة وبخوش نجيب، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- (38) صحراوي مسعود وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط1، 2011.
- (39) صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.

(40) الطبطبائي طالب سيد هاشم: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994.

(41) طه حسين بالاشتراك مع إبراهيم الأبياري، شرح لزوم ما لم يلزم لأبي العلاء المعري، دار المعارف بمصر، ج1.

(42) طه حسين:

-حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، ط9، ج2.

- من تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الثاني، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط2، 1978.

(43) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2006.

(44) عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، [ط6، (ج1، ج2)]. [ط5، (ج3، ج4)].

(45) العبد محمد وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط1، 2011.

(46) علوي عبد السلام إسماعيلي وآخرون، التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، إريد - الأردن، ط1، 2011.

(47) غلفان مصطفى بمشاركة محمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط1، 2010.

(48) الفاخوري حذّا ، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية، بيروت-لبنان، ط9، 1978.

49 وخ عمر:

- تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط4، 1981، ج1.

- حكيم المعرفة أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

(50) الفقي صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على الصور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبد غريب) - القاهرة، ط1، 2000، ج1.

(51) الفهري عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية - دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

(52) القزويني الخطيب:

- الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبدیع، مراجعة وتصحيح وتخریج الشيخ بهیج غزوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1988.

- التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

(53) المبخوت شكري، دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010.

(54) المتنبي أبو الطيب، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح وفهرست مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ج4.

(55) المتوكل أحمد:

- الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1986.

- من قضايا الربط في اللغة العربية، منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

(56) مرتاض عبد الملك، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر 2007.

(57) مرسلي محمد، دور المنطق العربي في تطوير المنطق المعاصر، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2004.

(58) المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط3، 2009.

(59) المعري أبو العلاء:

- ديوان لزوم ما لا يلزم، تقديم وشرح وفهرست: وحيد كبابة وحسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009، ج1.

- سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

(60) مقبول إدريس، الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، عالم الكتب الحديث، ط1، 2006.

(61) النجار منال وآخرون: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط1، 2011.

(62) نشاوي نسيب، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1984.

(63) الهاشمي السيد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، إشراف صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 2006.

(64) يوسف أحمد، الدلالات المفتوحة- مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.

2- الكتب المترجمة:

(1) آبل كارل أوتو، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة و تقديم عمر مهيل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.

(2) أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي.

- (3) أوستين جون لانكشو، نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق-المغرب، ط2، 2008.
- (4) بلانشيه فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية- اللاذقية، ط1، 2007.
- (5) تشومسكي نعوم، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة وتقديم محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- (6) دايك فان، النص والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان.
- (7) دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية (طلبة معاهد اللغة العربية وآدابها)، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية.
- (8) دومينيك مونفانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.
- (9) ديوي وجون، المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، ومراجعة محمد ناصر، تصدير محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان.
- (10) روبول آن وموشلار جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2003.
- (11) روبير مارتان، في سبيل منطق للغة، ترجمة وتقديم: الطيب البكوش، وصالح الماجري، المنظمة العربية للترجمة، مركز توزيع دراسات الوحدة العربية-بيروت، ط1، 2006.
- (12) كيمبسون راث، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار الأمان-الرباط، ط1، 2009.
- (13) يول جورج، التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.

3- المجلات:

(1) الجسمي عبد الله، المنطق وتصور فتجنستين للفلسفة (مقال)، عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت، مج 29، العدد 1، يوليو/سبتمبر 2000.

(2) مرتاض عبد المالك، التأويلية بين المقدس والمدنس (مقال)، عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت، مج 29، العدد 1، يوليو/سبتمبر 2000.

4- القواميس:

(1) ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق وتعليق وتحشية عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (مج1، مج2، مج 11، مج12)
(2) الجرجاني علي بن محمد بن علي الحسيني، التعريفات، تحقيق وتعليق نصر الدين تونسلي، ط1، 2007.

(3) رضا أحمد، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1960 (مج4، مج5)

(4) رضا أحمد، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959، مج3.

(5) صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ج2.

(6) يعقوب إميل بديع، معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1985.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة

أ

الفصل الأول

- 11 أولاً: التداولية.
- 11 1- المصطلح
- 18 2- النشأة والتطور
- 27 3- المفهوم
- 34 4- من الجملة أو العبارة إلى الفعل:
- 35 ثانياً: أفعال الكلام.
- 35 1- تحليل المركب الإضافي (أفعال الكلام)
- 37 2- الفعل: اللغة، المصطلح، الدلالة.
- 37 × - الفعل في اللغة
- 38 × - الفعل في الاصطلاح.
- 38 - الفعل عند النحاة.
- 41 - الفعل عند المناطق.
- 43 - الكلام باعتباره أحد مكوني المركب الإضافي (أفعال الكلام).
- 43 - الكلمة
- 46 - الكلام
- 48 × - الكلام عند النحاة.
- 50 فائدة الإضافة في المركب (أفعال الكلام)
- 52 - الجملة.
- 53 - العبارة.

- 54 - القضية.
- 55 - القول.
- 56 - الفعل التداولي
- 58 × العمل القولي أو فعل التلطف
- 59 × الفعل الإنجازي
- 60 × الفعل القضوي.
- 62 × فعل التأثير بالقول
- 62 - تصنيف الأفعال الإنجازية عند أوستين
- 70 - معايير تصنيف الأفعال الإنجازية عند سورل
- 70 17- تصنيف الأفعال الإنجازية عند سورل

مدخل إلى اللزوميات

- 79 أبو العلاء المعري ولزومياته

الفصل الثاني

- 88 نماذج تطبيقية على التقريريات
- 112 نماذج تطبيقية على الإيقاعات
- 112 أولاً: الدعاء.
- 127 ثانياً: الرجاء.
- 130 ثالثاً: القسم.
- 139 رابعاً: أفعال الرأي
- 149 خامساً: أفعال الإقرار
- 156 سادساً: الوصية
- 159 نماذج تطبيقية على البوحيات:
- 159 × فعل تعبيرى ليس له صيغة معينة.

- 164 × فعل تعبيرى مستفاد من اسم الفعل
- 170 × فعل تعبيرى مستفاد من لفظ أو فعل (التعجب)
- 177 × فعل تعبيرى مستفاد من لفظ (الترحيب)
- 182 × فعل تعبيرى مستفاد من لفظ (التهنئة)

الفصل الثالث

186 نماذج تطبيقية على الأمرات (الطلبات)

186 أولاً: الأمر

186 × توطئة

186 × الالتماس

189 × التسوية

191 × الإرشاد

192 × الغبط والتهنئة

194 × الإغراء بالفعل

195 × التأييس

196 × التهديد

198 × الاعتبار

199 × التحقير

201 × التمني

202 × حقيقة الأمر

204 ثانياً: النهي.

204 × توطئة

204 × النصح والإرشاد

206 × التأييس

208	× الالتماس
211	× التمني
212	× المدح
213	× الترغيب
214	× الرفق
215	× حقيقة النهي
217	ثالثا: الاستفهام.
217	× توطئة
218	× التقرير
221	× التمني
226	× التعجب
229	× النفي
234	× الاعتبار
238	× التحقير
240	× التسوية
242	× حقيقة الاستفهام
244	× الاستبطاء
248	رابعا: النداء.
248	× توطئة
249	× الالتماس
256	× الذم
258	× التنغيص
262	× الإقرار
265	× الإرشاد والتوجيه

267	× التحذير
269	× الاعتبار
272	× الندبة
274	× التعجب
275	× التحسر
277	خامسا: التمني.
277	× توطئة
278	× التمني
283	نموذجان تطبيقيان على الوعديات
288	الخاتمة
293	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات